

قصص بسيطة

رواية من الريف الألماني الشرقي

تأليف: إنجوشولتسه
ترجمة: سمير جريس



المشروع القومي للترجمة

قصة بسيسة

رواية من الريف الألماني الشرقي

تأليف : إنجو شولتسه

ترجمة : سمير جريس



المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٣٢

- قصص بسيطة (رواية من الريف الألماني الشرقي)

- إنجو شولتسه

- سمير جريس

- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة كاملة لكتاب :

Simple Stories

by Ingo Schulze

Copyright © 1998 Berlin Verlag, Berlin

All rights reserved



GOETHE-INSTITUT

قام معهد جوته بتقديم

الدعم المادي لنشر هذا العمل

“Die Herausgabe dieses Werkes Wurde

aus Mitteln des Goethe - Instituts gefördert”

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

9 زيوس	الفصل الأول
21 نقود جديدة	الفصل الثاني
31 قصة جيدة فعلاً	الفصل الثالث
45 هلع	الفصل الرابع
59 الطير المهاجر	الفصل الخامس
75 ليلة طويلة، طويلة	الفصل السادس
91 صيف منعش	الفصل السابع
107 أنفاس على عنقي	الفصل الثامن
119 الموزع	الفصل التاسع
135 ابتسامات	الفصل العاشر
151 امرأتان وطفل والوحش فوكس والفيل	الفصل الحادي عشر
169 القتلة	الفصل الثاني عشر
185 تستطيعين الآن	الفصل الثالث عشر

197	مرآة	-	الفصل الرابع عشر
207	خطبة كبيرة وضربة معلم	-	الفصل الخامس عشر
221	علب	-	الفصل السادس عشر
237	ديون	-	الفصل السابع عشر
251	الصباح الذي أعقب ذلك المساء	-	الفصل الثامن عشر
263	معجزة	-	الفصل التاسع عشر
275	أطفال	-	الفصل العشرون
289	إبر	-	الفصل الحادي والعشرون
307	ما فات مات	-	الفصل الثاني والعشرون
331	نهاية الإرسال	-	الفصل الثالث والعشرون
343	بدر	-	الفصل الرابع والعشرون
357	يا الله ، ما أجملها !	-	الفصل الخامس والعشرون
369	طفل يومض	-	الفصل السادس والعشرون
383	الرجل الخطأ	-	الفصل السابع والعشرون
397	تلوج وأنقاض	-	الفصل الثامن والعشرون
413	أسفناك	-	الفصل التاسع والعشرون

كل الشخصيات الواردة في الرواية من خيال الكاتب ،
وأى تشابه مع أحياء أو أموات فهو محض مصادفة غير مقصودة .

الفصل الأول

زيوس

رِناتا مويرر تحكى ما حدث أثناء رحلتها
بالأوتوبيس فى فبراير ٩٠ . السيد مويرر وزوجته
لأول مرة فى الغرب فى عيد زواجهما العشرين.
لأول مرة فى إيطاليا . عطل فى الأوتوبيس قبل
أسيزى يدفع رفيقهم فى الرحلة ديتر شوبرت
إلى القيام بفعل يائس . تبادل الذكريات والمثونة .

ببساطة لم يكن الوقت ملائماً لذلك . خمسة أيام بالأوتوبيس : فينسيا
وفلورنسا وأسيزى . كان وقع أسماء هذه المدن على أذنى مثل كلمات من
لغة الهنولولو . سألت مارتن وبيت كيف خطرت هذه الفكرة على بالهما ،
ومن أين أتيا بالمال ؟ كيف تخيلا أن تقوم برحلة مخالفة للقوانين فى عيد
زواجنا العشرين ؟

كنت واثقة من أن إرنست لن يقبل ذلك . الأشهر الماضية كانت
جحيماً بالنسبة إليه . أشياء أخرى تماماً كانت تشغل بالنا غير إيطاليا ،

لكنه ضمت. في منتصف يناير سألتني هل هناك ما ينبغي التحضير له ؟
سنبدأ الرحلة يوم ١٦ فبراير، وهو يوم الجمعة يقع في إجازات
المدارس . كما سألتني كيف سنعبّر الحدود الإيطالية والنمساوية
بأوراقنا الألمانية الشرقية؟ حكيت له ما أعرفه من الأولاد، إننا سنحصل
من مكتب سياحة في ميونيخ على بطاقات هوية ألمانية غربية، مزورة
ربما. عندئذٍ قلت لأنفسي : هذه هي نهاية الموضوع، ليس إرنست مويرر
من يفعل ذلك، إلا أنه لم يسأل سوى عن الصورتين، هل كانتا لهذا
الغرض؟ فأجبتته: "نعم، صورتان لجواز السفر، تاريخ الميلاد، الطول، لون
العينين - لا يحتاجون إلى أكثر من ذلك".

وسارت الأمور كما تسير دائماً. في الحقيبة الخضراء الداكنة
وضعتنا أمتعتنا، وفي الشنطة المخططة بالأحمر والأسود وضعت الشوك
والسكاكين والأطباق ومئونة الطريق : معلبات بها سجق وسمك محفوظ،
خبز وبيض وزبدة وجبنة، ملح وقلقل، شرائح خبز مجفف، تفاح وبرتقال،
ولكل واحد ترموس به شاي وآخر به قهوة. أوصلنا بيتر بسيارته إلى
بايرويت في ألمانيا الغربية. على الحدود سألونا إلى أين نريد الذهاب،
فقال بيتر للتسوق.

كان القطار يقف أمام كل كوخ. غير التلوج والشوارع المضاعة
والسيارات ومحطات السكك الحديدية لم أر كثيراً. جلسنا وسط رجال
كانوا في طريقهم إلى العمل. لم أفكر في إيطاليا إلا عندما بدأ إرنست
يقشر برتقالة.

لابد أن إرنست تعرف عليه في محطة ميونيخ. لم ألاحظ ذلك.
ومن أين لي أن أعرف كيف يبدو؟ بل إنني لم أعرف حتى اسمه الحقيقي.
ابتداءً من فينسيا أتذكره جيداً. رجل متوسط القامة يتحرك
"بلهجة"، له عين زجاجية سيئة التركيب، وبدون رموش. كان يحمل معه
كتاباً ضخماً، ويضع إصبعه بين الصفحات كي يستطيع أن يستعرض
دوماً معلوماته عندما تقوم جابرييلا، مرشدتنا السياحية الإيطالية،
بشرح شيء. نموذج متجسد "لأبي العريف". كل فترة يمر بيده على
شعره الأسود الذي غزاه الشيب، ويزيحه إلى الخلف. لكن شعره لا يلبث
في اللحظة التالية أن يسقط على جبهته وحدقتيه.

قصر النبلاء في فينسيا، الأعمدة والسباع التي كنت رأيته في
التليفزيون. نساء فينسيا - حتى اللاتي في عمري - يرتدين جيبات
قصيرة وقبعات جميلة عتيقة الطراز. كنا نرتدى ملابس أديفاً من اللازم.
حتى نتمتع بالاستقلالية كنا نأخذ معنا في شنطة المئونة بعض المعلبات
وخبزاً وتفاحاً لاستهلاكنا أثناء النهار. أما في المساء فكنا نتناول طعامنا
في الغرفة. لم نتحدث كثيراً، إرنست وأنا، ولكن أكثر من الشهور
الماضية على كل حال. *Una gondola, per favore* (*)، هتف زوجي ذات
صباح وهو يغتسل. كان الانطباع الذي يتركه إرنست على وجه العموم
هو الإعجاب بإيطاليا، بل لقد مد يده مرةً إلى يدي وأمسك بها.

(* الجملة الإيطالية وترجمتها: "تريد جنوداً من فضلك". والمقصود تلك القوارب الصغيرة
التي تقل الناس في فينسيا. (المترجم)

لم يأتِ على ذكره بكلمة واحدة إلى أن وصلنا فلورنسا . هناك كنا ننتظر نزول المجموعة كلها من البرج ذى الأجراس . ساعتئذٍ سألت إرنست: "أين إذن متسلق الجبال؟" لم أنتبه لذلك، أو اعتقدت أنهما تبادلا بعض الكلمات ؛ إذ إن إرنست كان يذهب قبلي لتناول الفطور . قال شيئاً عن تمارين شد الجذع التى يمارسها مستخدماً عارضة إطار الباب . قبلها، فى بادوا، أصر متسلق الجبال على أن نتوقف حتى نزر كنيسته صغيرة، أو حلبة مصارعة . وكلها أشياء لم يتضمنها برنامج الرحلة . أدت رأسى ناحيته . كان يجلس فى آخر الأوتوبيس . لم يكن هناك ما يمكن أن يشتت نظراته المسددة نحو زجاج السيارة الأمامى، وكأنا كنا موجودون فقط حتى يصل سيادته إلى هدفه . ربما أظلمه، وربما لم أكن سأحتفظ به فى الذاكرة بدون الجلبة التى كان يحدثها، وربما أخطت تعاقب الأمور، لكننى بالتأكيد لا أخترع شيئاً .

حاولوا أن تتخيلوا هذا: فجأة يجد الإنسان نفسه فى إيطاليا وفى جيبه جواز سفر ألمانى غربى . أعطونى اسم أرزولا، وإرنست أصبح بودو . محل الإقامة: شتراوبينج . أما اسم العائلة فقد نسيته . إننا فى الجزء الآخر من العالم، ومع ذلك يتعجب المرء من أنه يشرب ويأكل ويضع قدماً أمام الأخرى كما فى وطنه، وكأن كل ذلك بديهى . عندما أنظر لنعفسى فى المرآة أثناء تنظيف الأسنان، لم أكن أصدق أننا فعلاً فى إيطاليا .

قبل أن تغادر فلورنسا فى اتجاه أسيزى - اليوم الأخير فى الرحلة - توقف الأوتوبيس فى موقف للسيارات حيث استطعنا أن نلقى نظرة

على المدينة. السماء ملبدة بالغيوم. اشترى إرنست طبقاً عليه إحدى رسومات دانتى وأهدانى إياه - بمناسبة عيد زواجنا.

انطلقنا وسط الأمطار، وشيئاً فشيئاً ابتلع الضباب الطريق حتى إننى لم أر سوى الحواجز المعدنية على حافة الطريق، إلى أن غلبنى النعاس.

عندما أيقظنى إرنست كانت المجموعة تغادر الأوتوبيس. كنا نقف عند محطة وقود. عطبُ ما أصاب المحرك أو ماسورة العادم. هبط الثلج على المظلات، وأضاعت السيارات كشافاتها. جو ملائم تماماً لتعطل السيارة. شرع سائقنا يبحث عن تليفون. أتذكر كيف كان يحرك ساعديه، بالتقاطع، يميناً ويساراً. أعلنت جابرييلا أنه لا بد من انتظار عمال خدمة تصليح السيارات. اقترحت أن نذهب للتفرج على مدينة بروجيا ومعالمها السياحية.

أحضرنا معاطفنا وسرنا بمشية الإوزة تجاه المدينة القديمة، وعلى رأس المجموعة جابرييلا ومعها متسلق الجبال الذى هاج وماج وأصر على مواصلة السفر إلى أسيزى، مدعياً أن بيننا وبين المدينة "فركة كعب"، حتى إنه يمكن رؤيتها إذا كان الجو صحواً. لم يمل تكرار كلمة: "فركة كعب". مع أن حظنا كان تحت أقدامنا كما يقولون. ماذا لو كانت العربة تعطلت فى منتصف الطريق السريع، أو أننا تُهنا على الطريق الزراعى مثلاً؟

الثلج الآن متراكم فوق الرصيف. أبواب المتاحف والكنائس مغلقة، استراحة الظهرية. قادتنا جابرييلا إلى نافورة "ماجورة"، وتحدثت قليلاً

عن دار البلدية والكاتدرائية التي بدت ضخمة؛ لأن أسوارها اختفت في الضباب. مضت ٥٠٠ عام وما زالت الواجهة تون أحجار تكسوها. على الإثر قالت امرأة من مدينة بلاون: مقارنةً بذلك لم تكن ألمانيا الشرقية سيئة إلى هذا الحد. هكذا ظلت المرأة تسخر وتهكم. لم يبدُ على إرنست أى رد فعل. ببساطة تجاهل الأمر برمته.

في ميدان السوق توزعت المجموعة على المقاهى والمطاعم هناك. مطعمنا كان اسمه "فيكتوريا". حتى الآن لم نتفق شيئاً، باستثناء طبق دانتى وعدة فناجين قهوة؛ لذلك قررنا أن نطلب شيئاً. كان الجرسون يتلوى كالثعبان بمنزرتة الطويلة البيضاء بين الموائد القليلة التي امتلأت على حين غرة. أحياناً كان يتخشب في منتصف الحركة، ماداً جذعه في اتجاه شخص ينادى عليه. فقط أمام شاشة التليفزيون - حيث ترقب وصول متزحلق على الجليد إلى الهدف - كان الصمم يصيبه فجأة. جلس إلى مائدتنا أيضاً رجلان من دريسدن، طبيب أطفال ومصمم مناظر مسرحية. كانا يستطيعان التحدث ببعض الكلمات الإيطالية؛ لذا شرحا لنا قائمة الطعام. حاول إرنست أن يشير للجرسون، بينما ركزتُ اهتمامى على إصبع إرنست حتى لا ينحرف عن السطر المكتوب عليه **Pizza con funghi** (*).

فجأة نهض طبيب الأطفال؛ ولأنه أخذ يحملق في النافذة فقد استدرت. من الناحية الأخرى تدافعوا كلهم ناحية الميدان ، كأطفال في

(*) أى بيتزا مع عيش الغراب . (الترجم)

طريقهم إلى معركة بكرات الثلج: جابرييلا بقبضتين مضمومتين، الآخرون في إثرها كسربٍ صاخبٍ إسفيني الشكل. الكراسي حولنا تُدفع إلى الوراء. وعندما تزاحم الجميع - مروراً بالجرسون - في اتجاه المدخل، كان وقع الأقدام كوقع حوافر الخيل. تبعناهم إلى الكاتدرائية حيث التأمت دائرة صغيرة من الناس على السلم أمام المدخل الجانبي. على ارتفاع أربعة أو خمسة أمتار كان متسلق الجبال يقف على إفريز يمتد أفقياً على طول السور، فاردأً يديه على الجانبين، ملتصقاً بكتفيه على الجدار. ساد هدوء غريب، وكأن هذا «المتشعلق» من السائرين أثناء النوم، لذلك خشى الناس أن يستيقظ لأدنى صوت ويسقط. الجليد الباهر جعل جابرييلا ترمش بعينيها. آخرون ظللوا بكفوفهم فوق أعينهم ليروا أفضل. حذاؤه النصف رقبة كان ملقىً أسفله تماماً. مد رأسه إلى الأمام، وكطائر ألقى نظرةً علينا في الأسفل بعين واحدة. كلا الجوربين كان عالقاً بأطراف أصابع قدميه. بدا التسلق سهلاً لأن تدريب عليه ولو قليلاً. ربما وصل إلى المنبر الصغير عن طريق تسلق أحجار المدخل، ثم وقف على الإفريز إلى أن وجدت قدماه مكاناً على الأحجار البارزة وعلى السقالات.

"لا تنظر إلى أسفل"، هتف أحد الرجال. على إثر ذلك مد متسلق الجبال ساعده الأيسر، ثم استدار بخطوات متخشبة، وعلى الفور التصق ثانيةً بالسور، وتشبثت أصابعه بالنتوء التالي. تحسست ساقاه الجدار. كضفدعة أخذ يحرك ساقيه متسلقاً إلى أعلى، ثم استند على الحافة البارزة أعلى النافذة.

جذبني إرنست من كوعى. "هيا بنا من هنا!"، همس في أذنى. كان السيد زونيبرجر - العملاق ذو الشعر الأحمر - أول من شرع يلتقط الصور. هتفت جابرييلا لاعتة: "لو قفز هذا الرجل إلى أسفل!". أخذت تروح وتجيء وسط المجموعة، ويدي طوت ياقة جاكنتها المنتصبة، ثم أسرعته تنزل الدرج في اتجاه شرطية كانت تضع على رأسها خوذة بيضاء بدت بها وكأنها في كرنفال. من الخلف لم ير المرء من رأس جابرييلا سوى ضفيرتها الصغيرة البارزة. تحدثت الشرطية في جهاز لاسلكي.

قالت السيدة التي تسكن مدينة بلاون إن الموضوع الآن دخل في الجد، ثم صاحت: "هربت، هيا يا هربت، انزل، هيا...". قاطعها زونيبرجر لأنه رأى أنه من غير اللائق أن تناديه بهربت. هربت هو الاسم المكتوب في هوية شتراوينجر. بعدها ران الصمت، ولم يتحدث الناس إلا همساً.

ضايقتني معاملة إرنست لى، شده وجذبه. أردت أن أبعد عنه عدة خطوات، إلا أنه أمسك بذراعى. "لن يحدث له شيء!" فح في أذنى، وأضاف: "إنه زيوس، هيا!"

"لا!"، نطقها بون وعى. هذا الاسم سمعته آخر مرة قبل عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً. "زيوس؟"

أدارت جابرييلا رأسها. "هل يدعى هكذا؟ زيوس؟"

وفجأة أخذنا نتبادل النظرات جميعاً.

"هل يدعى زيوس؟"

"هذا الرجل لن يسقط"، قال إرنست.

"زيوس؟"، تساءل شخص بصوت عالٍ. وعلى الفور صاحوا كلهم: "زيوس، زيوس"، وكأنهم عثروا أخيراً على الكلمة التي انتظروها على أحر من الجمر كي يكسروا جدار صمتهم، ويشعور يشبه التحرر هتفوا جميعاً حولنا: "زيوس، زيوس!"

لم يصمتوا إلا عندما ابتلعتة سحب الضباب. البعض مد ذراعيه ليشير للآخرين أين رصد زيوس آخر مرة. تناقلت الأيدي آلات التصوير المزودة بالزوم والتي استعملت كمنظار مقرب. من سحابة الضباب سقط جورب في منتصف الدائرة التي كونها حول حذائه. أعقبه بعد قليل سقوط الآخر. أصابتنى رعدة في كلتا المرتين.

وفجأة ظهر زيوس كالشبح من جديد. انحنى إلى أسفل انحناءة دفعت البعض إلى الصراخ والرجوع القهقري. كان من الممكن أن ينتشر الذعر. أمر لا يُصدق، كيف وجد شيئاً يرتكز عليه على هذا العلو! سال لعبه بين شفتيه، وتحرك كعنكبوت معلق بخيط، إلى أن تحرر وهبط بهدوء وسط الثلج. بجسد مقوس، وبفم معوجٍ ذكرني بالأشكال التي تقذف الماء من قمها في نافورات ناومبورج أو براغ، شرع يلقي خطاباً.

لم يعرف أحد بالطبع من المقصود عندما تحدث عن "مويرر الشيعوي الأحمر"، ويدهى أن الإيطاليين لم يفقهوا حرفاً مما نطق به. وصف إرنست بالرجل "ذي البدلة الخضراء المُستغلّ لمنصبه"، مشيراً

بذراعه الممدودة ناحيتنا. لم يفهم أحد قصده. تعجبت كثيراً لقدرة على الصراخ، من أين أتى بها؟ القصة تعود سنوات طويلة إلى الورا، كما أن إرنست لم يكن مسروراً عندما فعل ما فعل، أعلم ذلك. كان في البيت يطلق عليه "زيوس"، وهو اسم الشهرة الذي كان الآخرون يستخدمونه أيضاً. اسمه الحقيقي شوبرت، ديتر شوبرت.

إذا لم يدقق المرء النظر فإنه لم يكن يسمع سوى الصراخ السخيف. اعتقدت أن زيوس قد يسقط في أي لحظة، وتشج رأسه أمامنا. تخيلت كيف سيتزاحم الجمع إلى الأمام حتى يروه. لن تواتي أحد الشجاعة كي يلمسه. سيبدو جسده سليماً دون خدش، كما تبدو جيفة الحيوانات أحياناً على حافة الطريق، فقط الدم المنبجس منها والمتجمع تحتها يجعل الإنسان يحدس ما حدث. أخذت جابريلا تتحدث إلى نفسها برأس منكسة.

مرّ وقت طويل إلى أن صمت زيوس، وكأن الثلج قد أحكم قبضته عليه وخنقه. عندئذٍ شرع يتزحزح سنتيمترات معدودة ناحية الشمال في اتجاه المزاب. أضحت حركاته أكثر حذراً وتردداً، وكأن السائر أثناء النوم قد استيقظ الآن.

"خلاص، انتهى الموضوع"، قلت لإرنست، وشبكت ذراعي في ذراعه. كنت أقصد الصراخ بالطبع. ظل إرنست يضع يديه في جيبه محملاً في ضفيرة جابريلا البارزة.

تعلق زيوس بمانعة الصواعق وهبط. استقبله أفراد من الشرطة الإيطالية وأحاطوا به، بينما أخذ يلبس جوربه وحذاءه الذي غطاه الثلج.

اقتربت عربة مطافئ بأنوارها الزرقاء. رسمت جابرييلا الصليب على صدرها، ثم أخبرتنا بموعد التجمع عند الأوتوبيس وانصرقت مع زيوس والشرطة. انقسمت مجموعتنا من جديد. الجرسون نو المنزرة الطويلة أسرع خطاه وسبقنا إلى "فيكتوريا".

لبرهة ظلت واقفة مع إرنست. من كُمي جاكته الجديدة الطويلة لم تبرز إلا أنامله. بدأت أشعر بالبرد، وتوجهنا إلى الأتوبيس.

فجأة سأل إرنست: "هل تشمين؟"

"نعم". أجبته معتقدةً أنه يقصد البنزين، فرائحة كل شيء هنا مختلفة.

"فراولة"، هتف. "تفوح في الجو رائحة فراولة."

لم نزرع شيئاً في حديقتنا إلا الفراولة. كنا نميز بين السنوات بعدد التورتات التي أصنعها بالفراولة. أضحي شرب القهوة مع الضيوف شيئاً احتفالياً بحق عندما أقول: هذه آخر تورتة. فراولة لآخر مرة في هذا العام. ورأيتُ أمام عيوني حديقتنا والكوخ الذي أسميناه "إلى جحر الثعلب". عندئذٍ قلت: "كئوس البيرة الفارغة. هل تشم رائحة كئوس البيرة الكثيرة الفارغة على المائدة تحت أشعة الشمس؟"

أنا متأكدة أننا لبرهة رأينا الأشياء نفسها أمام أعيننا: الصينية القديمة، والكئوس ذات النقطة الحمراء في القاع، وثمار الفراولة في حديقتنا.

فتح السائق الباب. دعوته أن يشاركنا الطعام. كُماً قميصه مشمران لأعلى. مسح يديه المتسختين في منشفة، وانهمك في حشو فمه بالطعام. ما زالت لدينا كميات كبيرة من المأكولات، وحتى من التفاح، رغم أننا كنا نتناول طعامنا دائماً من شنطة المؤونة، باستثناء وجبة الفطور الشحيحة في الفندق. كنا نشعر نحن أيضاً بالجوع. ظللنا نأكل حتى عندما رجع السائق إلى مقعده واتكأ على ظهره واسترخى ليغفو قليلاً قبل رحلة العودة. في تلك الأثناء كان الثلج قد ذاب.

لماذا أحكى هذه القصة؟ لأن الإنسان جُبِل على النسيان بسرعة، رغم أنه لم يمضِ وقت طويل بعدُ على تلك اللحظة التي فكرنا فيها - إرنست وأنا - في الشيء نفسه، ولا على تلك الأيام التي كنا نحمل فيها شنطة مخططة بالأحمر والأسود مليئة بالأطعمة المحفوظة، ومنتقل بها من مكان إلى آخر.

الفصل الثانى

نقود جديدة

كونى شوبرت تحكى حكاية قديمة: شاب يأتى
إلى المدينة، يعقد صفقات، ويوقع فتاة فى غرامه،
ثم يختفى. السذاجة والحيلة.

وصل هارى نلسون إلى ألتوبورج قادماً من فرانكفورت فى شهر
مايو ١٩٩٠، بعد مرور أسبوع على عيد ميلادى التاسع عشر. كان
يبحث عن منازل، ويبحث أكثر عن أراضٍ مخصصة للبناء على الطرق
المؤدية للمدينة. كان يريد إنشاء محطات وقود. هارى متوسط القامة،
داكن الشعر، ولا يدخن. نزل فى فندق المدينة اليتيم، "فنتسل"، فى
الطابق الأول. فى كل مكان يظهر فيه - حتى على الفطور أو العشاء -
كان يحمل يوماً حقيبة جلدية مزودة بقفلين يعملان بالأرقام.

منذ سبتمبر ٨٩ أعمل نادلة فى "فنتسل". هذا أفضل عمل وجدته
فى محيط سكنى، وإلا توجب على السفر إلى لايبتسج أو إلى جيرا
أو مدينة كارل ماركس. رئيستى فى العمل - إريكا بانرت التى أعرفها

منذ فترة تأهيلي المهني - قالت لي ذات مرة إنها كانت في السابق مثلي تماماً، تماماً مثلي، رشيقة وجميلة. أعرف طبعاً أن فمي أصغر قليلاً من اللازم، وعندما أمشي مسرعةً تهتز وجنتاي لدى كل خطوة اهتزازاً خفيفاً للغاية.

أحببت هاري، وخصوصاً طريقته في المشي عندما يدخل إلى الغرفة ثم يحيينا بإيماءة رأس، وبعدها يجلس واضعاً ساقاً فوق ساق، ويسحب بنظونه عند الركبة إلى أعلى قليلاً، طريقته في تنويع النبيذ، وفرد منديل السفر. أحببت عطره، ووجهه في المساء الذي يبدو غير حليق، وأنه كان يخلط بين أوراقنا النقدية، وأنه كان يعرف أسماء دون أن يضطر إلى الحملقة في اللافتات الصغيرة التي نعلقها على صدورنا، وأكثر ما أحببته فيه هو تفاحة آدم. كنت أتفرج على هاري وهو يشرب. بطريقة آلية كنت أفعل ذلك، ضد رغبتى، وفي طريق عودتى إلى المنزل كنت أحاول أن أتذكر ملامحه بكل دقة ممكنة.

كل غرف "فنتسل" كانت مشغولة؛ لذلك فضل النزلاء الذين يسافرون في عطلة نهاية الأسبوع أن يدفعوا ثمن المبيت بدلاً من أن يخلوا الغرفة. في المساء كانت هناك مائدة لستة أشخاص محجوزة لهاري. كان لديه دائماً ضيوف. إريكا كانت تهمس في أذنى بأسمائهم، وتلوح ل بعضهم بيدها وكأن النار قد مست أصابعها، وتقول: "لم ينسوا أبداً ما كانوا يملكونه."

لم يكن هاري يوجه إلا الأسئلة، فإذا بدأ الناس يحكون يكون الوقت قد تأخر. لم يضايقنى العمل طويلاً، بالإضافة إلى ذلك كنت

ولا زلت أعتقد أن العمل نادلة في مطعم أسهل من الخروج صباحاً من المنزل بحقيبة الملفات لإبرام عقود.

عدا هارى لم يبق سوى نزلاء قلائل في نهاية الأسبوع. أتذكر رجلاً بديناً يدعى تشيسلا من مدينة كولونيا. كانت تعمل لديه مجموعة من الشباب الذين يعرضون للبيع كاسيتات وأسطوانات ويتنقلون بها من سوق إلى آخر. في "فنتسل" كان يقابل هؤلاء البائعين، شباب من المنطقة يفهمون بعض الشيء في الموسيقى. في الأغلب كانوا يأكلون ويشربون هنا، إذ إن تشيسلا كان يتركهم ينتظرون حتى يتأكد من صحة الحسابات. إريكا كانت تهتم بأمر بيتر شموك الذى يعمل فى "الكوميرتس بنك". شاب نحيل نو كفين ضخمتين وضحكة بلا صوت. كان يظل جالساً حتى يتوفر لها الوقت للإصغاء إليه. كان هناك أيضاً رجل من شركة تأمين "أليانتس"، كنا ندعوه مستر ويلا، وواحد آخر كنا نسميه شوشاين. نادراً ما كانوا يتبادلون الأحاديث فيما بينهم خلال الأسبوع. فقط فى أيام الأحاد، عندما كان المرء يرى من غرفة الفطور طوابير البشر التى تقف فى الناحية المقابلة أمام المحطة فى انتظار وصول صحيفة "بيلا" (*) - كان الناس يشترون فى أغلب الأحيان على الفور أكثر من نسخة - فقط فى تلك الأيام كانوا يتبادلون النكات حول ذلك، ويتجمعون كلهم على مائدة واحدة.

(*) صحيفة "بيلا" الشعبية هى أكثر الصحف الألمانية [الغربية] توزيعاً . (الترجم)

فى منتصف يونيو نشرت صحيفتان - "فولكس تسايتونج" و "فوخن بلات" - صوراً لهارى وهو يصافح عمدة المدينة الجديد. كان من المنتظر أن يتم بناء محطة وقود خلال عام ١٩٩٠، أعتقد تابعة لسلسلة BP.

وفجأة تردد أن السيد نيلسون سيسافر، ثم سمعت أنه وجد شقة وسينتقل إليها، كما قالوا إن هارى نيلسون سيسافر لمدة أسبوع، ويعود. كنت أود أن أعد له علبة بها زاد للطريق، إلا أنني خفت أن يلاحظ الآخرون ذلك، أو أن يشعر أنني أفرض خدماتى عليه.

أخذت إجازة لمدة أسبوع، شبعت خلاله نوماً. فى البيت كان والداى يكثران التحدث عن النقود الجديدة التى ستطرح للتداول بدءاً من الاثنين القادم. أبى - الذى انضم بعد رحلته الفاشلة إلى أسيزى لحزب DSU اليميني المتطرف - قال إن ما أفعله هو عين العقل. اليابانيون يكتفون أيضاً بخمسة أيام فقط إجازة فى السنة. لابد أن يبذل المرء الآن قصارى جهده. حتى أمى قالت إنه لابد من فصل الغث عن السمين الآن، فنحن فى وسط المعمة. ذات مرة تخيلت وأنا فى البانيو أنني أقبل هارى على تفاحة آدم.

فى يوم الاثنين، ٢ يوليو، بدأت ورديتى فى الظهيرة. المطعم خالٍ من الزبائن. سيستمر الأمر على الأقل ثلاثة أسابيع أو أربعة، قالت إريكا، حتى يكون الناس عندنا أيضاً على استعداد لدفع نقود غربية مقابل قطعة ستيك.

حوالى الواحدة ظهراً دخل اثنان بشرتهما داكنة، "باكستان" كما أسمتهما إريكا، يتاجران فى السجاد. عند تحصيل النقود خامرني نفس الشعور كما فى بداية فترة تدريبي عندما قدمنا الطعام لبعضنا البعض على سبيل التمرين، ودفعنا الحساب بنقود لعبة.

ظهر هارى فى المساء. عندما دخل المطعم حاملاً حقيبة الملفات قال: "مساء الخير!"، وجلس عند النافذة، فى المكان المحجوز له دائماً. أخيراً رأيت أذنيه الصغيرتين مرة أخرى، وأظفار أصابعه العريضة، وتفاحة آدم. كان هارى يرتدى قميصاً قصير الكمين، وينطلقاً من الكتان، وصندلاً بدون جوارب. قالت إريكا إن هارى قدم استقالته، لكنه يريد البقاء هنا. "واحد مثله"، همست فى أذنى، "يحتاج دائماً إلى الجديد، دائماً يتحرك إلى الأمام، إلى الأمام، إلى الأمام".

بعد أن أفرغ الباكستانيان حمولة باص الفولكس فاجن من السجاد، وحملاه إلى غرفتهما فى الطابق الثانى، طلبا شوربة. كان هارى يقرب فى صحف الأسبوع الماضى وهو يتناول طعامه، أما أنا فكنت أحضر له كأس نبيذ بعد الآخر.

تشيلا - الذى كان قد أدخل غرفته - جاء لإحضار بعض الأشياء، ثم جلس فيما بعد معي. "فى صحة مشروعك الخاص." ورد هارى: "فى صحة المحل، وأن يسير كل شىء على ما يرام." فأجابه تشيلا: "فى صحتنا!" هذا الحوار احتفظت به فى الذاكرة على الرغم من تفاهته. ولأن بار الفندق كان مغلقاً يوم الاثنين، فقد انطلقاً معاً حوالى العاشرة. رأيت الرجلين يمران بجوار الشباك فى اتجاه مركز المدينة.

لف تشيسلا ذراعاً حول كتف هارى، وبالثانى أخذ يلوح ويشير، مسدداً نظراته نحو الأرض. بقيت بمفردى مع الباكستانيين. تحدثت المرأة بصوت خافت مع الرجل الذى كان يحسب شيئاً على الآلة الحاسبة، ثم أدار الآلة ليريها الناتج. قلت لهما إننى لابد أن أحاسب الآن لأن المطعم سيغلق. دفعا واختفيا.

أخذت أفرش الموائد فى الجزء الخلفى من المطعم استعداداً لوجبة الفطور. بعد أن انتهيت، جلست إلى المائدة بجوار الباب وأخذت أطبق المناديل. العاملون فى المطبخ انصرفوا إلى بيوتهم. فيما عدا صوت الراديو فى الاستقبال ساد الهدوء فى الفندق.

عندما سمعت صليل الشبكة المعدنية عند بوابة الدخول بعد الحادية عشرة والنصف بقليل، عرفت أن هارى عاد. لم أكن بحاجة حتى إلى النظر إليه. بقى خلف مقعدى واقفاً، ثم انحنى ببطء على كتفى. أدت رأسى ولمست أثناء ذلك وجنته. "كونى"، همس فى اللحظة التى شعرت فيها بكفه. لمس أولاً لافتة الاسم، ثم تحسس طريقه إلى صدرى.

"لا"، صحتُ. ضغط هارى صدرى ناحية ظهر المقعد. أخذ يقبل عنقى، فوجنتى، ثم - عندما رجعت برأسى للوراء - شفتى. مد ذراعيه وأصابعه إلى ركبتى. استندت تحت ذراعيه بسرعة إلى الجانب، ونهضت.

كان أطول منى كثيراً. اكتسى وجهه الآن لوناً أحمر قانٍ، بينما كان شعره أشعث. نظراته مسددة إلى أسفل، إلى حذائى القماش

الأبيض نصف الرقبة. تطلعت إلى خصلات شعره الواقفة على رأسه.
اكتسبت ملامح هارى الآن جرأة لم ألاحظها فيه من قبل.

"تعالى. فلنتمش قليلاً".

استولى على الخوف من أن أخطئ. أحضرت الجاكيتة التريكو،
وأقفلت باب المطعم، وسلمت المفتاح عند الاستقبال. فى الخارج لف
هارى ذراعه حول خصرى. وددت لو اختفيت عن الأنظار، إلا أننا كنا
نقف كل عدة خطوات، لتبادل القبل. لقد عثر كل منا إذن على الآخر،
هكذا ببساطة، بلا كلمات كبيرة. هكذا فكرت.

عند التقاطع جذبني على قطعة الأرض المعشوشبة. "هارى"،
همستُ أملهً أن يكون فى هذه الكلمة الكفاية. انحدرت يداه من خصرى
إلى أردافى، ثم إلى أسفل، إلى الساقين، ومن تحت الجيبة ارتفعت ثانية.
"هارى"، رجوته. قبلت جبهته، فى حين امتدت يداه إلى الكيلوت، ثم سحبه
إلى أسفل. أحكم هارى الإمساك بى، واندرست إحدى يديه إلى ما بين
فخذى، وشعرت بأصابعه، إصبع واحد فى البداية، ثم أصابع عديدة.

بدا هارى سعيداً. ضحك قائلاً: "لم لا؟ قولى لى، لم لا؟" رأيت
شعره وقفاه. واصلت التحدث. لم أفهم كل ما قاله؛ لأنه كان يضحك
كثيراً. لا هو أصغى إلى ولا يداه. أعقب ذلك ألم، بدأ من الكتف وسرى
إلى الظهر. "ارفعى ذراعك"، صاح صوت، "ارفعى ذراعك!" للحظة لم أدر
أين أنا، ولا ما الشئ الذى جثم على. شدت البلوزة إلى أعلى. وكرر
الصوت جملته عدة مرات، مشدداً على كل مقطع: "ارفعى ذراعك!"

لم يعد صوت هارى يشى بالسعادة. استند لحظة على معصمى، وبعدها لم أعد أرى شيئاً. ظللت أسمع فحسب، ثم أحسست به يلحس ويعض. حاولت أن أتنفس بانتظام. ركزت فكرى على ذلك. سيان ما يحدث ، المهم أن أتنفس. هذا هو ما أتذكره.

ظل هارى راقداً فوقى. استطعت أن أخلص ذراعاً من البلوزة، وحاولت أن أستدير وأبعده عنى. كانت السماء سوداء، والمصابيح كزهرة رمادية كبيرة. تدحرج هارى على ظهره، فاغراً فمه. قميصه مشدود لأعلى. البطن الأبيض مثلث، الصرة قمته. ارتخى عضوه جانباً، فوق فتحة الكسبون مباشرة.

"هارى"، نطقت. "لا يمكن أن تظل راقداً هنا." ابتلع ريقه. كنت أريد التحدث. تحدثت طوال الوقت الذى كنت أبحث فيه عن الكيلوت. تصرفت مثلما يسلك الناس الذين تعرضوا إلى حادثة فى فيلم. حاولت أن أشد الجاكتة من تحته، لكننى فشلت، ومشيت مبتعدة.

خطر على بالى الفكرة التى تجيئنى كثيراً فى الفترة الأخيرة وأنا فى طريقى إلى المنزل: ليس على سوى النوم، وفى الغد سوف أراه ثانية، زوجى القادم، أب أطفالى الكثيرين الذى لا يقارن برجل آخر فى الدنيا، الرجل الذى سيفرجنى على الدنيا، والذى يفهم كل شىء، الرجل الذى سيحمينى ، ويثأر لى.

ما حدث بعد ذلك عرفته من الجوابات والتليفونات. ظلت وظيفتى شاغرة، وفى الخريف أغلق "فتتسل" أبوابه. وجدت إريكا عملاً لدى إيطالى جربّ حظه بافتتاح مطعم بيتزا فى شارع المصنع. فى أبريل ٩١

وجد نفسه مرغماً على إغلاق المطعم. وجدت إريكا عملاً في مطاعم أخرى، ولكن ما تكاد تمر عدة أشهر على الافتتاح، حتى يغلق المطعم. حدث لها ذلك أربع مرات، وهو ما جلب لها في نهاية الأمر سمعة سيئة؛ أنها تجلب النحس. لم تلتصق السمعة بها طويلاً، فقد لاحظ الجميع سوء الأوضاع.

في تلك الأثناء كان هارى نلسون قد غادر بحقيبة ملفاته المدينة من جديد. يقولون إنه ما زال يملك عدداً من المنازل، ولكن لم يره أحد بعد ذلك.

لم أعثر على عمل إلا في الغرب، في مدينة لوبيك، وبعد سنتين عملت على سفينة سياحية إنجليزية. والداي يحكيان ذلك بسرور. كثيراً ما أتصل بهما تليفونياً، أو أرسل لهما كارتا سياحياً.

رغم أنني كنت ساذجة للغاية وبلهاء، فإنهما يقولان إننى أدركت مبكراً - عندما كان الآخرون لا يزالون يتمسكون بأهداب الوهم - ما ستؤول إليه الأمور هنا، ولديهما بعض الحق في ذلك.

الفصل الثالث

قصة جيدة فعلاً

دائى تحكى عن عيون التماسيح. إنها تكتب أقل مما ينتظره زبائن الإعلانات، وأكثر من اللازم عن المشاجرات. رئيسها - كريستيان باير - ساخط. حكاية بيتر برترام. فى النهاية لابد أن تفكر داني فى حجة مناسبة.

فبراير ٩١ . أعمل فى صحيفة أسبوعية. فى كل مكان ينتظرون الانتعاش الاقصادى. بينون سوبر ماركت ومحطات وقود، ويفتتحون مطاعم، ويقومون بإصلاح وتحديث أول مجموعة من المنازل. عدا ذلك ليس إلا بطالة واسعة ومشاجرات بين الفاشيين ومجموعات الشبيبة المسماة بالبانكس، بين حليقى الرءوس (السكينهد) ونوى الرءوس الحمراء، بين البانكس والسكينهد. فى عطلة نهاية الأسبوع يأتيهم المدد من المدن المجاورة، من جيرا وهاله ولايبنتسج-كونيفتس. المتفوقون عدداً يطردون الآخرين. الأمر يدور دائماً حول الثأر. المسئولون فى المدينة

وفى المجلس المركزى يطالبون الشرطة والقضاء باتخاذ خطوات أكثر حزمًا.

مطلع يناير كتبت صفحة كاملة عما يحدث كل يوم جمعة فى محطة السكك الحديدية. أمدنى باتريك بالصور. بعد ذلك بأسبوع أثارَت مقالة أخرى لى عاصفة من الجدل. استناداً على أقوال شهود عيان كتبت أن مجهولين فتحوا عنوةً فى الليل باب إحدى الشقق فى شمال مدينة ألتنبورج، وانهاالوا ضرباً على مايك ب من جماعة البانكس حتى كاد يموت. استفاق من الغيبوبة بعد يومين. كان أخوه يرقد فى القسم نفسه من المستشفى مصاباً بارتجاج فى المخ. الأب خدروه بغاز مهيج، أما الأم فكانت فى إحدى الدورات التدريبية.

منعنى باير، رئيسنا فى العمل، من أن أكتب اسمى على التحقيق الصحفى. أيضاً لم يسمح لى بكتابة اسم باتريك. أصر على هذا لأن صديقته كانت تنوى الانتقال للسكن معه. فكر باير جدياً فى شراء كلب شيفر لحراسة قسم التحرير، إذ إن "لا أحد يؤمن الإنسان ضد التخريب والنهب"، كما يقول.

كنت أشعر بالخوف أكثر من المسن الذى يسكن فى الطابق الأعلى لغرف التحرير. فى البداية وجدت أوراقاً تحت مسأحة السيارة تطالبنى بصفة نهائية بإرجاع نقوده، ثم مزق الإطارات الأمامية لسيارتى القديمة من طراز بليموت التى لم يرض أحد أن يؤمن لى عليها. فعل العجوز ذلك

مرتين. فى المساء كان ينتظر ساعات على الدرج المظلم أمام مدخل
الجريدة. لم أكن ألاحظ وجوده إلا عندما يزأر: "فلوسى، عايز فلوسى".
حاولت أن أتحدث معه، وقرعت جرس شقته. قبل أربعة أسابيع كنا
نتبادل الحديث بصورة طبيعية للغاية، بل لقد حملت ذات مرة دلو الفحم
بدلاً عنه، وصعدت به إلى شقته.

أنا مجهدة من فرط العمل وأعيش - منذ انفصل إيجار عنى -
عفيفة كالراهبات. أتفهم موقف إيجار. أنا ليس لدى حتى وقت لشراء
هدية لابن أختى بمناسبة عيد ميلاده الثالث.

مرة أخرى يذكرون اسمى فى غرفة رئيسنا باير، لأننى لم أنته بعد
من كتابة المقال عن عقارات نيلسون. هارى نيلسون من زبائن الإعلانات
فى الجريدة. أسبوعياً ينشر إعلاناً، على ثلاثة أعمدة، مائة مليمتر.
بالرغم من الخصم الذى يبلغ ٢٠ فى المائة فإنه يدفع ٣٣٦ ماركاً، زائد
ضريبة المبيعات، أى فى العام ١٧٤٧٢ ماركاً، زائد ضريبة المبيعات.
"أن أملك، أو لا أملك" يقول باير. السيدة شولتسه، التى تدخل
ممسكة بفتجانين من القهوة، تصب لى حليباً. فى العادة لا تفعل ذلك
إلا لباير.

أقول إن نشر صورة مع إمضاء أفضل من مقالة، وإننى أستطيع
كتابة أربع مقالات للتعريف بتلك الشركات على صفحة واحدة، لكننى
لا أعرف متى، وإننا لابد أن نتعلم أخيراً أن نقول فى بعض الأحيان
"لا". باير يتحدث من جديد عن الـ ١٧٤٧٢ ماركاً، وينتهى بالقول:
"ربما يتوجب علينا أن نتحدث عن راتبك، يا داتى".

أتطلع إلى الكسوة الخشبية لمكتبه المخابراتى - وهو من أثاث مكاتب الشتازى(*) فى المدينة الذى وُهِبَ إلى جمعية "الفوٲ" الخيرية المسجلة التى قامت بدورها ببيع ما لا تحتاجه بأسعار زهيدة. الأشكال المتموجة على سطح الخشب ذكرتنى مرة أخرى بسؤال باير أثناء المقابلة الشخصية، إذا كنت حاملاً أو "أخطط لمولد طفل". واصل أسئلته فى هذه الموضوعات، وكان يبدو على استعداد لتبرير سؤاله. فى البداية حملت فيه، ثم فى المكتب، وأجبت "لا".

فى كل مرة أنوى أن أتحدث مع الآخرين عن هذه التموجات الأميبية الشكل. كلنا مجبرون على تسديد النظر إلى هذه الخطوط والدوائر التى تشبه فى أقصى الشمال عين التمساح، ولكن لا أحد يتكلم عن ذلك، وأنا أنساها يوماً وكأئها حلم كريبه.

أشرح لباير - الذى يضع فى المواقف المحرجة إبهامه تحت السبابة أو الوسطى - أنه ليس من الجيد أن تتحنى صحيفة أمام عملائها. على العكس. لابد أن نهتم أكثر بالمحتوى، بالتصميم والتنظيم الداخلى. لابد أن نتبنى الموقف التالى: من المسموح أن يكون المرء زبوناً عندنا. العكس معناه أن نصير كالحذاء!

أجابنى قائلاً: "مهلاً، مهلاً، يا دانى!"

باير يكاد لا يكبرنى فى العمر. عندما ينادينى باسم العائلة فإن وقع اسمى يكون غريباً، لكن من السخافة أيضاً أن ينادينى بـ "دانى".

(١) شتازى : اختصار يشير إلى جهاز مخابرات أمن الدولة فى [ألمانيا الشرقية] . (المترجم)

يريد أن يكون زميلاً، وعادلاً، لذا يتيح لنا دائماً الوقت لتحدث. ولكن متى سمع كلامنا؟ إنه حتى لا يفكر في مقترحاتنا. إنه لا يفقه شيئاً في العمل، ويظن أنه إذا دبر النقود فستسير الأمور على ما يرام. قال لي إنه يجب أن أحضر المقالة عن هارى نيلسون المزودة بصورتين - إذ إن نيلسون قام بتجديد منزلين- كما رجاني باير أن أدع حروب العصابات على جنب" - على حد تعبيره - خلال الأعداد القادمة، وأن أهتم بمتابعة الموضوعات الأخرى. مثلاً مقالة عن البحيرة في روزيتس أو عن الممتلكات اليهودية السابقة في ميدان "ماركت بلاتس"، مناقشة نقدية حول المبدأ القائل: الإرجاع بدلاً من التعويض.

اتفقنا ألا نرفض أحداً يتصل بنا أو يأتى إلينا فى الجريدة، وأن علينا أن نستمع إلى كثيرين حتى نستطيع الحصول على قصة جيدة، فالمرء لا يعرف أبداً إذا كان بالمعلومات شيء من الصحة، وإذا كان بها، فما هو هذا الشيء؟ لا يريد شكاوى بعد الآن، أو على الأقل لا يريد شكاوى كثيرة، وعلى أى حال لا يمكن أن يسمح إطلاقاً بفقد عميل - نيلسون - ينشر مائة مليمتر على ثلاثة أعمدة. صافحني باير مودعاً: "إلى اللقاء. الساعة السابعة مساءً فى نادى السيارات. بعدها ممكن أن نشرب معاً كأس بيرة."

أتساعل متى سأرى الأميبيا وعين التمساح مرة أخرى، وهل ستكون حياتى قد تغيرت عندئذٍ.

عندما مررت بالسيدة شولتسه، مدت إلى سجل التنقلات، وعليه مفتاح السيارة الرينو وورقة: برترام، الساعة الخامسة مساءً، ثم العنوان والتليفون وعلامتا تعجب.

قالت: "إنه يعلم أنك ستتأخرين، وهو ينتظر".

تذكرت اتصاله التليفونى. تحدث بصوت خافت مضطرب، إلا أنه ليس بالصوت اليأس مثل تلك الأصوات التى تصل إلى غرفة نومها من العائلة التى تسكن بجوارها أو من العاملين فى الجراج. قال إن صحيفتنا هى الوحيدة التى يثق بها.

يسكن برترام فى شمال المدينة، شارع شومان، أمام مساكن الروس. أمام باب منزله تماماً أجد مكاناً شاغراً أستطيع أن أركن فيه السيارة. على الصعود إلى الطابق الرابع.

فتح بسرعة وصافحتنى. قلت له: ليس لدى إلا ساعة. رد قائلاً: على الأقل يمكننا البدء، ثم صب من الترموس قهوة. على طبقى وطبقه قطعتان من الجاتوه. وضع برترام منفضة سجائر ثانية على الطاولة الصغيرة أمام الكنية، ثم أشعل شمعة حمراء. "أم تفضلين الشاي؟"، تساءل وهو يجلس أمامى على الفوتيه. خلفه أرى حوض سمك بدون نباتات خضراء. أيضاً لا أرى أسماكاً.

أعداد من صحيفتنا مرتبة فى عدة كومات على الكنية. أقرأ المانشيت: "من جنوب أفريقيا عبر أستراليا إلى كندا: مطالب بممتلكات فى ألتنبورج"، الخميس ٢٥ أكتوبر ١٩٩٠. قبل معارك السكينهد والبانكس هبطت أرقام توزيع صحيفتنا إلى أقل من ١٢ ألف نسخة.

"أحسدك على مقالاتك"، بدأ بالحديث. "عندما يكتب المرء فإنه يرى العالم بعيون أكثر انتباهاً، ولكن لازم تكونى أكثر شجاعة..." بدلاً من أن

يواصل الحديث أخذ قطعة من الجاتوه المسمى "لدغة النحل"، وقال لى:
"تفضلى". عندما قضم انحرفت شفثاه وندت عن عينيه نظرة مرعوبة،
وازدادت التجاعيد بين حاجبيه عمقاً. بقم ممثلى راح يمضغ بعناية فائفة
مبالغ بها. فوق الكنبة كانت لوحة فان جوخ "مقهى ليلى" معلقة على
حائط مكسو بورق أبيض به نقش فضى اللون.

أخرجت جهاز التسجيل، وفتحت دفتر الملاحظات، ونزعت غطاء قلم
الحرير، ثم كتبت "برترام" وتحت الاسم جررت خطأً.

"حتى أكون صادقاً معك"، قال، "لم أحك ما حدث لإنسان". أسرع
فى مضغه ثم بلع. "أريد فى البداية أن أسألك إذا كنت تريد أن أخبرك
بذلك. إن ما حدث فظيع إلى حد ما. أنت أول إنسان أحكى له." نفص
راحة يديه فوق الطبق من فتات الجاتوه، ثم اتكأ إلى الورااء.

سألته إذا كان يسمح بأن أبدأ التسجيل.

فقال برترام: "آه طبعاً، بديهى." تدلى ساعده الأيمن من فوق
الفوتيه. "حدث ذلك يوم الخميس، من أسبوعين. كل خميس تذهب زوجتى
لزيارة إحدى زميلاتها فى العمل. كل واحدة تعتنى بشعر الأخرى، وكذلك
بأظفار القدمين. لا يكلف هذا شيئاً، ويتبقى لهن أيضاً وقت كافٍ حتى
تحكى كل واحدة للأخرى عما لا تحكيه النساء إلا لبعضهن البعض. فى
تلك الأمور يظل الرجال فى الخارج، شئنا أم أبينا. "كم تدفع دانيلا
مقابل الحصول على شعرك!"

تعاقبت عدة خبطات. لم ألحظ على الفور أن برترام هو الذى كان

ينقر على الفوتيه.

مثل كل يوم خميس خرجت دانيلا من شقتنا نحو السابعة والنصف مساءً. "واصل برترام، "كنت قد سمحت لابنتنا إريك - هو في الثانية عشرة من عمره، وإن كان يبدو أكبر من ذلك - أن يتفرج على التليفزيون، أو يلعب على الكمبيوتر حتى التاسعة. استمتعت بالهدوء، وعملت هنا في غرفة المعيشة - ربما أحكى لك عن ذلك في مرة قادمة، لا أريد أن أضيع وقتك. إلى هنا وكل شيء تمام. عندما دقت التاسعة ناديت على إريك وقلت له إن عليه أن يودع صديقه ويذهب إلى السرير. وصاح إريك من غرفته: حاضر يا بابا، حاضر. واصلت العمل وسمعت بعد عشر دقائق باب الشقة يتغلق. أسعدنى أن إريك سمع الكلام من أول مرة. كنت بصدد وضع اللمسات الأخيرة على جزء شائك".

"لمسات أخيرة على ماذا؟"

"أنا أكتب"، رد برترام. "وعندما أكتب لا أطيق أقل إزعاج أو أخف الأصوات. وهنا - وأنت خير العارفين - يسمع المرء بكاء امرأة عبر ثلاثة طوابق، ومع ذلك كان لابد - راغباً أو كارهاً - أن أنتظر حتى يجيء إريك ليتمنى لى ليلة طيبة. سمعت صوت السيوفون، وكذلك تحركاته فى الحمام، وعندما خيم الهدوء على الشقة اعتقدت أن إريك ذهب إلى الفراش نون أن يأتى إلى. فى الفترة الأخيرة كان يقوم بأفعال غريبة من هذا القبيل - مراهقة. أخذت أفكر هل سأزعجه إذا ذهبت إليه لأقول له تصبح على خير؟ ثم قررت الذهاب إليه، وهناك ... فتحت الباب ..."

وصمت برترام. عندما رفعت رأسى تلاقى نظراتنا. بقيت التجاعيد على جبهته رغم أنه كان يبدو منبسطة الأسارير.

تخيلي: ثلاثة فتیان كانوا يجلسون هناك. " نددت عن يده اليمنى إشارة وكأته ينتزع شيئاً من الهواء. "تخيلي ذلك. ثلاثة فتیان، كلهم فى عمر إريك، ثلاثة عشر عاماً على الأكثر، أو أربعة عشر عاماً على أقصى تقدير. جلسوا هناك يتهامسون دون أن يلاحظوا وجودى. لم أعرف بالطبع حول أى شىء يتهامسون. كل ما أعرفه أن ثلاثة فتیان غرباء يجلسون فى شقتى فى التاسعة والنصف مساءً. نهضوا وصافحونى الواحد بعد الآخر متممين بأسمائهم الأولى والعائلية، ثم جلسوا. سألتهم أين إريك؟، ولأنهم لم يجيبوا، كررت السؤال، وفجأة لمحت أن إريك يرقد تحت غطاءه المفرد تماماً، كأنه جثة - لا يظهر منه سوى جزء من الشعر فقط. إريك، ناديت عليه. إريك، ما معنى هذا؟ عندئذ وضع الفتیان الثلاثة إصبعاً فوق الشفاه محذرين، وقالوا بصوت كالفحيح: هس!

راح برترام يمثل ذلك، ويكرر: "هس، هس." انهمكت فى رسم حلقات مستطيلة على طول الصفحة، من اليسار إلى اليمين. احمر رأس برترام من الانفعال.

"لا توقظه، صاح أطولهم، لا بد أن ينام. رافعاً موسى حلقة سحب الغطاء حتى ظهر رأس إريك. أذن صغيرة جميلة، قال، ثم أضاف محرّكاً موسى يميناً ويساراً حتى أراه جيداً، وكأته ساحر يظهر شيئاً أمام الجمهور: أنف صغير جميل. صاح آخر: ليس أمامك أى فرصة. لذلك دعك من الحماقات، وإلا سيفقد إريك الصغير ليس فقط أذنه. سألتهم: من أنتم؟ فأجابوا: لا تحمل همنا. أمرونى بأن أجلس، وقيدونى على كرسي مكتب إريك. لبرهة استيقظت داخلى الرغبة فى

المقاومة: ستتمكن منهم، أنت أقوى من هؤلاء الأطفال، قلت لنفسى وهم يقيدوننى. إلا أنهم مسلحون بالأمواس، وإلى أن أصل إلى إريك سيكونون قد أصابوه بعاهة أو قتلوه. يبدو من تصرفاتهم أنهم لا يفعلون ذلك للمرة الأولى. تمرنوا على ذلك. إنهم محترفون".

ما زلت أرسم خطوطاً شعبانية حول اسم برترام. لم يعد يتحدث. أخذُ قضة من قطعة الجاتوه، ثم أضعُ الطبق مرة أخرى. برترام يرسل نظراته ناحيتى. "هذه القطرة يمكن أن تنقذ حوض أسماكك"، أقرأ فى إحدى الإعلانات فى الصحيفة الموضوعية أعلى الكومة، وتلقائياً أحسب الثمن: عمودان، طول الواحد ٦٠ مليمتراً، زائد ٥٠٪ للنشر على الصفحة الأخيرة.

"يرن الجرس لحظة"، يقول برترام ويتنحج. صرخت يأساً، كمجنون صرخت طالباً الغوث، إلى أن ضغط أحدهم براحة يده القذرة الرطبة على فمى، ثم دخل اثنان، كان كل منهما أن يبصقا على راح الخمسة يبصقون على، كل منهم ثلاث مرات على الأقل، ثم كمنونى بمنشفة دانييلا. الحمد لله أنتى تقريباً لا أصاب بزكام. لم يهمهم إذا كنت أختنق أو أفتس، ثم سمعت صوت المفتاح فى باب الشقة، وفجأة خيم عليهم الصمت التام. صاح أحدهم فى اتجاه المر: مساء الخير، يا مدام برترام. إريك الصغير ليس على ما يرام، تفضلى، بسرعة، هيا ادخلى! كدت أجن عندما فكرت فى الصدمة التى لا بد ستصيب دانييلا، صدمة لن تتغلب عليها طول عمرها، إلا أنتى مقيد، ولا أستطيع مساعدتها. لم أعد أستطيع أن أفعل أى شىء. أغلقوا الباب على الفور خلف دانييلا،

ثم قال الولد الذى يجلس على سرير إريك: اخلعى معطفك يا مدام برترام، الجو هنا حار، وعلى الفور قهقه الخمسة.

صوت برترام يغدو خافتاً ورتيباً. يتحدث بلهوجة وكأن الوقت ينساب من بين يديه. الفتیان يفتحون البنطلونات، ويحدث ما يجب أن يحدث. لا يترك برترام أى تفاصيل، وإن كان قد نسى منذ وقت طويل الكمامة التى تسد فمه.

"حكايته أصبحت غير منطقية"، قلت له وأنا أغلق جهاز التسجيل. وأضفت أنتى أود أن أستفيد من الدقائق الخمس المتبقية لأحكي له قصة عشته بنفسى، لكنها - على عكس قصته - حقيقية، حقيقية بكل تفاصيلها.

أحكى له أنتى فى الشهر الماضى كنت من الحمق بحيث دخلت شقة رجل عجوز مجنون يسكن فوق صالة التحرير فى الجريدة. عندما وقفت فى شقته الباردة - لأننى كنت أعتقد أن بإمكانى أن أطرد الأوهام المعششة فى رأسه - قادنى إلى غرفة النوم وزأر فى وجهى مدعياً أنتى لصة محترفة، زعيمة عصاية لا تقف فى طريقها ولا حتى الأقفال المصنوعة فى الغرب. ادعى أنتى سرقت منه معاش شهرين، وأيضاً بنطلونه الجديد وصندله البنى. ليس هذا فحسب، بل إننى ألقىت ببقايا الشمع فى عدة حلاقتة، وأخفيت البلطة خلف دولاب الملابس. وإثباتاً لصحة كلامه يخرج البلطة من خلف الدولاب، ويأمرنى أن أتبعه، لأن هذا لم يكن كل شىء، لا. جر ساقيه ماراً بى، ثم أطفأ النور، وساد الظلام التام. لم يكن هناك ضوء فى أى غرفة داخل البيت، ولا حتى فى الممر.

أقف هناك متخشباً أصغى إلى حفيف خطواته. ضربة واحدة تكفى، وأنا ... ثم يُشعل ضوء أحد المصابيح. أدرك أخيراً أنني أقف فى غرفة نوم رجل عجوز مخبول. وقف معطياً ظهره لى، واضعاً البلطة بين ركبتيه، ثم فتح أحد الأبواب، مغمماً بشيء عن اللصة المحترقة. حمدتُ الله على أن المفتاح كان فى الباب. أديره، لكن اللسان عصلج ... أشد الباب عنوة فينفتح، يتشبث العجوز بذراعى، ويصرخ، وتسقط البلطة على الأرض، الباب الآن مفتوح وعلى أعتابه تقف السيدة شولتس، شولتس البدينة، فتدفعه إلى الخلف. تدفعه بكلا كفيها إلى الخلف.

"هذه قصة جيدة بالفعل"، أقول له وأغلق سوستة شنطة يدي.
"ومقارنة مع قصتك فهي قصة بارعة!"

بضجر ينظر برترام أمامه. أقول له إننى غارقة حتى أنفى فى مثل هذا الهراء الذى حكاه لى لتوه، وأضع يدي أمام أنفى. "حتى أنفى!"، أصرخ فى وجهه وأضيف أننى لا أفهم أبداً لماذا أسمع كل يوم هذا الرغى الذى يحكيه لى أناس غرباء. تدهشنى هذه الحقيقة وأجد نفسى مرغمة على الضحك.

"بطريقتك هذه لن تتقدمى كثيراً"، قال برترام الذى شرع وهو جالس يجمع الأطباق. تناول طبقى وعليه قطعة الجاتوه "لدغة النحل"، والقطعة الأخرى المقضومة، ثم أمسك فنجانى نصف الملىء، ووضع كل شيء على طبقه، ونفخ فى الشمعة حتى انطفأت.

أقول له إنه ربما على صواب، وأحملك فى تموجات كسوة الخشب التى أراها الآن أمامى بدلاً من الطبق والفنجان، وما هى ثانية -

عين التمساح التي ترمقني من وراء جفون ثقيلة، عيون تتراعى لى من الموائد وودق الحائط والدواليب والألواح الخشبية فى الممرات، تتراعى لى من كل مكان - العالم ملئ بعيون التماسيح.

أنصح برترام - عندما تختمر مثل هذه الحكايات فى رأسه - أن يشتري مسدساً بغاز مهيج، أو سبراى يمكن وضعه فى حقيبة اليد، أو أن يلجأ لعاهرة، أو ينشر إعلاناً يبحث فيه عن امرأة. أثناء التحدث أركز نظراتى على تجعيدة جبينه التى خلطها لوهلة ندبة. وأنا أوزع نصائحى فكرت فى العيون والأميبيا والتماسيح التى أراها حولى فى كل مكان، وأحدس أن هذه هى البداية فقط، التى ستتبعها أشياء أخرى ستطاردنى أيضاً، وأنتى فى القريب العاجل لن تخطر على بالى فكرة واحدة نون أن أجدها مسمومة، أو تذكرنى بشيء وضيع، أو تشير قرفى.

أغلق برترام الباب خلفى. أتحسس مفتاح النور فى الممر، ثم أسمع التكة وبعدها يضىء النور فى طابق برترام.

إطارات الرينو على ما يرام، ولكن شخصاً ركن سيارة أويل ملاصقة لسيارتى، حتى إننى وجدت نفسى مرغمة على الصعود إلى السيارة من الباب الأيمن.

ما زال لدى وقت حتى السابعة. كانت المحلات التجارية قد أغلقت أبوابها. لا أعرف ماذا أفعل كل هذا الوقت. فى البداية عقدت عزمى على قيادة السيارة إلى الخلف، ثم الاستدارة، حتى أخرج سالمة من بين السيارات المتلاصقة على كلا الجانبين بجوار حاويات القمامة.

يخطر على بالي كم سيثير اختفاء سيارتي فرحة، العثور الآن على ثغرة
لركن السيارة، وربما أمام باب البيت! أرى نفسي في المرآة أضحك.
أفكر أنه ليس جيداً أن يعيش الإنسان بمفرده. ليس فقط لأن كل شيء
يمسى أكثر صعوبة، إنه أيضاً أمر شاذ، ومع ذلك لن أخرج مع باير،
ولا حتى لشرب كأس من البيرة. سأقول له ذلك بعد قليل. دائماً أجد
حجة مناسبة.

الفصل الرابع

هلع

مارتين مويرر يحكى عن حياته المهنية، وعن رحلة
بلا سيارة. زوجته تنتقل بالدراجة. ما عايشه مع
سائحة وسائق تاكسى فى هالبرشتات.

عندما لم يجدوا لى عقدي كأستاذ مساعد فى جامعة لايبتسج،
غدوت بين عشية وضحاها بلا دخل. كانت أندريا قد التحقت بدورة إعادة
تأهيل مهني تعلمت فيها مبادئ المحاسبة، كما أخذت قبل الظهر - أثناء
وجود تينو فى الحضانة - دروساً فى الفرنسية والآلة الكاتبة. قدمنا طلباً
للحصول على معونة سكن، وعقدنا العزم على الإقلال من التدخين،
وألغينا الدورة التدريبية التي كانت أندريا تريد أن تشارك بها فى مدرسة
تعليم قيادة السيارات. استغفنت عن غرفتي فى لايبتسج، وقدمت طلباً
للحصول على منحة دراسية، أو للحصول على عمل كمرشد سياحي، أو
فى أحد المشاريع، أو فى شركة إعلانات، وأخيراً فى شركة VTLT
المساهمة التي تعمل فى مجال الحفاظ على الأحجار الطبيعية والتي كان

بها وظيفة شاغرة كمندوب مبيعات براتب شهري مضمون يبلغ ١٨٠٠ بعد خصم كل المستقطعات.

قبل أن أستقر في المقعد قالوا لي إنهم يبحثون عن كيميائي أو جيولوجي أو فيزيائي أو ما أشبهه، لكنهم لا يحتاجون بأي حال من الأحوال إلى مؤرخ في الفن. رجعت إلى الوراء على الكرسي الحديدي حتى لامست مسند الظهر، وشرعت أتحدث عن عمارة العصور الوسطى وعوامل التعرية وترميم المدن. قلت هذا دون أن أحول بصري عن عيني ذلك الرجل، هارتمان، الشبيهتين بعيني اليوم؛ وهو أمر لم أنجح فيه إلا عندما كنت أتحدث دون أن أمعن في التفكير.

بعد أسبوع جاءتنى في مظروفين منفصلين دعوة لحضور دورة دراسية تستغرق عشرة أيام، مع الموافقة على العمل لديهم لمدة نصف عام على سبيل التدريب، لكنني لن أقضى فترة التدريب في ولاية ساكسونيا أو تورينجن، بل في ولاية ساكسونيا - أنهالت وبراندينبورج حيث يتركز نشاط الشركة.

سارت الأمور سيراً لا هو بالحسن ولا هو بالسيئ. بعد ثلاثة أشهر لم أحقق الحد الأدنى المطلوب منى في الشركة. كنا نتدبر أمورنا بالكاد. والدا أندريا كانا يرسلان بين الحين والآخر مائتي مارك لمصاريف تينو. ووالدتي أهدتنا حاجات أطفال، وعندما كان إرنست - حمى - يأتي إلينا ليهتم بالطفل في غيابنا، كان يذهب معه للتسوق ويتكفل بثمن كل شيء. كما كانت لدينا داني، أخت أندريا.

قبل أن نبدأ الحملة التسويقية الكبيرة لـ "أونيل ٢٩٠" طلبت السماح لي بأسبوع إجازة في يونيو. سافرنا بسيارتنا الأولى كاديت إلى ألبيك على بحر البلطيق. عندما أتذكر اليوم هذه الرحلة أعتقد أن تلك الأيام كانت آخر أيام السعيدة. كنا نبحث عن المحار وأحجار الكهرمان، ونبني القلاع الرملية، نطفو ثلاثتنا فوق المرتبة الهوائية على سطح المياه ونجدف بالأيدي والأقدام حتى نصل إلى العوامة. ولأنديرا اشترت بسعر مخفض مركباً داخل زجاجة. في المساء، بعد أن ينام تينو، كنا نذهب إلى بار الفندق، ونحتسى كأساً، ندخن أو نرقص عندما يعزفون موسيقى ذات إيقاع بطيء.

في نهاية الأسبوع ابتلعت ماكينة البنك الشخصي بطاقة الائتمان الخاصة بي. في اليوم نفسه سافرنا عائدين. سألتني أندريا: هل نحتفظ باشتراكنا الشهري في أوراق اليانصيب؟

يوم الأربعاء التالي، وبعد أن عدت لتناول العشاء، نادتنني أندريا إلى غرفة النوم، وهناك سلمتني رسالة مطوية. ابتسمت معتقداً أنها حصلت على موعد لمقابلة شخصية.

على أن أدفع ٤٣٣,٥٠ ماركاً غرامة، وأن أرسل رخصة القيادة بالبريد المسجل إلى مركز الغرامات الذي سيحتفظ بها لمدة شهر، وذلك لأنني قدت السيارة بسرعة ١٤٦ كم في الساعة بدلاً من ٨٠، بالإضافة إلى ذلك فقد حصلت على أربع نقاط، وفقاً للنظام المطبق على أصحاب السوابق. لاحظت أن أندريا همت بالبكاء وهي تبتسم، ثم ألقى بنفسها على الفراش وضغطت بيدها اليسرى على المخدة التي وضعتها أمام

وجهها. جذبت ركبتها، وظللت أحملق طوال الوقت في نعل حذاءها المنزلى النظيف، بلا شائبة واحدة. فى ذلك المساء أحسنا لأول مرة بالهلع.

فى الصباح كنا قد تجاوزنا أسوأ الأمور. أرسلت رخصة السواعة، وخطت أن أسافر بالقطار لإنجاز مقابلاتى التالية. لا أعرف السبب، ولكن هذا القرار جعل مزاجى معتدلاً. فى أسوأ الأحوال سيتوجب علينا الاقتراض من دانى أو من والدينا. لن تلحظ الشركة من الأمر شيئاً، وبذلك أحصل على الوظيفة. "أنت قدها وقود"، قالت لى أندريا.

أعدت لى الحقائب، فوضعت فى أسفل الشنطتين الكتالوجات مع مشروع قلعة أبنبرغ فى فرانكيا الوسطى، التى سنثبت فيها الحجر الرملى بمادة OH ومادة UNIL 290، ثم غلفت عينة الزجاجات (٢٠٠ ملليمتر) أولاً فى ورق جرائد، ثم بين ملابسى الداخلية وجواربى وقمصانى. كانت قد خيبت قطعة جلد كبطانة على حزام الشنطة الذى يعلق على الكتف.

قضيت اليوم فى مصلحة العناية بالآثار فى ولاية ماجدبورج، ثم زرت شركتى ماكيولان وشوستر دون أن أتمكن من الاتصال بالمدير هناك أو مساعديه، فتركت كتالوجاتنا، واتفقت على عرض منتجاتنا عندهم بعد ظهر الخميس وصباح الجمعة لمدة نصف ساعة فى كل مرة. فى المساء سافرت إلى هالبرشتات حيث كان لدى فى اليوم التالى خمسة مواعيد.

عند وصولي كان ضوء المساء ما زال يقاوم الليل، حتى أنني تعرفت من نافذة القطار على أبراج الكاتدرائية وكنيسة القديس مارتين والسيدة العذراء.

كانت كشافات سيارات الأجرة مضاعة. سرت في ساحة المحطة متجهاً ناحية كابيتي تليفون، ووضعت شنطتي بجانب الكابينة اليمنى ذات التليفون الذي يعمل بالكارت. وسماعة التليفون في يدي دفعت بخصري باب الكابينة وقربت أمتعتي من الكابينة. رأيت رصيدي على شاشة التليفون ٤٥, ٣ .

عندما قالت أندريا "آلو؟" تحول رقم ٤٥ بعد الفاصلة إلى ٢٦ .
أندريا تسألت ثانية "آلو؟"

حكيتُ لها أن الدكتور زيدليوس، الجيولوجي في مصلحة العناية بالآثار، استمع إلى كل ما قلته، وفي النهاية صافحني متمنياً لي حظاً طيباً.

انطلق تاكسي وراء الآخر، وعندما لم تبقَ سيارة أجرة واحدة قلت لها إن جميع السيارات قد ذهبت.

"بالتأكيد سيأتي تاكسي قريباً"، أجابت، ثم حكيت لي أن أمام مدخل منزلنا مباشرة - نحن نسكن في شارع بروكهاوس عند جبل ليرشن - قد وقعت حادثة، لكنها لن تجعلها تحيد عن قرارها بالذهاب بالدراجة إلى صالة التسوق "تيب" في شارع شتاينفيج. ما زالت تستخدم كلمة "صالة تسوق". كلهم يقولون الآن "سوبر ماركت". قالت

أندريا إنها لم تعد تواجه صعوبة في قيادة الدراجة، وإنها تنوى من الآن التنقل بها يوماً. هذا هو أيضاً أفضل تدريب على الأسبوع القادم، حيث تنوى القيام بنزهة بالدراجة مع تينو ودانى التى اشترت لنفسها خصيصاً دراجة مزودة بمقعد للأطفال. هذا ما قرره بعد ظهر اليوم.

الرقم على شاشة التليفون يتناقص من ٢,٨٨ إلى ٢,٥٠ ، ثم إلى ٢,٥٠ . جاءت سيارة أجرة ووقفت، ثم انطفأت أنوار كشافاتها. صالة التسوق تعرض حاملاً عريضاً للدراجة، قالت أندريا، وعليه دعاية، على أن أضمن لأى شىء. لم تنتظر ردى وانفجرت قائلة: "برنس دنمارك - سجاىرى المفضلة."

قلت لها: "قبل أسبوع لم تكونى تجرئين على التفكير فى ذلك".

"نعم! ولكن إذا كانوا يبنون فى كل مكان طرقاً للدراجات"، أجابتنى أندريا، ثم نطقت بضع كلمات فرنسية لم أفهمها. ضحكت وقلت لها: "تمنى لى حظاً طيباً للغد، حتى أتخلص من البضاعة."

"لا تقل دائماً "بضاعة" يا مارتين. إن عملك مهم جداً!" صاحت فى السماعه. "كل تاريخ الفن سيصبح عديم الجدوى إذا بدأت أحجار كل هذه المباني الجميلة تتفتت. كل هذه القذارة فى الهواء يا مارتين، إنها تفتت كل شىء!" جاء تاكسى آخر، وفى هذه المرة قلت لها ذلك.

"هيا، ضع السماعه بسرعة!"

"على مهلك"، أجبتها مذعوراً، ثم استدرت إلى الجانب. ما زالت الحقائق هناك فى مكانها. "أحبك"، ثم أضفت أنتى لا أقول ذلك لأننى هنا بمفردى بدون سيارة. "جميل"، ردت أندريا.

فكرتُ أولاً أنني سأُنهى المكالمة عند ١٧, ١ ، لكن المبلغ سرعان ما أصبح ٩٨, ٠ ، ثم ٧٩, ٠ ، وبعد أن قالت "مع السلامة" تناقص إلى ٦٠ فنكاً. صحتُ: "حبيبتى"، لكنها كانت قد وضعت السماعة. علقت سماعتي وسحبت كارت التليفون. ثلاث سيارات أجرة تقف الآن هناك. سائق السيارة الأولى يتكى على الباب المفتوح بذراعين مشبوكين. أمامه وقفت امرأة ترتدى أفرو ل أحمر بأكمام قصيرة. هز رأسه نافياً بينما كانت هي ترفع ورقة. استدارت ناحيتي : يابانية بعيون واسعة ووجه أبيض وشعر متموج. التفتت مرة أخرى نحو السائق، لكنني سألتها : **What do you want?** أعطتني الورقة: **To Magdeburg** . بينما كنت أضع حقيبة على قدمي، وأسلم الأخرى للسائق، أعطتني ورقة ثانية: **"To Frankfurt"** . لا تضعها في شنطة السيارة!، صحت ورفعت الحقيبة الثانية، ووضعتها على المقعد الخلفي. لم أحتفظ إلا بشنطة الملفات، ثم عدت مع اليابانية - التي كانت طويلة نسبياً مقارنةً بالآسيويات - عبر الباب المتأرجح إلى المحطة.

لم يعد هناك قطار إلى ماجدبورج، ولا إلى فرانكفورت، فقط إلى جوتنجن، بعد عشر دقائق. قلت لها إن المسافة من جوتنجن إلى فرانكفورت ليست بعيدة. أومأت برأسها، لكن الخوف ظل يطل من عينيها، كما ظلت تقطب جبينها. لم أتذكر كلمة "رصيف" بالإنجليزية. عندما قلت **From number three** ، توقفت عن الإيماء. لذلك سرت معها إلى النفق، وأشارت إلى السلم الثاني، وقلت مكرراً: **number three** . إلا أنني رأيت على إحدى اللافتات رقم "٤" ، وعلى الأخرى "٥" ،

وفى الرصيف الآخر "١" و "٢". فرافقته إلى الرصيف حيث كانت قاطرة ديزل ووراءها عربتان تدخلان المحطة. على الرصيف كان جدول السفر معلقاً، ولكن لم تكن هناك قطارات إلى جوتنجن، ولا إلى ماجدبورج. سألتني اليابانية: ماذا نفعل إذن؟ ونظرت إلى نظرة قانطة وألصقت شنطة يدها بجسدها. عدت خلف المحصلة التي هبطت من القطار الواصل لتوه. وضعت الملف الأسود الذي كانت تمسك به على إحدى الدك، ثم راحت تقلب فيه. فى البداية سمعت دقات كعب اليابانية، ثم شعرت براحتها على ذراعى. عبر أزرار الأفرول سددت بصرى على جدول السفر المطبوع بخط صغير. انهمكت المحصلة فى تقلب صفحاته إلى الأمام وإلى الخلف. أخذت تهز رأسها. ارتفع نهذا اليابانية وانخفضا، كما برزت بطنها واضحة خلف القماش. إذا كان سائق التاكسى قد شغل العداد، فالغيبى هو أنا.

"تسافر معى"، قالت المحصلة، "الساعة ١٠ و ١٧ دقيقة إلى أوشرزليين، ومن هناك تأخذ سيارة أجرة بستين ماركا، وفى الحادية عشرة والنصف تكون فى ماجدبورج." ترجمت.

And to Frankfurt?

أغمضت المحصلة عينيها لحظات، ثم أغلقت الملف الأسود، ورجعت إلى العربية، ووضعت إحدى قدميها على أول درجة من السلم الحديدى الشبكى.

"والآن؟" كان بنظونها مشدوداً على فخذها المدملج. سألت اليابانية هل تسافر معها. مقابل ستين ماركا قد تجد هنا أيضاً غرفة فى أحد الفنادق.

تومى موافقة. أشكر المحصلة التي تمسك بالمقبض بجانب الباب،
ثم ترفع قدمها اليسرى وتصعد بجذعٍ منحني. بدت أردافها أكبر في
بنطلون الزى الرسمي.

مشيت وراء اليابانية إلى درج النفق، وسألتها من أين هي.

From Korea

"جوسلار"، نطقت بدون وعى عندما مررنا بجدول السفر في
ساحة محطة هالبرشتات The Timetable of Goslar .

ردت: Thank you very much .

قلتُ محاولاً البدء في حوارٍ معها: wonderful أنها تسافر هكذا
بمفردها. أومأت. حكيت لها أنني مؤرخ فن، وأنتى أكتب رسالة
الدكتوراة عن التماثيل غير المألوفة لآدم وحواء في كاتدرائية هالبرشتات.
أسألتها إذا كانت سمعت يوماً عن دريسدن.

Of course, Dresden

شفتاها المدهونتان بالأحمر بقيتا مفتوحتين قليلاً. نظرت إلى
وأومأت، فأمسكت لها ضلفة الباب المتأرجحة.

عندما سألت سائق التاكسي: "هل تريد أن توصل المدام إلى الفندق،
أم تأخذنى إلى بنسيون شنايدر؟"، رفع أنفه إلى أعلى، وجلس خلف
عجلة القيادة. يقع البنسيون في الناحية الأخرى من المدينة، خارجها
قليلاً، أما الفندق فيبعد بضع مئات من الأمتار في قلب المدينة. ذهبت مع
اليابانية إلى التاكسي التالي. السائق - صغير السن نسبياً، قد لوحتته
الشمس، يرتدى شورتاً - ظل واقفاً شابكاً ذراعيه خلف الباب، مثلما

فعل زميله من قبل. لم يقل إلا أن غرف الفنادق شحيحة وسيئة، وأقل من ١٠٠ مارك لن يجد المرء شيئاً، ولكن بمئة مارك يصل المرء بعيداً، مثلاً إلى ماجدبورج. ترجمتُ. يصيح سائق التاكسي الآخر أن وقته ليس هدية مجانية.

تقول اليابانية: To Magdeburg

عندئذٍ يختفى السائق داخل السيارة، ومن الداخل يفتح الباب الآخر. استدارت اليابانية مرة أخرى وقالت **Thank you very much** ، ثم ركبت السيارة.

صرخ سائقي: "إلى ماجدبورج!" كان قد قفز خارج سيارته. "إلى ماجدبورج!" تناثر رذاذ لعابه وكأته ممثل. "لابد أنني أحلم!" ومن جديد بدأ الرذاذ يتساقط تحت ضوء مصباح الطريق.

فتحتُ الباب الخلفي للتاكسي لامساً كرش السائق، وحشرت نفسي بجانب حقائبي بعد أن وضعت شنترة الملفات على حجري. انغلق البابان في اللحظة نفسها.

"يومين"، زأر في اتجاه الزجاج الأمامي. ارتد الصوت إليّ. شغل السيارة، وقبض على الفرو الذي يغطي عجلة القيادة. "هو ١٠٠، وأنا ١٥!"

أردت أن أعتذر، لكنني لم أقو حتى على فتح فمي؛ إذ فجأة نوى صوت الراديو. اهتزت المروحة الصغيرة في مقدمة السيارة، وفي اللحظة التالية لاحظت أننا لا نسلك الطريق إلى بنسيون شنايدر، فقد كنت على معرفة جيدة بالشوارع.

زادت سرعة السيارة. الإطارات تصدر ضجيجاً لمروها فوق الشارع المكسو بالأحجار. فجأة انحرفَ بالسيارة إلى اليمين، فاصطدمت رأسى بالشبّاك. لم يعد هناك مصابيح تضىء الشوارع. انزلقت فى كرسيّ أكثر، وانفجرت ساقاى. ضغطتُ بركبتى على ظهر كرسيه. بعد ذلك سلكت السيارة طريقاً صاعداً، ثم مرة أخرى طريقاً بين الحقول.

خطر على بالى أنه كان على أن أرسل اليابانية إلى جوسلار أو براونشفايج. كان ذلك سيكون أرخص من الرحلة إلى ماجدبورج، ومن هناك كانت ستجد توصيلة أفضل. كان من الممكن أيضاً الاتصال بالبنسيون والسؤال إذا كان لديهم غرفة مناسبة السعر لفتاة يابانية. عموماً: كنت غيبياً. ضيَّعت على السائق مكسب يومين، ولم أعترض عند الشرطة، بل حتى لم أحاول وسلمت ببساطة رخصة القيادة. وها أنذا أجزُ حقائب السفر من مدينة إلى أخرى فى طول البلاد وعرضها، وأبيع مياهاً سحرية، بينما تتمرن زوجتى على قيادة الدراجة حتى تستطيع التسوق، وتستعير من المكتبة العامة كتباً لتعليم الفرنسية عفا عليها الزمن، وبالنقود التى منحها والدها لطفلنا تينو ندفع ثمن اشتراكنا الشهرى فى أوراق اليانصيب. مع أنتى على استعداد لخيانة أندريا فى كل وقت مع يابانية. مَنْ يعرف ما الذى سأرتكبه خلال الساعات والأيام والسنين القادمة.

أظن أنتى أعرف ماذا ينوى السائق، لكنى لم أرد الدفاع عن نفسى. إنه على حق! إنه على حق ألف مرة إذا ألقى بى والزجاجات فى

الحفرة التالية. فجأة توقفنا. قرأت في ضوء الكشافات: "بنسيون شنايدر". خرست الموسيقى، وفوق رأسى أضاء مصباح.

قال: "٢٠، ١٢". قلت له: "تفضل ١٣".

قرب من الضوء محفظة النقود المستطيلة التي يستخدمها الجرسونات، حيث توضع الأوراق المالية دون أن تُثنى. أمسك باليمنى ورقة المائة التي أعطيتها له.

"هل مصابيح الشارع خربة"، سألته. الظلام دامس في الخارج. ناولنى في الخلف عدة أوراق نقدية، ثم أحصى في كفى سبع قطع نقدية. "شكراً"، قلت له، ودسست كل شىء في جيب الصدر. راح يراقبنى في المرآة العاكسة. أشرت إلى الصورة الملونة المعلقة أمام المروحة: "هل هذه زوجتك التي ترتدى البكيني؟" كان الإطار الخشبي مصنوعاً بمنشار اليد الصغير.

"اسمع: أنت دفعت. تفضل الآن وانزل." أخرجت الشنطتين، وبركبتى أغلقت باب السيارة. سرت ببطء أمام السيارة في اتجاه البناية، ثم انتحيت جانباً - فبسبب ظلى لم أر الجرس - ووضعت الشنط بحرص. انزلق ضوء الكشافات على باب المنزل، وتوقف على العتبة، ثم استدار منيراً عمق الشارع. لوهلة سمعت صوت الراديو مرة أخرى.

تحسست أصابعى الجرس، وتعثرتُ أثناء ذلك في الشنط. انبعثت ضوضاء فظيعة، إلا أنني لم أقع. استقام عودى، بهدوء، وبقي جذعى منحنيًا قليلاً إلى الأمام. سمعت حفيفاً بجانبى يتكرر على فترات قصيرة منتظمة.

ربما فائر، أو طائر. ابتلع الظلام بنسيون شتايدر. لم أر له حدوداً خارجية، ولا حتى إذا نظر المرء تجاه السماء. كلما تحركت اصطدمت زجاجات الأوتيل ٢٩٠ بعضها ببعض. كان يكفي أن يلامس إصبع قدمي الأرض، أو أن أرفع كعبي قليلاً عن الأرض، كان يكفي أن أنقل مركز ثقل من قدم إلى أخرى، أو أن أثني ركبة، حتى أسمع قعقة الزجاجات مرة أخرى.

الفصل الخامس

الطير المهاجر

ليديا تحكى عن الدكتورة باربارا هولتشيك
التي تدعى أنها دهست غُريراً. حديث مطول
عن الحيوانات. مكان الحادث. نهاية غامضة
بلون غُرير.

اليوم هو الاثنين، فى الأصل عطلة أسبوعية. فى العاشرة والنصف
ينبغى على أقوم بإرشاد فصل مدرسى من الفرقة السابعة فى صالات
المتحف. تلاميذ المدارس هم أسوأ الزوار. أنا متعبة. تدخل هُنّى،
رئيستى فى العمل، ولا تغلق الباب. تقول: "الدكتورة هولتشيك دهست
بسيارتها غُريراً" (*).

(*) الغُرير حسب المعجم الوسيط هو حيوان من آكلات اللحوم ، هيئته بين الكلب والسنور ،
أسود القوائم قصيرها ، أبيض الوجه ، وعلى جانبيه وجهه جُدَّتَان سوداوان . (المترجم)

تظهر امرأة قصيرة في مطلع الثلاثينات، ذات شعر طويل، ترتدى جيبة زرقاء غامقة وبلوفرًا رماديًا برقبة. تظل واقفة في إطار الباب ناقرةً عليه بأحد أصابعها.

"هولتشيك"، قالت معرفةً بنفسها بون أن تنتظر إليّ. "دهست غريباً بسيارتي".

قالت هنيّ مشيرةً إليّ: "ليديا شوماخر. أخصائية التحنيط عندنا." ردت: "أهلاً." أنهضُ يداها باردتان. "هل أحضرته معك؟"

الدكتورة هولتشيك تهز رأسه نفيًا، ثم تنتشل منديلًا ورقيًا من علبته، وتتمخط بعد أن تستدير جانباً.

"كلا، ليس معي".

"حيوان كبير؟"

"نعم"، تجيب وهي توميء برأسها. "فاحت رائحة نفاذة، رائحة حيوان متوحش. حوافره الأمامية كانت هكذا." وضغطت بظهر يديها على وجنتيها، بينما راحت أصابعها تتحرك، وكأنها تزيع شيئاً إلى الجانب.

أتساءل: "وهذا غريب؟" زاغ بصر هنيّ التي كانت تجلس على مكتبي نصف جلسة، وبأصبع مقوس راحت تمسح على رأس الدُخُل (*).

قالت الدكتورة هولتشيك: "كان يرتجف".

(* طائر مغرد يسقط على رءوس الشجر والنخل فيدخل بينها [المعجم الوسيط]. (المترجم)

صاحت هَنَّى: "نحن بحاجة إلى غرير، أليس كذلك؟"

"طبعاً، أجيب. "نحتاج إلى غرير".

وأمام مدينة بورنا يرقد واحد. الدكتورة هولتشيك فى عجلة من أمرها. ربما تذهبن وتتفرجين عليه، ثم تأخذينه إذا كان على ما يرام؟"

"والجولة مع التلاميذ؟"

"لن تبقى خيارات كثيرة"، قالت هَنَّى موجهة إلى مرة أخرى نظرتها المحملة بالمعاني، ثم واصلت مداعبة طائرى المغرد. تتمخط الدكتورة هولتشيك ثانية، وتحاول أن تبتسم. ثم تقول: "عندئذٍ لن يكون ما حدث كله بدون فائدة"، وتلقى بشعرها خلف أكتافها.

فى سيارتها - جولف زرقاء غامقة بثلاثة أبواب - تصطدم إحدى ركبتى بدرج السيارة الأمامى. استندت على الدرج أبحث عن الذراع تحت المقعد، فلمست كاحلى. "ادفعى"، قالت أمره. على المرآة العاكسة علقت شجيرة ورقية مُعطرّة حمراء اللون. أدارت مفتاح التشغيل بصعوبة ما.

"هَنَّى حكّت لى عن الغرير الأخير. كيف يمكن لإنسان أن ينتزع ببساطة فيشة الثلجة! مَنْ يفعل شيئاً كهذا؟ لا يمكن أن يكون هناك إنسان يمثل هذا القدر من الغباء!"

"ربما احتاجوا البريزة لتشغيل المكنسة."

"وكيف كان منظر الغرير؟ وكيف أخرجتموه؟"

"أنا وصلت الثلجة مرة أخرى بالكهرباء، وهويت الغرفة، ثم فتحتها بعد أسبوع. كنت أنتظر أسوأ مما حدث".

لو كان جرى لى أنا ذلك!

تنعطف إلى الشارع، وتحدث عن الذين يعملون فى شركات التنظيف والحراسة. تبدو سيارتها جديدة، لا أوساخ ولا تراب فى أى مكان. أسأها فى أى تخصص حصلت على الدكتوراة.

"أنا أعمل فى وزن. كنت فى طريقى إلى هناك - حيث ظهر لى ..."

لا أفهم ماذا تقصد.

"المصحة النفسية هناك"، تقول لى. "أنا فى الأصل طبيبة أعصاب.

لست من هنا؟"

أحكى لها أنتى انتقلت للعيش فى ألتبورج منذ عامين فقط. بعد وفاة دكتور جورنه أصبحت وظيفة "المُحْنَط" شاغرة، كنت أريد وظيفة ثابتة، سيات أين.

"هناك ناس لا يستطيعون الحياة إلا فى المدن، وهناك ناس كعصافير الأرياف، كما أن هناك من يفضل المدن الصغيرة."

"أعتقد أنتى من ناس المدن." ثم أضفت: "أو من عصافير

الأرياف."

عند إشارة المرور أمام مصنع ورق اللعب توقف الدكتورة هولتشيك السيارة بفرملة مفاجئة. بعدها طرنا فى شارع لايبسج. "هل كنت دائماً تعملين فى هذا المجال؟ أنا أيضاً كنت أريد أن أعمل مع الحيوانات."

“وبعدين؟”

والدای كان لديهما سيارة سكودا. المقاعد كانت مغطاة بفراء بيج، من الألياف الصناعية طبعاً. مرة وقع صندوق الإسعاف عليه، وعبر زجاج السيارة كانت أشعة الشمس الحارقة تلهب سطح الفراء. أصبح البلاستيك ليناً، وعندما ركبنا انتزعت أمى الصندوق من على المقعد الخلفى. عندما أريد أن يقشعر بدنى، لا أحتاج سوى تذكر ذلك المنظر، ذلك الشيء المنبجج الذى التصقت به أجزاء من الفراء المتهرىء. كنت فى الرابعة عشرة، ولم أستطع أن أتمالك أعصابى أو أن أستعيد هدوئى. أمى اعتقدت أنتى أمثل هذا الفيلم فقط حتى يُسمح لى بالجلوس فى الأمام بجانب أبى. قالت لى: لا تقولى بعد ذلك أبداً إنك تريدان أن تعملى فى شىء له علاقة بالحيوانات.”

أثناء التحدث كانت تنظر جانباً، إلى، بدلاً من النظر إلى الأمام. قلت: “لا أفهم.”

“من يشمئز سريعاً هكذا ... كما أنتى أخاف من الكلاب. الطيور أحبها. كريمسون روزيلا أو كوكابورا أو الورين. هل تعرفينها؟”
“كلها أسترالية.”

تومى برأسها. “هل لديك حيوانات منزلية؟”

“كلا”. أحكى لها عن أمى التى تتورط دائماً فى قبول قطط لديها تموت بعد عامين على أكثر تقدير. إما سم فئران، أو فشل كلوى، أو يدهسون بالسيارات. عندئذٍ تتصل بى يومياً ولدة أسبوع، وتعدنى أنها

ستظل قاسية هذه المرة بالفعل، ولن تستضيف قطعاً مرة أخرى. وعندما تقول لى إن أحداً لم يسأل القطط إذا كانت تريد المجيء إلى هذا العالم، أعرف أن أى كلام أقوله لن يأتى بنتيجة".

"جارنا عثر مرة على نورس كسير الجناح، فأحضره إلى الطبيب البيطرى"، تقول الدكتورة هولتشيك. "الدكتور أجرى عل الفور عملية بتر، دون أن يسأل. ماذا يفعل طائر بجناح واحد؟ حديقة الحيوانات فى الجزيرة لا تقبل حيوانات مشوهة. والآن ينط النورس فى حديقة بيته، ويحفر فى الطين، ويلتهم كل شىء - كالخنزير. عندما يفرد جناحه، وفى الناحية الأخرى لا شىء - فى كل مرة أعتقد أنه سيقع. يلتهم كل شىء! الأبراص العملاقة لا تلتهم كل شىء فحسب، إنها تهضم أيضاً كل شىء، حتى حوافر الحيوانات. فقط الكس يبقى، لا شىء إلا الكس الخالص. شىء يجنن! ليست لديكم أبراص عملاقة؟"

"كلا".

"على البرء ألا يحبس الحيوانات. إذا كانت الدلافين تبدأ فى العض ... كله بسبب الضغط العصبى. إنها مثل البشر، الحيوانات، أعنى لابد من معاملتها كالبشر. الحيوانات تُصاب أيضاً بخيبة الأمل. فيما بينها تسلك هى أيضاً سلوكاً أنانياً ولامبالياً بالآخرين. هل قرأتِ عن قرود المعبد؟ ماذا يحدث هناك؟ الإناث يلدن مبكراً لأن الباشا، رأس القطيع، يعض القرود الوليدة حتى الموت، إذا لم تكن من صلبه. يريد أن يفرض جيناته. هذا هو كل شىء. أنانية".

سألتها: "هل يدهشك هذا؟"

"على الأقل كتبت مجلة "دير شبيجل" عن ذلك".

ارتعشت يداها على الفتيس. كنا ننتظر عند إشارة ضوئية تنظم مرور السيارات في منطقة إصلاحات أمام مدينة تريين. الرياح تصفر. الضوء كأننا قبل الغروب. الدكتورة هولتشيك تعطس. "معذرة"، تقول وتواصل العطس. يعلق على الزجاج الأمامي بعض الرذاذ، أو أن الرذاذ من الخارج، من ضربات الحصى، أو من الحشرات. تتحسس بأصابعها باحثة عن شنطة يدها على المقعد الخلفي. السيارة أمامنا تتطلق. تحتاج منديلاً.

"هذا الطائر الصغير على المائدة في مكتبك، أى طائر هو؟"

"دُخْلٌ"، أقول لها ناظرةً إلى ساعتى. الآن يتزاحم التلاميذ لدخول المتحف.

"دُخْلٌ؟" كانت د. هولتشيك قد أسرعت جداً، والآن تفرمل. "هل هذا هو الطائر الذى يلتهم أمعائه أثناء الطيران؟ معجزة غير مرئية. إنه يفترس ما يعادل ٨٠٪ من وزن جسمه، ثم يفقد كل ذلك فيما بعد. دُخْلٌ، أعتقد أن هذا هو اسمه." سيارتنا هى الأولى فى طابور طويل يقف خلف شاحنة لنقل المشية. "ما أود معرفته، ماذا تعنى : أنظمة استشعار متداخلة؟ كيف تهتدى الطيور إلى شجيرة المرة السابقة؟ سنونو السواحل يقطع سنوياً أربعة آلاف كيلو متراً، أما طائر "صفارة المطر الذهبى" فيحتاج إلى ٤٨ ساعة لا غير من ألاسكا إلى هاواي، فقط يومين!"

بعد ذلك نتحدث د. هولتشيك عن الاحتباس الحرارى، وارتفاع منسوب مياه البحر، والتصحر، عن تناقص علف الحيوانات، وعن عدم انتظام فصول العام.

فصول الخريف المعتدلة عطلت الساعة الداخلية للطيور. إنها تتأخر من ١٠ أيام إلى ١٤ يوماً فى الطيران إلى المشاتى، يعنى عندما تصل إلى المشتى يكون كل شىء قد تم التهامه، ولكن الأمر يستغرق لدى بعض الطيور ..."، وتمد يدها مرة أخرى ناحية شنتقتها، "فقط عدة أجيال حتى تجد أوكار جديدة وحتى يتم حفظ خريطة الطيران فى الجينات الوراثية، بل إن بعضها بدأ يقضى الشتاء فى جنوب إنجلترا بدلا من البرتغال أو إسبانيا. معظم الشحارير مثلاً لم تعد تعاني إطلاقاً من القلق الذى كان يصيبها قبل الهجرة". د. هولتشيك هى الوحيدة التى يمكنها أن تجتاز الشاحنة أمامنا المكتوب عليها: LONG VEHICLE .

أما السيئ فى الأمر فعلاً، أكملت حديثها، "فهو أنه عندما تعود البلابل والعنادل إلى أوكارها فإنها تُفاجأ بطيور غريبة قد احتلتها. تلك الطيور أكثر عدوانية وقوة من الطير المهاجر الحقيقى".

الشاحنة التى تسير أمامنا تتوقف قبل زربيتس. تشرع د. هولتشيك فى التحدث عن تقاطع طرق الطير المهاجر مع الطير المقيم. أفتح الشباك. السيارات خلفنا توقف المحرك واحدة بعد الأخرى. ينساب المرور من الاتجاه المعاكس ماراً بنا. عندما تنفذ أشعة الشمس من خلف الغيوم فإنها تبهر العين. عندما تتحرك مرة أخرى أرى سيارة بضوء أزرق فى حارتنا. يشير إلينا رجال الشرطة وهم يمرون بنا.

أقول: "حادث جديد". ولكن سيارة إسعاف هي التي مرت بنا، لا سيارة حوادث.

قال د. هولتشيك: "مع أن ٧٠٪ من الطيور المحلية الحاضنة هي من الحيوانات المهددة بالانقراض".

بدون أن تعطى إشارة ضوئية أو تقلل من سرعتها تنحرف يساراً إلى طريق بين الحقول، وتتقف. الآن يدور الحديث حول أسراب الفراش التي لا ترى إلا مرة واحدة كل جيل. أقاطعها وأسألها عن الغرير. تتمخط الدكتورة هولتشيك، وتفك حزام الأمان وتتزع المفتاح، ثم تنزل من السيارة وتبدأ في المشي. أتبعها في اتجاه سيارة الشرطة والكيس البلاستيكي الأزرق مطوى في جيب الجاكتة. أثناء السير أرتدى القفاز المطاطي. د. هولتشيك تستدير جانباً عند كل هبة هواء منكسة رأسها وكأن أحداً يشدها من شعرها. تقطع الشارع وتتلوى بين سيارتين عابرتين، ثم تكمل سيرها على الناحية الأخرى. أتردد طويلاً، والآن أحاول على الأقل أن ألحق بها.

يقبل شرطى ناحيتها. يفرد ذراعيه. قبل الاصطدام بقليل يتوقفاً. هذا معناه أن الدكتورة هولتشيك حاولت أن تتفاداه. يتحدثان في آن واحد.

بيضاء تمر بنا عربة نقل عليها حاوية. أجمع الحروف الزرقاء المكتوبة على الخلفية البيضاء "تمر"، وتحتها "توفير مع رفاهية". أقف وسط صهد

العام. تشبك د. هولتشيك ذراعيها. يتطلع الشرطى إلى نهديها.
يتبادلان الحديث، ثم ينظران فجأة تجاهى.

مرة أخرى تمر حاوية بمقطورة.

يقف الشرطى وحيداً هناك ويعض على شفته السفلى. يراقبنى وأنا
أخلع قفازى، ثم يتهادى عائداً إلى السيارة ذات الأنوار الزرقاء دون أن
يستدير مرة أخرى.

سبقتنى د. هولتشيك مرة أخرى. الريح تهب الآن فى الظهر. تمسك
بكوعياها. أنادى. لا ترد، ثم تختفى خلف أوتوبيس.

عندما عادت كانت تعرج. ركبتها اليمنى مجروحة. تظل واقفة
أمامى، واضعةً يديها على عينيها وجبهتها، ثم تزيح خصلات شعرها إلى
الوراء.

"يدعى أن لا شىء هنا. قلت له أن يسمح لى بالمرور، لكنه قال إنهم
بحثوا فى كل الحفر والتلال. لو كان هناك غرير لوجدوه. لقد نفق،
أتفهمين، ارتجف ثم احتضر".

أسألها عن ركبتها.

"كان قد نفق. لا يسمحون لأحد بالمرور. وإذا وجدوا شيئاً،
فسيتصلون بالمتحف. بالتأكيد سيتصلون. إذا لم يفعلوا، لابد أن نعود
إلى هنا فى المساء أو فى العصر، عندما ينتهى كل شىء هنا، عندما
يزيلون ... هذه الحاجات".

أسألها: "أى حاجات؟"

"إنهم لا يقولون شيئاً، لا يقولون أى شيء".

"أسمح لي الآن بأن أتولى السواقة"، قلت ومددت لها ساعدي الأيسر الذي ثنيته بزاوية قائمة حتى تمسك بي. نسمع كلاكس مرتين. لا نلتفت إلى مصدر النفير.

"تراهنين أنهم سيكونون قد اتصلوا عندما نصل إلى المتحف؟"

علاقة المفاتيح تبدو وكأنها لافتة مرورية(*) : Koalas next 15 km .
أفتح لها الباب المقابل لباب السائق. "سيتصلون في الدقائق القادمة، أراهن على ذلك مقابل أى شيء، وستتعجب هنيئاً، وتتساءل ماذا نفعل إذن؟ ستعتقد أننا ذهبنا إلى مقهى أو مطعم، واستمتعتنا بوقتنا بدلاً من البحث عن الغرير. سترين، ستواجهين صعوبات معها. سأشرح لها الأمر. شيء لا يُعقل، إنهم يصرفون المرء بكل بساطة. هم هم، لا يتغيرون!"

تعطس الدكتورة هوليتشك، ثم تمسح بظهر يدها تحت أنفها عدة مرات. "فقط لأن دماغه جامدة، ستواجهين المصاعب. إنهم يفرحون عندما يستطيعون إثبات شيء على المرء، عندما يتيح المرء لهم فرصة".

أحرك مسند الظهر إلى الوراء، ثم أشغل المحرك. تمسك الدكتورة هوليتشك بالذراع تحت مقعدها، وتتخشب في جلستها. ركبتها ما زالت تنزف.

(*) دبية صغيرة خلال الـ ١٥ كم القادمة . (المترجم)

"الإسورة"، تقول، "شَبَكْتِ، هل تسمحين؟" لا تحرك ساكناً. تقبع هناك منحنية إلى الأمام وإحدى يديها تحت المقعد. بأصابعي ألمس كلوة يدها. أحس بنبضها. يظهر يدي أصطدم بسمانة قدمها. لا أعرف إطلاقاً كيف أصل إلى يدها أو ساعدها حتى أحررها. أتحمس عما شبك بإسورتها. تستسلم تماماً لما أفعله. أدير ذراعها. جواربها يمكن إلقاؤها في القمامة على أية حال. أنحنى أكثر، تكاد رأسي تكون على فخذه. من أسفل أرسل النظر عبر التابلو إلى الزجاج الأمامي. تختفي السيارات تحت أفقي. لا أرى إلا سقف الشاحنات، وفوقها السماء الملبدة بالغيوم.

فجأة تتحرر يدها. أجلس على مقعدي. تمر بنا سيارة إسعاف تسير ببطء، بدون الضوء الأزرق. أثناء رحلة العودة أحاول قدر جهدي ألا أقرب من الخطوط المرسومة على حافة الطريق، ولا من الخطوط في المنتصف أيضاً. تمسك يداي بعجلة القيادة كما تعلمنا في المدرسة: "اثنين إلا عشرة"، أي يساراً ويميناً أعلى قليلاً من المنتصف.

أمام إشارة التقاطع أتوقف لأنها لا ترد على. لا أعرف إلى أين ينبغي أن أذهب. بتردد تذكر لي أخيراً اسم شارع ورقم بيت. أسألها: "على القناة؟"

أستطيع أن أركن السيارة أمام مدخل البيت. "وصلنا!"، أقول لها وأوقف المحرك. أعبث بيدي باحثثة عن الذراع، ثم أنزلق بالمقعد إلى الأمام، وأعيد تعديل المرآة العاكسة، ثم أنزع المفتاح. أسألها إذا كانت

تشعر بغثيان. أرى صبيين فى المرآة العاكسة يحملان الحقيبة المدرسية، وأسمع خطواتهما على الأسفلت. يمر الأول على يمين السيارة، والآخر على يسارها. عندما يتحاذان مرة أخرى يلتفتان إلينا دون أن يقفا. أبقي جالسة لبرهة، ثم أقول لها إنتى لابد أن أنصرف الآن. أنزل من السيارة، أنتظر لحظة، ثم أغلق الباب.

أمام المتحف ينشر الفصل السابع ضجيجيه. يتبادل المدرس الحديث مع هنى أمام شباك التذاكر. "أتعرفان بعضكما؟"، تسأل هنى وتتنظر إلى واليه. قال معرفاً بنفسه: "برترام". تتصافح بسرعة. أرى ورق الشجر الذى التصق بأحذية الأطفال متناثراً حتى فى صالات العرض. أمام فترينة "ملك الفئران" تفاحة مقضومة. على الدرج أسمع رنين التليفون فى غرفتى. عندما يتوقف الرنين، أسحب الفيشة، وأجلس إلى مائدة التحنيط أمام طائر الدُخُل. تدخل هنى وتظل واقفة وراء ظهري. إنها الوحيدة التى لا تدق على الباب. تنزع جاكنتى من على الأكتاف، وتشرع فى تدليك رقبتى. تنتظر أن أتوجه إليها بالشكر لأنها تولت عنى القيام بالشرح للمجموعة.

"ما زلتِ تشعرين بصداع؟" سألتنى هنى. إبهاماها يتزحلقان لأسفل على العمود الفقري، ثم يتجولان ثانية إلى أعلى ناحية الأكتاف. أثناء ذلك ألمح منبت سبابتها اليمنى الملتهبة.

أسالها: "ألا تقدرين على دفع أجرة مانكير؟" غريب أن امرأة مثل هنى تتلف أظفارها بانتظام.

تتنهد بعمق لتظهر لى مقدار العذاب الذى أسببه لها، وكم يصعب عليها أن تقرر طردى من العمل - هذا العام، أو العام القادم، أو خلال عامين. إنها ليست فقط الرئيسة، إنها هنا منذ مدة طويلة، ولديها طفل، ابنة.

"أين الغرير؟" سألتنى. إسمع دقائق كعبها على البلاط.

"لم أكن أعلم أنكما تعرفان بعضكما".

"ظننت أننى أعمل لك معروفاً. هل تقربت منك؟" تحركت يدها فى جيب المعطف. العظام التى تحصى بواسطة أيام الشهر برزت الآن تحت القماش. صرخات التلاميذ تبتعد وتخفت. "هنا يعرف كل واحد الآخر. هذا هو الوضع هنا. كما أن صديقك باتريك يتصل بك باستمرار." تخطو عدة خطوات فى اتجاه الباب. "أنت لم تنامى طيلة عطلة نهاية الأسبوع؟"

بادرتها بالسؤال: "هل تحنين أنت أيضاً فى بعض الأحيان إلى أيام زمان؟"

"ما معنى هذا السؤال الآن؟ لم يكن لك أية علاقة بذلك كله!"، قالت بنبرة هادئة نسبياً. "يا إلهى! ماذا بك يا ليديا؟" تصرخ غاضبة عندما هممت بالرد، ثم تضيف: "لم يعد أحد يطلب منك شيئاً إلا تحنيط بضعة حيوانات. أسوأ ما يمكن أن يحدث لك هو أن تصحبنى التلاميذ فى جولة عبر صالات المتحف، أو أن ينقطع التيار الكهربائى، أو أن يشد أحدهم فيشة الثلاجة. ليس عليك أن تعتنى حتى بطفل، ولا حتى طفل!" تضع

هنيّ - وظهرها لي - سيجارة بين شفّتيها، وتتفخ الدخان في اتجاه السقف. "ماذا حدث للغريب؟"

أتحسس مفتاح السيارة في جيب جاككتي. "نسيته"، أقول لها رافعةً المفتاح المعلق في العالقة الصفراء، وكأنتني بذلك أستطيع إثبات شيء ما.

لا تنتظر هنيّ ناحيتي، بل ولا تستدير. تخرج من الغرفة وتنزل الدرج. عند كل خطوة تخبّط بكفها على الدرايزين الخشبي وهي تسب وتلعن. لا أفهم ما تقوله، بالرغم من أنها تركت الباب مفتوحاً. أسحب الجاكتة مرة أخرى فوق أكتافي، وأضع مفتاح السيارة على المائدة جانب الدخّل الذي أقترّب منه، ثم أواصل عملي.

الفصل السادس

ليلة طويلة ، طويلة

باتريك يحكى عن صعوبة العثور على منزل فى
الظلام. الاحتفال بعيد الميلاد فى الأرياف. مطاردة
فى رحلة العودة، وحفلة فى محطة الوقود.

الثلاثاء، السابع من أبريل. توم يحتفل بعيد ميلاده الخامس
والثلاثين. قبل عامين ورث إرثاً كبيراً، وبعدها مباشرة ورث بيلى -
زوجته - إرثاً أكبر. يسكنون الآن فى عزبة فسيحة عند لايزينج. تهتم
بيلى بأمور الطفلين التوأم، وتعتنى بالحديقة، وتعطى دروساً فى الناي.
توم ما زال يعمل فى تماثيله الخشبية - رءوس عملاقة بأنوف عملاقة -
التي لم يعد بحاجة الآن إلى بيعها. ليديا تعرف الاثنين من برلين عندما
كانت طالبة فى كلية التربية. أتقابل مع توم وبيلى بانتظام عندما أسافر
إلى لايبتيسج أو كمنيتس من أجل تصوير حفلات افتتاح المعارض الفنية.
فى كل مرة تقول لى بيلى: "لابد أن تأتوا وتتفرجوا على العزبة".

لما اتصلت قبل الثامنة بقليل حتى أسأل عن أقصر طريق، كانت بيلى على التليفون. قالت إنها كانت تنتظر قدومنا قبل ذلك، قبل ذلك بكثير، وإنها لا تأخذ بالها أبداً من الطريق لأنها لا تسوق. يبدو من صوتها أنها تحيي ضيوفاً دخلوا أثناء حديثها، أو أنها تعطي إشارات تحدد أماكن الجلوس. وفي نهاية حديثها تقول بيلى: "توم الآن في الأتيليه الخاص به. إنه يركب طاولة بينج بونج".

ليديا صبغت شعرها بلون جديد، وترتدى لأول مرة السوار الفضى الذى أهديته لها بمناسبة عيد ميلادها. على حجرها تمسك بأطلس نادى السيارات لعام ٩٠. كان الغلاف الخلفى للأطلس قد انفصل عن الكتاب، لذلك نستخدمه كعلامة بين الصفحات. ليديا وأنا نتحدث عما سوف نفعله لو ورثنا مليوناً مثلاً. لا يخطر على بالنا شيء سوى رحلة حول العالم، وحتى هذه الفكرة ليست جيدة، لأننا بعدها سنكون فقدنا وظيفتنا، أى أننا نحتاج إلى نقود أكثر بكثير.

تسألنى ليديا إذا كنت أعرف شخصاً، مثلنا، لا يرث. "أعتقد هذا"، لكن سؤالها يجعلنى أتردد، ثم يتضح بعد وقت أن حماى وحمامتى يملكان عشة على البحر، أو أن هناك عقاراً للجدة مساحته هكتار، وبالصدفة بين برلين ويوتسدام. ليديا تعرف امرأة تعيش وحدها، نزل على دماغها - كما يقولون - مليونان تعويضاً عن قطعة أرض كانت تزرع فيها بطاطس، ثم التهمها أحد مداخل الطريق السريع عند شمولان. لا نستطيع كلانا أن نفهم لماذا لا يشعر بالسعادة أولئك الذين يربحون الملايين من أوراق اليانصيب. تقول ليديا: ربما كانوا من

أصحاب الملايين قبلها أيضاً. أمد لها راحة يدي، فتمسك بها وتضغط عليها لبرهة. فى روخليتس أخذ المخرج الخطأ، وبعد عدة كيلومترات يتوجب على الاستدارة. أتردد مرة أخرى عند التقاطع. ليديا ترى أن علينا أن نتبع اللافتة المكتوب عليها: "كل الاتجاهات الأخرى". أشعر أننا نعود إلى حيث أتينا بعد أن قطعنا نصف دائرة كبيرة.

قالت ليديا إنها تشعر بالحرج لأننا سنصل متأخرين. كان قد مضى علينا ساعة فى الطريق منذ انطلقنا. تريد أن نستدير عائدين لأننا لم ننتبه إلى لافتة. انطلقى بأقصى سرعة لم يعد يفيد الآن شيئاً.

"أخيراً!" أتهجد قائلاً عندما نصل إلى التفريعة. علينا الآن التوجه يميناً. ليديا تغلق الأطلس، وتمشط شعرها. أبطى من سرعتى، وأضئ كشاف النور البعيد. بعد فترة طويلة نصل إلى القرية التالية. يميناً بعد التفريعة!، هذا هو كل ما أعرفه. بعد عشر دقائق نعود إلى التفريعة، بجانب اللافتات تماماً. أستدير، "لابد أنه هناك"، أقول لها وأشعل الضوء وأطفئ. "هناك بالضبط!" تزفر ليديا: "ماذا تفعل؟" أطفئ الكشافات. أعتقد بالفعل أنني لمحت ضوءاً على الجانب. لكن العزبة لابد أن تكون على الجهة اليسرى. مع ذلك نواصل البحث عن الطريق.

بين الأخاديد العميقة نسير إلى الأمام. على جانبي الطريق تنمو أعشاب.

تسألنى: "بيلى وتوم لديهما سيارة جيب؟"

أومئ بنعم.

"لا غنى عنها فى مثل هذه الطرق".

لا يمر وقت طويل حتى تتعرف على ظلال بيت صغير مضاء بعدة مصابيح متناثرة، محطة محولات كهربائية أو ما شابه، محاطة بسياج من الأسلاك. يستطيع المرء قراءة اللافتة: "خطر الموت".

"فى وسط الحقول!" تتعجب ليديا.

أفرمل فجأة، لا أستطيع السير للوراء بسبب ماسورة العادم. ليديا تصمت. لا بد أن تهبط وتعطينى إشارات حتى أستطيع الخروج من الحقول، ولكن من العبث أن تفعل ذلك بمثل هذا الحذاء الذى ترتديه. بما يشبه المعجزة أتمكن من الدوران. لبرهة تستولى على مشاعر الفرح وكأنا وصلنا.

تقول: "ربما تقف وتدق الجرس، وتسال عن الطريق؟"

"أين؟" أسألها. "كما أن الفلاحين يغطون الآن فى نوم عميق!" أسير الآن فى التفرعة الأخرى. تقول ليديا: "لكن هذا الطريق غلط".

أتفادى قطة مبيتة ممددة على الطريق. بعدها بقليل أرى غراباً ملتصقاً بالأسفلت. فى الحارة اليسرى. فقط جناح ينهض عمودياً ويرفرف فى الريح.

أسألها: "هل عاودك الصداع؟"

"كنت أعتقد أنك سألت عن الطريق؟"

"عند التفرعة يمين"، أقول لها. "سأدق الجرس. عندما أرى ضوءاً سأنزّل وأدق الجرس".

لقد رسمت لينا رسماً تخطيطياً. ثم تضيف: "اسمع كلامي وارجع!"

أخذت قلب في محتويات الدرج الأمامي. نمر ثانية على الغراب والقطعة. في غمرة البحث والتقليب تتوقف ليديا فجأة، وتتكى إلى الوراء. لأول مرة أنتبه إلى وجود المصباح الصغير في الدرج الأمامي. بسبب ضلقة الدرج المفتوحة تمزق جوربها في عيد الميلاد. أقول لها إنه لم يعد ينفع أي شيء، وإنا بحاجة إلى تليفون. أسألها هل تتذكر أين رأيت تليفوناً لآخر مرة؟ لم تتد عن ليديا أية حركة، ولا حتى هزة رأس.

بعد بضعة كيلو مترات نتوقف أمام إشارة تنظم المرور في منطقة إصلاحات في الطريق. أمامنا سيارة فورد بيضاء. أوقف المحرك وأقرأ الملصق عليها: "أنت قريب من سيارتي - ولكن رينا أقرب". "كلام فارغ!" أقول. "ما هذه السخافة!"

"دائماً نخطئ." قالت ليديا بعد برهة. "كل ما نفعله غلط." ترسب بصرها إلى الأمام. ظهر إحدى يديها على حافة المقعد، والراحة نصف مغلقة. يمكن للمرء أن يضع شيئاً داخلها.

"أخضر"، تصرخ ليديا، "أخضر!" ثم تغلق الرف بخبطة عنيفة على الضلقة.

الفناء مكتظ بسيارات لا أعرفها، من بينها سيارتان عليهما لوحات مدينة فيسبادن. بيلى وليديا يتعانقان طويلاً، ويتأرجحان يميناً ويساراً. أمسك الهدايا: للتوأم علبتان صغيرتان بهما مكعبات ليجو. ظلت العلبتان

عدة أيام فى مدخل بيتنا، فى الجزء المخصص لتعليق الملابس. أما هدية توم فهى كتاب مصور: "تماثيل عصر النهضة - الفنان بوناتيلو وعالمه".

تقول بيلى إن توم تشاجر معها. ثم تعانق ليديا بيلى مرة أخرى. "آه، يا ليديا"، تتنهد بيلى. أمام الباب تحكى أن إنريكو هنا أيضاً، إنريكو فريدريش، من المسرح. "لقد حضر بالأوتوبيس، ثم سار لمسافة طويلة، والآن ينام فى سريري، متكوراً كجنين." أقول لها إنه يستطيع العودة معنا فى السيارة.

"لن نتحدث الآن عن العودة!"، تقول بيلى وتمسك بمعصم ليديا، ثم تسبقها إلى المطبخ.

النساء يجلسن بمفردهن - ليست بينهن واحدة نعرفها. تلف حول المائدة ونصافح كلاً منهن. بعدها نجد طبقين فى انتظارنا عليهما سلطة بطاطس وقرص لحم مفروم ساخن، وخيار مخلل. تكرر بيلى أكثر من مرة دعوتها لنا بأن نأكل فى هدوء. النساء الأخريات يتكئن على مقاعدهن ويتفرجن علينا.

عندئذٍ ظهر الرجال. نقف ونهنئ توم الذى يرتدى ثياب التجارين. يقول إنه اتصل تليفونياً ولكن لم يرد عليه أحد، ثم يضيف أن علينا الآن - هو وأنا - أن نلعب مباراة. بعض الأزواج ينصرفون.

من الأتيليه نسمع هدير السيارات وهى تنطلق. لابد أن أعود أولاً على لوح الطاولة الألومنيوم، ولهذا أخسر كل كرة تقريباً. يسأل توم إذا كنت أنوى الزواج قريباً من ليديا، وماذا تفكر بالنسبة للإنجاب،

ومتى سأقيم معرضاً لأعمالي. بين الحين والآخر يمتدح كرة أرسلتها. يقول إنه على استعداد لدفع نقود للاعب على مستواه. أسأله عن إنريكو.

توم يضحك ضحكة صفراء: "إنه يقول لكل من يقابله إنه مريض بسرطان المعدة، وإنه سيسافر خلال أسبوعين إلى البرازيل ليعمل في مجال المعونات الإنمائية - بما معناه: هذه آخر مرة نرى فيها بعضنا. لا تصدق حرفاً مما يقول! وعلى فكرة، هو لم يكن مدعواً على الإطلاق".

بيلى تصعد الدرج، وتقول لتوم إن عليه أن يودع شخصاً. أنتظر لبرهة في الأتيليه بين الرءوس الخشبية، ثم أعود إلى المطبخ. ليديا تتحدث بصوت عالٍ ويانفعال مع الضيوف القادمين من فيسبادن.

سيبيتون هنا. إنريكو ما زال نائماً، أما الآخرون فقد انصرفوا. تقول بيلى إننا لابد أن نبقى حتى نعطي الهدايا للتوأم بنفسنا. تبدو ليديا أنيقة للغاية، وكأنها طيف أو خيال في هذا المطبخ.

أحد الفيسبادنيين يعمل تاجر نبيذ بالجملة. يومئٍ باتجاه السيدتين اللتين تملأ لهما بيلى الكأس من جديد، ويقول إنهما شقيقتان. منذ فترة طويلة وهو معجب بأعمال توم. في البداية لم يستسغ التماثيل الملونة، أما الآن فإنه لا يستطيع أن يتخيلها على أى نحو آخر. بعد ذلك تتحدث كلنا عن تطور توم الفنى. تقول بيلى إن اللون يكتسب أهمية متزايدة في أعماله. تمر فترة صمت. يكرر تاجر النبيذ ملاحظته السابقة، ثم يضيف أن هذا هو ما قاله من قبل. نهز رأسنا. تسأل ليديا ألا يصح أن نوقظ إنريكو؟

لست جليسة أطفال"، يزفر توم، ثم يملأ طبقه عن آخره بسلطة البطاطس. نجلس جميعاً إلى المائدة. انطلقت ليديا تتحدث بحماس عن الماضي، عما أصبحت تسميه "حياتها البرلينية". أخذ توم يحكى بين المضح والمبالغ ما حدث عند افتتاح أحد المعارض الفنية. فى البداية انقطع التيار الكهربائى، وبعد ذلك كان صدى الكلام يتردد من السقف. تنفجر بيلى وليديا ضحكاً. ويشرح توم أن السقف كان به جهاز تنصت لم يعمل على الوجه الصحيح، يعنى بالعكس، كمقوى للصوت. الآن يضحك الأصدقاء من فيسبادن أيضاً.

تجلس بيلى بجانبى وتسال، وفمها على أذنى، إذا كانت داني - نحن نعمل فى الصحيفة نفسها - قد أخذت ابن أختها مؤقتاً أو دائماً. أم الصبى، أخت داني، لقت مصرعها فى حادث دراجة، أليس كذلك؟

لم أكن أعرف أنك تعرفين داني، أرد عليها. تتذكر بيلى حالات أخرى هرب فيها السائق، وتتحدث عن الصدمة التى تسببها حادثة كهذه، وأن من المفروض أن يحصل السائق على حكم مخفف. أعترض على ذلك، لأنه عندئذ سيتحجج كل حيوان بهذه الحجة. "عندك حق"، تقول بيلى. "ولكن فى بعض الحالات لا بد من مراعاة أثر الصدمة."

"عن أى شىء تتحدثون؟"، يصيح توم. يدعو ليديا ويدعونى لقضاء عطلة نهاية الأسبوع كاملة، فى مايو أو يونيو، أو عندما تقيم بيلى حفلاً موسيقياً لتلاميذها. أصبحت تعرفون الطريق الآن، تقول بيلى. ما زالت هديتنا مغلقة بورق الهدايا على الكرسي المنخفض.

عند الوداع تعانقني أنا أيضاً. يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تجلس ليديا في السيارة. نلوح لهما من السيارة ونبتسم، مع أن لا أحد يرانا.

"الواحدة والنصف"، تقول ليديا. تفتح شنطتها وتتناول الكروت واحداً بعد الآخر. "نحن مدعوون للسفر إلى بحر الشمال، وإلى تسييتاو، وإلى فيسبادن." تفرد ساقها وتضع قدمها فوق الأخرى. أقترح عليها أن ترجع مسند الظهر إلى الوراء لتنام.

تسألني: "هل تحدثت أكثر من اللازم؟"

"أبداً، على الإطلاق."

لما توقفت عند إشارة منطقة إصلاح الطريق، كانت ليديا قد استغرقت في النوم. الحارة المستقيمة المسفلتة حديثاً والمضاءة إضاءة كاشفة تقودنا عبر البلدة الميتة. أوصل السير عند الضوء الأحمر. فجأة تظهر سيارة خلفنا. بعد منطقة التصليحات أبطئ من سرعتي. يتبعون سيارتنا. ما زالوا يعطون إشارات ضوئية. أفحص ضوء الكشافات والفرامل اليدوية والحرارة والبنزين والضوء الوامض. لو كانت مصابيح الإشارات الخلفية عندي عطلانة، كان توم نبهنا.

أدير المرآة العاكسة إلى أعلى، وأعطى إشارة إلى اليمين. لا يريدون أن يتجاوزونا. إكسدام سيارتهم يكاد يتلامس مع سيارتنا.

مع البيت الأخير تنتهي مصابيح إنارة الطريق، على كلا الجانبين حقول مفتوحة، وفوقها الهلال. أنوس على البنزين، أستخدم الكشافات،

وأظل في منتصف الطريق، خطوط الطريق بين العجلات. بسرعة مائة وعشرين نظير في اتجاه إحدى الغابات. لا يتوقفون عن مطاردتنا، هؤلاء الرومانيون أو الروس أو البولنديون، أو الجن الأزرق ... ربما تتمدد شجرة بعرض الطريق. أسأل نفسي لماذا لم نأخذ إنريكو معنا؟

لا بد أن أحافظ على هدوئى، وألا أسمح لهم بأن تكون تصرفاتى مجرد ردود أفعال. تانك البنزين ملئ حتى ربعه. هذا يجعل السيارة خفيفة. نحن في بلد مزدحم السكان، ولسنا في سيبيريا. ترتعش ركبتي، لكننى لا أشعر بأى شئ في القدمين. عندما استقام الطريق من جديد، اتكأت جانباً، وحاولت أن أضغط لأسفل على الزر في باب ليديا، إلا أنني عجزت عن الوصول إليه. أتحسس الزر في بابى.

إذا اصطدموا بنا، فستطير سيارتنا من الشارع. ليس لدينا كوابح آلية، ولا وسائد هوائية، ولا حتى في ناحيتى. حزام الأمان مربوط. أفكر في الواقى الجانبى من الصدمات - ربما يكون لدينا.

حقول من جديد، لا منازل. منطقة تصليحات يضيق فيها الطريق. في المرآة الخارجية أرى كشافتهم تتطفي.

عند مزلقان السكة الحديد قبل جايتهاين تومض إشارة التحذير، الحواجز المعدنية قد هبطت. أمد يدي فوق ليديا وأضغط على زر الأمان في بابها. الكشافات وراعا تومض مرة أخرى.

"جايتهاين"، أقول لليديا التي تفتح عينيها.

"ياه، يدك باردة كالثلج".

قراءنا مجانين".

"من؟"، تتسائل وتستدير.

يقتربون منا لدرجة لم يعد يبهر معها الضوء. أتعرف على ملامح وجه طفولي مسطح.

أقول: "مجنون". يجلس منحنيًا إلى الأمام، وكأنه سائق بلدوز، ذقنه على عجلة القيادة. يشرب بعنقه. جبهته تصطدم بالزجاج الأمامي. نشعر برجة.

"ماذا يريد؟" تنزل ليديا حاجب الضوء أمامها.

"إنه .. الإكسدام .."، أبلع ريقى وأقول: "أعطى قبلة للإكسدام".

"ماذا يريد ...؟"

القطار يمر. القضبان تمتص ثقل العربات المحملة بالحبوب. أفرد ساقي تمامًا، وتتزحلق قدمي على بواسطة الفرامل إلى أن تثبت في المنتصف.

الهزة التالية تجعل السيارة تتأرجح. أتشبث بعجلة القيادة. لا يخترق الصمت إلا القطار. أركز انتباهي على المسافة الفاصلة بين غطاء الموتور والحافة السفلى من الحاجز. السكة الحديد ليس بها أثر للمطر. قطار لا ينتهي.

عندئذٍ أنتظر حتى ترتفع الحواجز إلى أعلى، وحتى تتوقف الإشارات التحذيرية عن الوميض.

"السيارة لا تسحب كما ينبغي"، أقول وأخبط بكفى على عجلة القيادة.

تشرئب ليديا إلى أعلى قليلاً، واضعة رأسها على المسند. مرة أخرى أجعل خطوط الطريق بين عجلات السيارة. حتى بعد المنحنىات يظل ملتصقاً بنا.

أقول: "لن يتبعنا إلى الأبد."

فجأة تقول ليديا: "طبق فضائي." لا تتم نبرات صوتها عن أى انفعال. يبرق ضوء خلف أحد التلال، فى وسط الحقول.

أقول: "ميامى." ينعطف الشارع فى اتجاه الضوء الذى يزرق، أزرق ساطع. محطة تموين وقود. أعطى إشارة ضوئية.

"أبطى"، تصرخ، "أبطى." يمرق المجنون بيننا كالسهم. أفرمل فى منتصف المحطة.

"إنهم يحتفلون هنا"، تقول ليديا. أنزل من السيارة، وأفتح غطاء تانك البنزين. مجموعة من النساء والرجال يرفعون من داخل المبنى كئوسهم ناحيتنا. يتكئون على مائدتين مستديرتين متلاصقتين أمام رفوف الثلاجة. رجل نو شعر كالقنفذ يمسك بذراع جارتة ويومئ لنا بأن ندخل. يشير إلى وإلى ليديا التى تهبط وتقف جانبى.

"Surprise, surprise"، يصرخون جميعاً عندما دخلنا. تصيح امرأة حمراء الشعر: "أو - فه، أو - فه؛ فيجيبها الجميع بصوت واحد: "Surprise, surprise". كلهم أكبر منا عمراً.

يفتح صاحب البنزينة كرتونة بيرة "بكس" بها ست زجاجات. يمسك بكل يد ثلاثاً، ويضعهم على المائدة. يصرخون ثانية: "أو - فه، أو - فه". يرحبون واحداً وراء الآخر بليديا.

"ينتظرون مجيء التاكسي"، يقول صاحب البنزينة عندما دفعت له ثمن الوقود. "ليس من المعقول أن أدعهم ينتظرون في الخارج. هل تريد شيئاً آخر؟"

أشترى زجاجتي مياه غازية بطعم الزنجبيل، لليديا ولي. ما زالت يداي باردتين؛ لذلك لا أريد أن أصافح أحداً. تقول ليديا إن أمامنا ستة محاسبين يريدون جميعاً أن يصبحوا مستشارين في الضرائب. يومئذ بجدية. عندئذ يهتف الرجل الواقف جانبي: "Surprise, surprise"، وقد شُرق من الضحك. تتناقل الأيدي زجاجة ويسكي "جيم بيم" كبيرة.

يهمس أحدهم بشيء في أذن المرأة الواقفة جوارى، فتصيح "لا"، ثم تتفحصني، وتكرر "لا". بعدها يعانقها أحدهم. ليديا تتناول الزجاجات وتحتسى. يضرب شخص على ظهري بكفه: "وبعدين، يا زميل ... هل ترى هنا تاكسي؟" لا أعرف ماذا يقصد. يبدأون في الصياح والزئير. ليديا تمسح فمها. صاحب البنزينة يلصق الأسعار بالماكينة على علب اللبن الزبادي. برشفة واحدة أفرغ زجاجة الزنجبيل الثانية أيضاً، ولكنني أظل ممسكاً بالزجاجة.

"أو - فه، أو - فه، عايزين تاني!"

تشير ليديا إلى البقرة المنفوخة المعلقة فوق الخزينة، بقرة على شكل طوق سباحة. "هذه لي"، تصيح وتحصد تصفيقاً لأنها آخر قطعة في المحل، ولذلك لا بد من فكها من على السقف. كما تطلب كارتاً لتشغيل ماكينة غسل السيارات ألياً.

"لن تعمل الماكينة قبل السادسة"، يقول صاحب البنزينة. تصر ليديا على طلبها. "الجو لطيف هنا"، ثم تصيف: "وأنا متأكدة أننا سنعود مرة أخرى." تبدأ في التسوق. تفعل ذلك كالسيدات الراقيات: تعلق ذراع السلة البلاستيكية الزرقاء فوق المرفق. تدرس المكتوب على كل علبة. تأخذ كيسين حليب، وكرتونة بها ست بيضات من بيض الفلاحين، وجبنة موتساريلا، وشرائح خبز خشن. وعليهم تضع بطاريات "فيرتا ألكالين" الطويلة العمر. تقول لي: "فقط "الموزلي" (*) ليس عندهم."

بينما كنت أضع طوق النجاة - البقرة - على المقعد الخلفي، أخذت ليديا تودع الآخرين. كل اثنين يركبان معاً. ليديا تجمع كروت شخصية مرة أخرى، أيضاً من النساء.

عندما لوحوا لي، أكتفيت برفع إصبع من على عجلة القيادة. أعرف منذ دخلت أنهم يعتبرونني منغلماً ولا أقبل الهزار والمرح. أتخيل أن ليديا تسافر معهم. يأتي صاحب البنزينة ويقول: "لقد نسيت زوجتك هذا". يعطيني كارت الغسيل المستطيل الأحمر، ومناشف في عبوتها

(*) حبوب وفواكه مجففة ، تؤكل عادة في الإفطار مع حليب أو زيادي . (الترجم)

البلاستيكية. يرفع يده ويلوح للتاكسي. ترفع ليديا زجاجة الجيم بيم فوق رأسها كأنها كأس بطولة.

"أنت لم تهتم بأمرى على الإطلاق عندما احسك بنا." تقول ليديا التي لم تغلق بابها جيداً، وكأنها على وشك النزول مرة أخرى. يداها تحيطان الآن بالزجاجة على حجرها. "على الأقل كان ينبغي أن تعطيني يدك، أو تقول لى لا تخافى وأنتك ستحمينى، أو شىء من هذا القبيل."
"لم أكن أريد أن أكبر الموضوع"، أقول لها فى النهاية. "إنه مجرد صبي غبي".

"أنت لا تفهم. كل واحد كان جالساً وحده، أنت هناك، أنا هنا. شىء فظيع!"
"غير صحيح."

"طبعاً صحيح." تفتح غطاء زجاجة الجيم بيم. "لكنك لا تريد أن ترى الأمور على حقيقتها، كالعادة تصور الأشياء كما تريدها أنت." تحيط بإحدى يديها عنق الزجاجة وتشرب.

أشعر بغثيان. أرغب أن تتوقف ليديا عن الشراب، وأن تربط الحزام، وتغلق بابها جيداً.

أنزل من السيارة وأذهب إلى حيث الكنسة الكهربائية. وراءها أبول. الهواء البارد ينعشنى. يتصاعد البخار من بولى. أظل برهة واقفاً وينطلونى مفتوحاً. ثم أركل الوعاء الموضوع فوقه جهاز قياس ضغط الهواء. يتأرجح يميناً ويساراً ويصدر صريراً.

يدفع صاحب البنزينة رفاً بعجلات أمام الباب، عليه ولاعات
وحيوانات من القماش وقطع شيكولاتة.

ليديا تتزوق. الرائحة في السيارة أليفة ومحبوبة بالنسبة لى، وكأنها
تصحبني منذ سنوات طويلة، مع أننا لم نشترِ السيارة (الفيستا)
إلا في الخريف الماضى.

"الواحدة ليست لديها حتى مفك للدفاع عن نفسها"، تقول ليديا.
تمسك باليمنى قلم أحمر الشفاه، وفي اليسرى غطاء. "ولكن المعجزة"،
تضيف، "أن الإنسان لا يتعرض بصورة مستمرة لهجمات الآخرين".

بابها الآن مقفول. أشغل المحرك وأتقدم ناحية الشارع. أعدل من
وضع المرآة العاكسة.

"إذا عملت بوليصه تأمين على الحياة، هل أكتب اسمك؟" تسألنى
ليديا. فجأة تتكى على وتحيطنى بذراعيها، وتهم بتقبيل أذننى اليمنى.
اليسرى تداعبها بقلم أحمر الشفاه. تتجول شفاتها على عنقى. أشعر
بكارت الغسيل فى جيب الصدر، حيث يضغط كوعها، بينما كانت تضع
خلف كتفى الأيسر الغطاء على القلم.

أحيط ليديا بذراعى. أرى بين قدميها الجيم بيم، وفي المرآة
العاكسة البقرة المنفوخة. انحسر ثوب ليديا عن فخذيها. أرسل بصرى
إلى المرآة الخارجية، وعندما أتأكد من خلو الشارع، أنطلق.

الفصل السابع

صيف منعش

رناتا وإرنست مويرر يعيدان الحياة إلى بيت ريفي
مهجور. اللوح المكسور. مويرر يعود بمفرده
متنزهاً سيراً على الأقدام. في الليل يُسمع غناء.

"لا أحد يجرؤ على الادعاء بأن الحظ لم يكن حليفنا! ولكن بيتاً كهذا
يتطلب عملاً هائلاً." مسح مويرر شفتيه بمنديله، ثم وضع طبقه على
اللوحة الخشبي، ووضع اللوح على الصينية، ومشى خلف امرأته التي
كانت تحمل زجاجات شراب الشعير الفارغة والكنؤوس. "كما أنه لم يقل
لك شيئاً عن اللوح!"

اجتازته قائلة: "هل تتوقف عن هذه الشكوى الدائمة؟ كيف له أن
يعرف ذلك؟" ظل مويرر واقفاً. من المطبخ سمع الطقطقة التي تعلن توقف
موتور التلاجة عن العمل. على الفور اهتزت الزجاجات.
"هذه هدية، يتقبلها المرء شاكرًا بدون نقد"، ألقت رناتا بهذه
الكلمات في جوف الصمت.

"هه، قال هدية قال!" أخذ مويرر نفساً عميقاً، لكنه لم يضيف شيئاً.
"لقد عرضته عليك، وليس علىّ. طبعاً لا بد من إجراء بعض الاتصالات.
أتعتقد لو كان المنزل بحالة أخرى، كان ... أنت تعرف نويجباور!"
أمسكت بالصينية عالياً، وكأنها تريد أن تتناولها له. "على كل حال أنت
الرجل!"، قالت ذلك وانصرفت.

في المطبخ أخذ مويرر يضع الكئوس والزجاجات على حافة حوض
غسيل المواعين. نقض منشفة المواعين، ثم أمسك بسكين الخبز وراح
يطعن الهواء، قائلاً: "فليات الرومانيون ..." (*).

"الأوغاد!"، ردت عليه. بفرشاة خشبية طويلة راحت تحك أسنان
الشوكة من الناحيتين.

سحب مويرر الدرج ووضع السكين بجانب صندوق أدوات المائدة.
"على الأقل لم يفعلوا لهم شيئاً"، قال ذلك متناولاً منها كأساً.

"أما أنت عندك أفكار! أود أن أراك عندما يقومون ب... ماذا
سيكون رأيك عندئذٍ." نزعَت السدادة ونظفت الحوض. ملأت المقلاة حتى
منتصفها بالماء، ووضعتها فوق الموقد ثم ذهبت إلى غرفة النوم.

"الصحف تبالغ دائماً"، صاح مويرر. "لازم نمشى." علق منشفة
المواعين على حامل منشفة اليدين، ثم أنزل كمي قميصه. شبك المطبخ

(* إشارة إلى اللاجئين من رومانيا في تلك الفترة . (المترجم)

تركه مفتوحاً. منذ يومين وهما يتحملان هذا التيار الهوائى، ومع ذلك ما زالت تفوح فى المنزل عفونة الفطر ورائحة الخشب غير المطفى الذى أزالا من فوقه طبقات الغبار بقطعة قماش مبللة. عندما أتت حاملة شنطة السفر لاحظ أنها أغلقت أزرار بلوزتها بأصابع مبلولة. "لازم نمشى"، قال مرة أخرى.

لأول مرة يسيران فى هذا الاتجاه. حاول مويرر أن يتخيل كيف سيبدو كل شيء عندما يألفه: الطريق المبلط، والسياج الخشبي أمام الحدائق الصغيرة الضيقة، ومياه البئر المتدفقة من المناسورة الحديدية وتحتها الشبكة المغطاة بالطحالب، ومداخل المدينة المبنية على شكل أقواس. من فتحة تحت بوابة حوش ظهر خطم كلب يختلط سواده بالأبيض. كان الخطم راقداً على الجانب، ثم انطلق ينبج. ربما يتعرف أيضاً على شخص، ويحييه. حمل مويرر الحقيبة وبيداخلها الستائر التى تريد زوجته غسلها. يوم الجمعة على أقصى تقدير سيعود إلى هنا لاستقبالها عندما تجيء بالأوتوبيس. فى المساء سيمسك بالنسلم ويناول ريناته ستارة بعد أخرى لتعلقها. سيقول لها إنه لو كانت هناك بقعة واحدة فى البيت، فلن يسمع المرء منه شيئاً لمدة خمسة أيام وخمس ليالٍ، عدا الشخير.

شفت بشرة وجنتيها عن لون أبيض تقريباً، وتحت إبريم الصندل كان كعبها ملتهباً متورداً. حاول فى السرير أن يحشر قدميه بين أقدامها، عندئذٍ لاحظ أنها قد نعمت من جديد بشرة كعبيها. ولأن المرتبة كانت أطول من غطاء السرير فقد غطيا المرتبة المصنوعة من المطاط الإسفنجى بمناشف عند الأقدام.

بعد ذلك بفترة استيقظ من نومه. أراد أن يفلق النافذة، إلا أنه لاحظ عندما جلس أن الأصوات لا تصدر من الخارج، بل من زوجته.

منذ أن نقرت على زجاج الأوتوبيس وقالت: "الثاني على اليمين"، وهو يشعر بالقرف من بيت نويجباور. بهت لون الطلاء الأبيض بفعل الأمطار، وتحتته ظهر لون رمادى غامق، يقترب فى الأسفل من اللون الأسود بسبب الرطوبة. قال مويرر لعناً: "كما عند الروس." اجتازا طريقاً من حطام القرميد. سارت بهم من بوابة الحديقة حتى باب المنزل، ثم فى النهاية اللوح المكسور. وجد الحجر تحت المائدة، فأمسكه بمنديل، ووضع على الكومودينو بين صورة زفاف نويجباور والبارومتر، ثم طبق المنديل مرة أخرى. لم يفعل شيئاً آخر. سار فحسب وراء زوجته، وتطلع من وراء كتفها إلى الحمام والمرحاض والمطبخ، ثم أخذ يراقبها وهى تدفع بقوة الباب الخلفى الذى استعصى على الفتح. كانت المضخة فى الحديقة الشعثاء تعمل. بين شجرتين من أشجار الفاكهة تأرجحت الملائة المعلقة للتمدد عليها. بدا السقف فى حالة جيدة لا ينفذ منه الماء - لم يجدا مفتاحاً لغرفتى السقيفة.

بجانب المنزل مباشرة أخذ مويرر يحفر حفرة. لم يُذكر زوجته بالغداء. كانت قد ركعت على ركبتيهما فى انهماك كامل، وراحت تدندن بافتتاحية باباجينو، وعندما يجىء البيت الذى يبدأ بـ "المرح الدائم..." فإن صوتها كان يصدح بالغناء. بلا خجل كانت تلمس كل شىء. نظفت حوض المرحاض، وكابينة الدوش، وأزالت بيدها العارية خيوط العنكبوت من الأركان، ومزقت كيس مخدة قديم ثم ثبتته بالدبابيس أمام لوح

النافذة المكسور. كان على مويرر أن يتغلب على اشمئزازه كل مرة عندما
يمسك بمقبض الباب، كما كان ينفر من اللاصق الطبي من صندوق
الإسعافات الأولية الذي لصقته زوجته في العصر على الفقاعة التي
ظهرت في كفه. لم يقبل أن يشرب القهوة من أحد الفناجين إلا بعد أن
أبدت استعدادها أن تغسل الصحون الغريبة مرة أخرى، بل لقد لعق
الملعقة بعد أن انتهى من التقلب.

الآن يسيران على حافة الطريق الزراعي، بين خط نهاية الطريق
للسيارات والأخود الذي يحد الطريق. في العشب الطويل المدهوس على
الطريق تتناثر اللعب الصفيح والزجاجات، وكأنها نمت بين الأعشاب.
كثيراً ما تمنى مويرر لو يقوم بجمع كل هذه القمامة. لو يشاركه
الآخرون في ذلك ... مبادرة جيدة التنظيم في كل أنحاء البلاد لتنظيف
حافة الطرق وما حول قضبان السكك الحديدية - سيكون هذا عملاً
جميلاً بالنسبة له.

أمام محطة الأوتوبيس كان يقف رجل يمانته في العمر أمام جدول
المواعيد. حياًه مويرر بإيماءة وعندما لم يرد قال له "مساء الخير"، ثم
أشاح بوجهه.

ما زال الجو حاراً جداً. التيار الهوائى الذى أحدثه مرور سيارة
بهما لم يطف الحرارة إلا قليلاً. فى كل مرة كانت تضع يديها
على فخذيها حتى لا تطير الجيبة. بنطلونه الصيفى كان يتطاير
فى الهواء.

"ما يطلقون عليه هنا محطة"، قال مويرر بصوت خافت دون أن ينظر إلى زوجته، مشيراً إلى العلامات المرورية البيضاء المتأكلة الحواف، "ينم عن وقاحة كبيرة".

قبل عام كان يشرح لها ماركات السيارات. في حالة شرائه واحدة كان يريد سيارة ألمانية، أو على الأقل سيارة تصنع في ألمانيا. خطر على باله سيارات وسكودا، ولكن حتى لو لم نحسب هاتين السيارتين، فقد كان لدى الألمان ست ماركات مختلفة. الإيطاليون لديهم أربع ماركات، بما فيها فرارى، والفرنسيون ثلاث فقط، بالرغم من رينو. "السيارة المستوردة رقم ١ في ألمانيا! كانوا يكتبون في كل مكان. ليكن، نحن لدينا الجولف، رقم ١ في أوروبا. لدى اليابانيون خمس ماركات. والأمريكيون؟ لا يعلم أحد عدد الماركات لديهم، كما أن هذه السفن لا تصلح لشوارعنا.

عندما وصل الأوتوبيس حاول مويرر أن يقبل امرأته على شفيتها.

"اتصل بي، غداً"، قالت. "ليس قبل الثامنة، أسمع؟"

ناولها مويرر الشنطة، ولأنها كانت تدفع الأجرة فقد ظل يسندها من أسفل. "ولا تنس استدعاء واحد يركب لوح الزجاج"، قالت ذلك، ثم حملت الشنطة بكلتا يديها أمام ركبتيها، وسارت إلى الخلف في الممر الضيق. سار في الخارج على الارتفاع نفسه وهو يلوح لها. جلست في اللحظة التي انطلق فيها الأوتوبيس. مسك أنفاسه، ثم تذكر ماركة سوبراو وإيسوزو، وهو ما أفسد مزاجه على نحو ما.

عندما أخذ مويرر نفساً عميقاً شم رائحة العادم. عبر الشارع. على الناحية الأخرى رأى طريقاً على جانبيه عمارات سابقة التجهيز. قرأ على اللافتة المعوجة: "عمارات جديدة". فى الخلف مبنى نو طابقين. بدا الدور الأرضى غير مأهول بالسكان.

عندما رأى مجموعة العمارات السكنية على الجانب الأيسر ذات السقف الجمالونى العالى - التى تشبه منزل نويجيياور - أراد أن يعبرها سريعاً. من أحد الأحواش راح كلب برناردينر ينبع نباحاً عميقاً أجش. لم يستطع مويرر أن يتذكر متى سار وحده لآخر مرة فى مكان غريب. سقطت أشعة الشمس على ظهره، وتحت قميصه شعر أنه يشم دفناً عتيقاً راكداً. أعجبه أن يمشى بون أن يعرف أين ومتى يتوجب عليه الدوران والعودة. لم يرغب أيضاً فى مقابلة أحد، ناهيك أن يسأله أحد: من هو، وماذا يفعل هنا، حتى لو اعتقدوا فى القرية أنه أحد أقرباء نويجيياور أو أحد أصدقائه. هذا النويجيياور يتجراً ويعطى الآن نصائحه الضرائبية فى ركن الاستشارات بصحيفة "الشعب"، لكنهم قد لا يعرفون شيئاً هنا عن ذلك. ربما كان بالنسبة لأهل القرية مجرد شخص يقود سيارة فارتبورج، يتحدث باللكنة الساكسونية ويعمل فى الحديقة حتى الإتهاك، والآن - لأى سبب كان - اختفى وأهمل منزله.

راح مويرر يفكر: هل يتوجب عليه الآن خلع القميص؟ إلا أنه كره أن يسير نصف عارٍ على حافتى الطريق تكاثرت نباتات "بنات النار" القراصنة العالية.

بعد عشر دقائق وصل مويرر إلى شونة مبنية بالطوب. كانت ماسورة تصريف المطر بها وكذلك مواسير المجارى مصنوعة بعشوائية من البلاستيك، وفي أكثر من مكان كانت الوصلة بين الأجزاء قد تفككت. أمام البوابة نمت أعشاب بكثافة شيطانية وغطت جهازاً صديقاً لم يستطع أن يعرف لأي شيء يُستخدم.

امتدت حقول الحبوب متماوجة تصل حتى ربوة لم يظهر وراءها الطريق المؤدى إلى العمارات سابقة التجهيز إلا كشريط داكن. من هناك أقبلت ناحيته سيارة.

من بعيد تنهى إلى سمعه أزيز طائرة. يستطيعان - لو أرادا - أن يقوموا بإجازة مثل بقية الناس، ويستطيعان شراء سيارة جولف بالتقسيط، بون أن يصلوا إلى حد الإفلاس. ما زال معه بعد استبدال العملة القديمة ١٢ ألف مارك ألماني. ثلاثة أشهر قبلها كانوا "يخدعونه" في الجريدة، على حد تعبير زوجته.

تنحى مويرر جانباً حتى تمر السيارة بون أن تتحرف عن الطريق. تباطأت الفيستا البيضاء، ثم حياه السائق الذي كان يصغره عمراً ومع ذلك نصف أصلع.

يدفعان الإيجار من معونة البطالة التي يتلقاها، ويدخران المبلغ الضئيل المتبقى. راتبها كسكرتيرة في مكتب نويجيياور للمحاسبة والاستشارات الضرائبية كان يكفي للمصاريف الأخرى. اشترى مؤخراً جهاز تليفزيون ستريو بالألوان وجهاز سى دى وعصارة ومجففاً للشعر.

فى فبرابر ٩٠ سافرا بالأوتوبيس إلى فنيسيا وفلورنسا وإلى ما قبل
أسيزى بقليل. فى الخريف ينويان قضاء أسبوع فى بورجنالاند
فى النمسا.

كان الطريق يمر بمنخفض ملىء بالغاب، ثم يأخذ فى العلو
تدرجياً. هنا الجو أطف. انحنى مويرر ولاحظ كيف يزحف جعران كبير
أسود لامع متجنباً الثقوب فى الخرسانة. قد يستطيع المرء هنا أن يتعلم
شيئاً عن الطبيعة. "جعران"، قالها لنفسه. كان يعرف أنواعاً أخرى
من الخنافس: الخنفساء المنسوبة إلى مايو، أو مريم أو البطاطس، ولكن
ربما لم يكن هذا جعراناً.

بالطبع لم يكن مويرر الوحيد الذى يعرف الكثير عن نويجيباور.
إلا أنهم جميعاً لم يفتحوا فهم حتى الآن، ولا حتى الصحف. عندما
عرض عليهما "الكوخ" الصيفى أدرك مويرر على الفور أن نويجيباور
ما زال يشعر بالخوف، أو أنه بحاجة إلى بواب بدون أجره، أو أنه أرسله
- مويرر - حتى يجس نويجيباور النبض، ويعرف إذا كان الناس هنا قد
سمعوا شيئاً عن مركزه السابق.

اقترب منه جرار صغير يجر مقطورة كانت تتأرجح وهى تهبط
وتعلو وفوقها أربعة أو خمسة رجال. انتحى مويرر ثانية ومشى على
الشريط الضيق بجانب الخرسانة. كانوا فى وضع أفضل منه سمح لهم
برؤيته، بينما هو لم يلمحهم إلا بالكاد. فى المرة الأولى حياهم عندما
كانوا على بعد عشرة أمتار، ولما مروا به أوماً إليهم برأسه مرة أخرى.
جاء الجرار من ناحية العمائر السابقة التجهيز. تصاعد الغبار فى

إثرهم. هتف أحد الرجال بشيء ناحية مويرر، شيء عن الماسورة أو النافورة، وفي سحابة الغبار والقذارة لمح الرجل في المقطورة واقفاً منتصب القامة ورافعاً ذراعيه بينما سنده الآخرون في وقفته. حبس مويرر أنفاسه مرة أخرى.

بعد ثلاثة أرباع ساعة وصل إلى تقاطع طرق. يميناً كان الطريق بين الحقول يقود إلى الغابات والذي بدا أنه ينتهي بما يشبه المغارة. انحرف مويرر يساراً.

ازدادت سخونة الهواء الآن. راح يفكر في إجازته المفضلة، الإجازة التي حصل عليها كجائزة. كانت الرحلة إلى آسيا الوسطى في سبتمبر ٨٦. هناك مشوا في الظلام في حوارى بخارى عندما قالت زوجته: كائنا في قرن.

كان الفلاحون قد انتهوا من الحصاد في الحقول على كلا الجانبين. بين الجذامات رأى شيئاً مستديراً فضياً، قطره يتراوح بين الثلاثين والأربعين سنتيمتراً. اتجه مويرر ناحيته. كان يعتقد أنه محرك، محرك كهربائي صغير، أو ربما لغم، أو صحن فضائي بالغ الضلالة. قبل أن يصل بخطوات استدار وأخذ يجمع بعض الحصى.

من الطريق أخذ يقذف الحصى تجاه القرص المعدني الذي يبرق بلون فضي منطفيء، وفي منتصفه علامة أويل. عندما أصابه نجم عنه صوت مكتوم قصير "بم"، وكأنه صوت قرع كأسى شمبانيا ممثلتين إلى الحافة. رمى مويرر قطع الحصى الأخرى واستكمل تجواله. لو لم ير

علامة الأوبل لاقترب أكثر حتى يتعرف على القرص المعدنى. لم يكن يعتقد فى الأطباق الطائرة، بالرغم أن الأمريكين فى قناة "برو ٧" التليفزيونية كانوا مقنعين فى زعمهم بوجودها. إنه لا يستبعد وجود الأطباق الطائرة على الإطلاق، ولكن فلتقل إنه لن يصدق إلا إذا رآها فى برنامج "أحداث ٢٤" الإخبارى. بلا وعى كان قد بلغ أعلى نقطة فى المكان. هذا شىء يحدث ببساطة. قد يكون ذلك احتياجاً طبيعياً، أى فى جينات الإنسان، أنه يطمح يوماً لاقتحام القمم. وهو أمر قد يكون ذا فائدة فى الصراع الداروينى بين الأنواع.

مد مويرر بصره يساراً ليحيط بالسهل كله. فى الأفق انتصب مفاعلان نوويان. تحته، على المنحدر، رأى قرية بها برج كنيسة حجرى. حاول مويرر أن يقدر المسافة إلى هناك، ثم إلى المفاعلين النوويين. كان قد تخيل منزل نويجيباور على نحو آخر، بل وكل المنطقة المتاخمة لجبال الهارتس. تخيلها ألطف ومعتنى بها أكثر. لبرهة رأى الصورة المتخيلة أمام عينيه بوضوح تام، وكأن بإمكانه العودة من تمشيته إلى هناك. أصاح بسمعه رافعاً ذقنه إلى أعلى، ولكنه لم يسمع سوى شدى القنابر.

فى البيت، فى الشقة الواقعة بالدور الأرضى فى شمال ألتنبورج، كان يهاجمه فى غضون دقائق قليلة الصداع. العجوز شميت - الذى كان ملاحقاً أيام النازية - كان يكنس يومياً الرصيف. كان يكنس كل بلاطة ثلاث مرات، أربع مرات. وبالأفضاعة عندما يخبط المقشة بالحائط. وفوق ذلك نحنحاته. بمجرد أن يسمع صوته فى الدرج، كان مويرر ينسحب إلى غرفة نومه، أو يذهب للتسوق. كان مويرر يحب أن يكون

عملياً ويربط بين الأمرين، حتى لو جلس دون أن يفعل شيئاً. من لديه وقت، يمكنه أن يثرثر مع العجوز شميت عن أى شىء. فى الظهيرة يأتى الأطفال الذين يظنون يخطون كرتهم فى جدار المنزل حتى المساء. ذات مرة أصابوا شبك قبو مويرر. منذ ذلك الحين يعتقد أن كل خبطة سيلياها صوت تهشم الزجاج. طبعاً كانت حساسيته فوق المعتاد، إلا أن معرفته بذلك لا تغير من الأمر شيئاً.

عندما يأخذ القمامة من الشقة إلى الخارج يتوقع أن يفتح شبك ويصرخون باسمه، وينهالون عليه بالشتائم حتى يلوذ بالفرار. الأسبوع الماضى ألقى زوجته نظرة فاحصة فى دولاب الملابس وأخرجت بعض الأشياء القديمة وطلبت منه أن يحضرها إلى جمعية "التضامن الشعبى". أخطأ مويرر فى رقم المنزل، وراح يدرس محتاراً الأسماء المكتوبة على منزل آخر إلى أن سأل صوت نسائى فوق رأسه عما يفعله هناك. لما تكاثرت الرءوس كان كل ما فعله هو العودة إلى منزله بخفى حنين، وبالكيس البلاستيكى الممتلئ. الخميس الماضى كان يريد التسوق فى السوبر ماركت، ثم قابل فى دهليز المنزل أحد الصنایعية. تناول مويرر الصحيفة من صندوق البريد - وكأن عليه أن يبرر شرعية وجوده هنا - وحشرها تحت إبطه، ونسيها. لم يلحظ وجودها إلا عند خزانة الدفع عندما شعر بالدفء الرطب تحت إبطه. وضع الصحيفة إلى جانب المشتريات على السير النقال ودفع. كان مويرر قد واصل سيره على الطريق المؤدى إلى القرية خلف التلال والذى انتهى بمنزل خشبى. وراءه ارتفعت أعمدة خرسانية. لم يعرف ما إذا كانوا يبنون هنا أم يهدمون، إلى أن رأى لافتة مكتوب عليها: "ممنوع رمى الأنقاض".

على طريق العودة كان على مويرر أن يسرع الخطى. مشى على حافة حقل من حقول الحبوب وشمس المساء ترسل أشعتها في وجهه. أخذ يفكر في الحفر التي قرأ عنها في أحد المناجم التي توقفوا فيها عن العمل، وأن الحياة من الممكن أن تعود كما كانت قبل ملايين السنين، فقط إذا تركوا كل شيء على حاله، إذا لم يتدخل الإنسان. ربما يفعل مويرر الشيء الصحيح، فهو لا يفعل شيئاً تقريباً. اعترته رجفة، ثم راح يحملق في السحاب.

كان شيء ما يتحرك بجواره. لا بد أنها أجسام كبيرة - ربما خنازير برية. بعد أقل من خمسة أمتار قفزت غزالة عالياً، ومثلها فعل خلفها أيل صغير، ثم مرة أخرى الغزالة. بعد ذلك قفزا مرة ثانية وكأنتهما لوحة نيشان متحركة، ثم بقيا مختفيين، ولم يصدرا صوتاً إلا أثناء سيرهما عبر الغلة. كانت الدنيا قد أوشكت على الإظلام عندما قطع شارع العمال على البحيرة في طريقه إلى الشارع المؤدى إلى القرية. أمام الكنيسة، وبين شجرتي زيزفون، رأى حجراً تذكاريًا لضحايا الحرب العالمية الأولى. حول الحجر كانت الأرض الطينية نظيفة من الأعشاب، ومحروثة على نحو جزاجى. السور الخشبي المحيط بالحجر - بدت ألواح الخشبية فاتحة اللون وجديدة - كان به باب صغير لا بد من شد مزلاجه جانباً إذا أراد المرء أن يخطو على الطريق المفروش بالحصى.

قرر مويرر أن يتفرج على الشاهد الحجري في الغد حتى يحصى الأسماء، ويحتفظ في ذاكرته بعدد منها. من المؤكد أن كثيرين منهم كانوا - عندما ذهبوا إلى الحرب - يغادرون هذه المنطقة لأول مرة في

حياتهم. ربما يكون السفر شيئاً غير طبيعي، على الأقل زائداً عن الحاجة في عصر التليفزيون.

منزل نويجياور هو الوحيد الذي لم يكن عليه صحن فضائي. على لافتة الأسماء عند مدخل البيت كان هناك شريط لاصق. قرأ خط زوجته: "ر. نويجياور/ا. مويرر". قفل الباب، ونادى عليها.

في غرفة النوم رأى أكياس المخدة تتدلى على حافة الشباك. ما زال دبوسان مغروزين في الخشب. بدا الثقب في اللوح الزجاجي شبيهاً بجذع إنسان، على رأسه كاب مرفوع. "يا مرّة"، قال مويرر. هكذا صاح سائق المقطورة. أخيراً فهمه. "يا مرّة"، سمع الآن الرجل يصرخ بصوت واضح تماماً.

لم يشعل مويرر الضوء، وسار إلى الحديقة عبر الباب الخلفي. وضع رأسه تحت مضخة الماء، ثم جفف نفسه بمنديله. شمر بنطلونه وأخذ يحرك قدميه بالتناوب تحت تيار الماء. جر ساقيه إلى الخلف محاولاً أن يمر بجوار الباب - الذي كان يستعصى على الفتح أو الإغلاق - دون أن يلمسه. خلع ملابسه كلها ما عدا الكسوت، وظل برهة واقفاً أمام السرير، ثم أخذ يتحسس يديه باحثاً عن جاكته البيجاما. قريبا من أنفه، وذكرته رائحة مسحوق الغسيل والمكواة بالبيت. في المطبخ أخذ يتأمل طويلاً المقلاة التي كانت فوق الموقد ممثلة حتى منتصفها بالماء. رش بعضاً من سائل التنظيف، ثم سحب سكينه الخبز من درج أدوات المائدة.

تحت الغطاء سحب الكسبون ودسه تحت الوسادة. نفذت إلى أنفه رائحة الصندل الذي تشرب العرق من الداخل أثناء السير. مد ذراعه بأقصى ما يستطيع وسحب الصندل من الأبريم، فردة وراء الأخرى، قانفًا به تحت السرير. ثمة ذبابة أو شيء أكبر يصطدم باستمرار بالحائط والسقف. هناك أصوات أخرى: السيارات فى الشارع، النافورة، الثلجة، قطرات الماء من الحنفية. أصغى بتركيز مجهد حتى أنه كتم الهواء، ثم أخذ أنفاساً سريعة وهو يلهث.

لا يعرف مويرر كم من الوقت مر عليه نائماً. جلس فى السرير ملصقاً فخذه بجسمه. وصلت جاكيتة البيجاما إلى كعبه. اتكأ بظهره على رأس السرير الحديدى، وراح يحملق فى الشكل الإنسانى نى الكاسكيت، وتحت الشكل كانت أكياس المخدة تتدلى على الحائط. مرة أخرى سمع صوت تهشم الزجاج الذى أيقظه من نومه. لم يبرح الصوت أذنه، هذا الأزيز الذى راح يتضخم ويتضخم مبتلعاً كل الأصوات الأخرى: الحفيف والهسيس والنقر والصلصلة والخشخشة والصرير. طاف الصوت فى الهواء كأنه طائر أو سحابة إلى أن اصطدم بالشباك. لم يكن هناك مفر. نون أن يحول بصره عن اللوح الزجاجى لمس بأرنبة أنفه ركبته. عندئذٍ فقط لاحظ مويرر أن زوجته كانت تغنى طوال الوقت افتتاحية باباجينو.

الفصل الثامن

أنفاس على عنقي

الدكتورة باربارا هوليتشيك تحكى عن مكالمة
هاتفية ليالية: هنى تقدم اعترافاً أثناء اللعب،
وتستفسر عن الحياة مع رجل مشهور.
الابنة والقطة والسلحفاة.

"نعم، بالطبع ليس إلى الأبد"، أقول وأنا أحشر السماعه بين الأذن
والكتف، وأمسك بالتليفون بيد وأحاول باليد الأخرى فك الاشتباك بين
أجزاء السلك اللولبي.

"هل أيقظتك؟"، تسألنى هنى.

"كم الساعة الآن؟"

تهتف هنى: "يا خير أبيض! لقد أيقظتك. أنا متأسفة يا "بابس"،
ولكننى كنت أعتقد أنكم تسهرون دائماً، وإلا ما كنت أيقظتك!"

جلد الكرسى المعدنى ذى العجلات بارد. أحاول اصطياذ قميص فرانك. لمدة دقيقة توجب على إبعاد السماعة عن أذنى. "... قرأتها، وسألونى ..."، قالت هنّى، "عن أنسب أوقات العمل بالنسبة إليه، فقال ليلاً، من أجل الهدوء، فى الخارج والداخل. أنا تقريباً لم أتعرف عليه عندما رأيت الصورة." أثناء مواصلتها الحديث ألقى قميص فرانك على أكتافى. "وكيف هى الحياة مع رجل مشهور؟"

"هنّى!"، أزر بضيق. "كم الساعة؟"

"الثانية عشرة تقريباً"، قالتها ثم تحدثت مع شخص آخر. "بابس؟".

"نعم"، ثم أسألها: "فى أى جحر تختبئين الآن؟"

"نحن نحتفل بعيد ميلاد." يختلط حديث الناس الواقفين خلفها، ثم يقهقه رجل.

أسألها: "هل حدث شىء؟"

"لا. لماذا تسألين؟ كل شىء على ما يرام يا بابس"، تقول هنّى، ثم تضيف: "نحن نلعب لعبة، ومن قواعدها أن يقدم المرء اعترافاً. إنهم يقفون جميعاً حولى حتى أتعرف. أتسمعين؟" إنها لعبة. سأعترف الآن!

"أى لعبة هذه؟"

"إذا خسر المرء فعليه أن يتصل بشخص كان يحبه فى وقت ما دون أن يعترف له بذلك أبداً"، ترد بسرعة. "مجرد لعبة. هل أنت غاضبة؟"

"هل تريدان التحدث مع فرانك؟"

"معك أنت يا بابس، معك أنت بالطبع. هل أنت غاضبة؟"

أسألها: "كنت تحببتي؟"

"نعم، يمكنك أن أقول ذلك. هل تسمعين التصفيق؟ إنه لنا يا بابس. عندما قرأت التقرير عنك وعن فرانك، في جريدة يوم السبت، اجتاحتني الشوق. أحضرت دفاتر مذكراتي القديمة، وشعرت بالرغبة في التحدث معك مرة أخرى. والآن قد خسرت. هل تجدان الأمر سخيفاً؟"

"لا"، أقول لها.

"الرجال يسخرون من النساء اللاتي يعترفن لهن بشيء كهذا. لا يستطيعون التعامل مع مثل هذا الموقف. أنا كنت دائماً معجبة بك. كنت أشعر بالسعادة عندما تعامليني بلطف، ولكنك تعاملين الجميع بلطف. كنت أريد أن تكوني صديقتي، أنا وحدي."

أنتظر حتى قواصل التحدث، ثم أقول لها إنني أساساً إنسانة خجولة.

"لا أصدق ذلك"، تقول هي. "أنت تقلين من قدر نفسك، لهذا تتحدثين هكذا. إنك تملكين أفضل الرجال. هذا يثبت لك أنك إنسانة فريدة من نوعها."

أسألها: "كيف حال عائلتك؟"

"تعنين ابنتي؟"

"نعم، أقول، ربيكا".

"تقصدين ساره. ليس عندي غيرها إلا بيجي وفريدولين".

بيبو أن هنى تدخن. ليس فريدولين للأسف سوى سلحفاة. عندما يتقدم بي العمر مثله، يعنى عندما أتقاعد - هذا إذا وصلت على الإطلاق لسن التقاعد - فإن فريدولين سيكون ما زال على قيد الحياة، وسيتحتم على أن أجد شخصاً يتولى أمره. شىء يجنن، أليس كذلك؟"

"نعم. أمر لا يمكن تصوره".

"رجل مخلص بحق ... الانتقال إلى الشقة الجديدة لخبط عقل بيجي تماماً. إنها فى غاية الاضطراب".

"بيجي؟"

"قطتنا. ينبغى على أن أفتح عيادة لعلاج الحيوانات نفسياً. إن الحيوان العزيز مثلنا تماماً".

"سأقرأ مقالاتك".

"مقالات! إنها سطور منشورة فى صحيفة الإعلانات المجانية، ركن الاستشارات والنصائح. لم أعد أستطيع أن أفعل شيئاً آخر. أشخاص مثل فرانك - نواب شعبنا - يريدون دائماً أن نكتب طلبات ونقدمها. لم أعد أكتب إلا طلبات أشكو فيها من البنائين، غير ذلك أتودد إلى رجال البنوك وألقى محاضرات فى نادى الروتارى لأنهم وعدونا بجهاز لعرض الشرائح الفيلمية. هل ما زلت تعملين؟"

"ولم لا؟"

"يعنى، إذا فازت جماعة فرانك فى الانتخابات فستصبحين زوجة معالى الوزير، على الأقل. لقد انتخبت مرة الخضر، لكننى لا أستطيع أن أنتخب ضد مصلحتنا ... إذا فعلت ذلك فسنحصل للمتأهفين على نقود أقل ... هل تعلمين أننا تعارفنا منذ ١٨ سنة؟"

"منذ الفصل الدراسى التاسع"، أقول لها.

"عند رقم كهذا أشعر بالغبثان."

"أى رقم؟"

"أترين؟ كنت أعرف أنك لا تشعرين بذلك. لقد استفتدت من الوقت. أما أنا فأشعر بالاختناق، بالرعب الحقيقى. مع الخامسة والثلاثين يكون ثلثا العمر قد فات."

"هنى! النصف على أكثر تقدير."

"لا"، تقول بحدة. "ليس بالنسبة لنا. الأمر مختلف بالنسبة للرجال. لم أعد أعيش فى الوهم. أنت متزوجة يا بابس ... هنى تسحب نفساً من سيجارتها.

فى الممر يُشعل الضوء.

"أما أسوأ شىء فهو أن كل ما كان قد ذهب وراح، الناس

راحوا .."

يظل فرانك واقفاً في إطار الباب، ثم يتكى عليه ماداً رأسه إلى الأمام وكأنه يريد التنصت. أهمس إليه: "هني". تتقلب ملامح وجهه. لديه عند الخصر كدمة زرقاء تميل إلى اللون الأخضر.

"... وأعرف أيضاً لماذا"، تقول هني، "لأنني لا أتحمل الحياة وحدي. يعني، أستطيع أن أكون بمفردي، لكنني أفكر عندئذٍ أن الإنسان مكانه بين البشر، وأنه لا بد أن يقع في غرام أحد. المتزوجون لم يعودوا يسمحون لي بأن أقرب منهم. إنهم خائفون مني."

أسألها: "أتعتقدين ذلك؟" فجأة يركع فرانك بين قدمي.

"أعتقد ماذا؟"

"ما تقولين". يسحب فرانك القميص جانباً ويقبل شدي.

"طبعاً"، تقول هني. "ماذا يمكن أن أعتقد؟ إنني أرى ذلك. الأذكىاء يهربون من هنا. من يبق، يلعب مثل هذه الألعاب. اليوم هو عيد ميلادي يا بابس، عيد ميلادي!" أجدني مجبرة على رفع السماعرة لأن فرانك يلتصق بي. جسده دافئ للغاية.

هني تواصل حديثها. "... قبل أمس، يوم الأحد، كنت ما أزال نائمة. وفجأة سمعت ضجيجاً جهنمياً في المنزل. رنين أجراس، واصطفاق أبواب، وهرج ومرج. أعي نصف وعي بكل هذا، ثم يرن جرس شقتي. عندما وصلت إلى الباب كان الهدوء التام يسود المكان. أقول لنفسي إذا كانوا يريدون شيئاً فسيبقون الجرس ثانية، أليس كذلك؟"

فرانك يعضني في كتفي.

إذا أرادوا شيئاً فسيرجعون. أعود إلى السرير، الساعة الخامسة والنصف، ما زالت الدنيا غارقة في الظلام، ثم أسمع صوت النساء مرة أخرى. ما أكاد أرقد على السرير حتى أسمعهن ثانية. أتعرفين ماذا يفعلن؟ إنهن يتواعدن على الإفطار. أقف خلف باب الشقة وأسمع كل حرف. يتواعدن على الإفطار لأنهن لا يستطعن الآن النوم. ولا أنا أيضاً. إذا استيقظت من نومي أظل مستيقظة، هذه عادة ورثتها عن أمي، لكنني لا أستطيع أن أفتح الباب الآن. الآن، لا. ثم أفكر ... أه، دعينا من هذا الموضوع. ماسورة مياه انكسرت في تلك الليلة. صباح أمس جلست أمامي في الأتوبيس امرأة نحيفة كالعصا، راحت تلتهم قطعة من الكعك وراء أخرى. كانت تبعد الورق المحاط بالكعك بأظفارها ثم تحشر القطعة في فمها، ثم تتفتت. كان الكيس الذي يحوى الكعك يتزحلق دائماً فوق ركبتيها. راحت تلتهم وتلتهم، وبين القطعة والأخرى كان الكيس يتزحلق فوق ركبتيها.

أقول لها: "لا أحد يجبرك أن تنتظري إليها." فرانك ينهض ويذهب إلى الحمام.

"الخبيل أصابهم جميعاً. لم أعد أعرف ما الذي يبقيني هنا؟ الوضع الآن كما في السابق. الكل يرحل. ساره تريد الآن أن تذهب إلى والدها بعد أن بلغت السادسة عشرة. لم أعد أراها، تقريباً لم أعد أراها. يمكنها أن تذهب إليه، ساعتها لن أحمل همها. إنه الآن في وضع رائع، لديه الابنة، والسيد بابا يستطيع أن يفتخر بابنته. ولكن لما كنت أجرى كل ليلة إلى طبيب الإسعاف بسبب حالات الربو، آنذاك كان بابا يختفي

كأنه فص ملح وذاب. أما النقود فلم يدفع إلا ما يتوجب عليه. كان يدفع صاغراً وصامتاً. والآن يتصل الندل تليفونياً. ظلت ساره تبكي لمدة أسبوع، وفجأة قررت الذهاب إليه، وأخذت تدخن بشراهة. كنت أعتقد أن أمرى لم يعد يهكم أنت أيضاً.

"لأنتى متزوجة؟"

"لقد خاطرت بكل شيء وقررت أن أتصل بك. كنت غريبة جداً فى آخر مرة، ومن ساعتها لم أسمع منك شيئاً. إذا لم أبادر أنا بالاتصال بالناس لا يتصل بي أحد. هذا هو الأمر ببساطة."

"لم تكن أمورى على ما يرام، صدقيني."

"بسبب الغرير؟"

"نعم، بسبب الغرير."

عندئذ تصمت هنى. لأول مرة تتشأ فترة صمت بدت وكأنها كابوس. أستطيع أن أسمع أنفاس هنى. أسألها: "هل لديكم الآن غرير؟" يقع صوتى على الأذن عادياً تماماً.

تجيب هنى: "لا. يؤسفنى أننا لم نبتلق معاً فى ذلك اليوم، ولكن ليديا، المحنطة، أتعرفين، إذا كان عليها أن تقود مجموعة داخل المتحف، إذا فعلت ذلك وحدها، فعلى كل شيء آخر السلام. إنها الفوضى مجسدة. حالة تصلح لك."

"أهلاً وسهلاً"، أقول لها. فرانك يعود من الحمام ويترك ضوء المر مشتعلاً.

"أود أن أراك ثانية، يا بابس، هكذا من غير مناسبة، نقضى أمسية جميلة مع بعضنا نحن الثلاثة، أو أنت وأنا، من غير مناسبة، ثم نردش ونثرثر حول كل شيء. أتجدين الفكرة سخيفة؟"
"لا، أبداً."

"أن يرى المرء شخصاً من الأيام الخوالي. أتفهمين هذا الشعور؟"
"نعم"، أقول لها وأعدها أن أتصل بها وأنتى لن أؤجل الأمر طويلاً.
"بابس"، تقول هتّى فى نهاية المكالمة، "أحبك فعلاً، بدون أسباب. هل تصدقينتى؟"

عندما وضعت السماعة كان سلك التليفون اللولبى قد التقى حول بعضه البعض وتداخل فى بعض المواضع وكأنه سوسته. أرفع الجهاز بيدي وأضع السماعة على الأرض. السلك يتمدد. أرفع الجهاز إلى أعلى إلى أن تبدأ السماعة فى الدوران فوق السجادة. يستغرق الأمر على الأقل دقيقة إلى أن يتأرجح السلك يميناً ويساراً وقد انحلت كل عقده. أعيد الجهاز إلى الطاولة وأضع السماعة فوقه.
"هل حدث شيء؟" يتساءل فرانك.

"كلا"، أقول وأخلع قميصه وأرميه فى الاتجاه الذى أظن فيه مسند الكرسى. "كانت سكرانة إلى حد ما"، أقول له ذلك، ثم أشعر بقصبة قدمى تصطدم بالسريير. "إنها تعتقد أنك مشهور، وأنتك تسهر فى كل أمسية فى حفلة من الحفلات الكبرى، وأنا ألعب دور السيدة الأولى."

يحرك فرانك رأسه ويتوسد كتفى، ويضع ساقه اليمنى المثنية فوق ركبتى. شيئاً فشيئاً أتعرف على الخطوط الخارجية للدولاب وعلاقات الملابس والشماعات وإطارات الصور، على المصباحين، والمرآة المعلقة عليها سلسلتى، وعلى الكرسي.

أشعر بأنفاس فرانك على عنقي، دافئة ومنتظمة. منهكين تماماً نكون يوماً فى المساء. أعرف أنتى لن أستطيع الاستغراق فى النوم. أعرف هذا الشعور جيداً. لا يتبقى حتى السادسة والنصف إلا ست ساعات.

أفضل شىء أفعله أن أنهض الآن وأنجز بعض الأشياء. لابد أن أكتب لأمى وأسألها عما تنوى أن تفعله فى عيد الميلاد. نخطط أن نسافر إلى تتريفا، ونبقى هناك حتى الأسبوع الثانى من يناير. فى السابق لم تكن هناك أى مشكلة مع أمى، ولكن منذ زيارتنا الأخيرة - أخذت أربط حذائى فى المدخل وإذ بى أرى كرة هائلة من الغبار والشعر عالقة برياط الحذاء. اعتقدت أنها ستسقط من تلقاء نفسها، إلا أنها دخلت تحت العقدة، وهكذا فككت الرباط وحملت الوساخة إلى صفيحة الزبالة، ثم غسلت يدي. راقبتنى أمى طوال الوقت ولم تجد شيئاً يستحق التعليق. على الأقل لم تقل شيئاً. فى فبراير ستتم الثامنة والستين. حتى الآن كنت أتعجب من أنها تتسوق بطريقة شبه آلية، تشتري سجقاً مغلفاً أو جبنة من رفوف السوبر ماركت، ونادراً ما تتباع شيئاً طازجاً، ولا تشرب إلا نسكافيه، وتقول إنها تحب طعمه أكثر من القهوة الطبيعية، نسكافيه

جولاً. الفتاجين البيضاء الزرقاء الجميلة موضوعة منذ سنوات دون استخدام خلف طاسة التحمير الكبيرة. عندما نكون عندها نشرب من أكواب تشيكية كانت تباع المسطردة بها، وكانت ذا حافة ذهبية يوماً ما. الأطباق والمواعين تأخذهم مباشرة من ماكينة التنظيف، ثم تعيد الأشياء إليها. إلى ذلك اليوم لم أكن حتى قد لاحظت أن أمي أصبحت عجوزاً ينبغي على أن أهتم بأمرها قريباً.

رجفة تعترى ساق فرانك. أنفاسه الحارة تصيب دائماً المكان نفسه في عنقي. أثنى قدمي بعض الشيء، وأشعر بأنظفار أقدامي على سطح غطاء السرير.

لم أهنئ هني بعيد ميلادها. لا أعرف ماذا أتمنى لها. أنادى: "فرانك". ما زال يؤلني الموضع في كتفي حيث عضني. عبر إحدى الشرائح المثنية في شيش النافذة يتسرب ضوء. أستطيع التعرف على المواضع البارزة في ورق الحائط. أتخيل نورات سماعة التليفون المتأرجحة حتى أتعب وأنعس. أنفاسه حارة لا تطاق. أقول بصوت خافت: "فرانك". ساعده يضغط على أضلاعي، وأصابعه تلمس عمودي الفقري. "فرانك"، أ همس، "لقد قتلت شخصاً". أستدير ناحيته، وأرقد على جانبي. نبضات قلبي تهددنا، السرير كله يتأرجح.

أحياناً يكفي نوم قليل في الصباح حتى ينسى المرء ليلة كهذه. عندئذ تنصهر الساعات التي قضاها المرء راقداً مستيقظاً وتتجمع في لحظة، ثم تتساقط كحلم، وكأن شيئاً لم يكن.

لابد أن أنهض وأقوم بشيء نافع ومفيد، لكنني لا أعرف أين أبدأ.
أنشغل بحساب عمري وفق "سنوات القطط". سنوات القطط هي حاصل
ضرب الرقم في سبعة. أعمار السلحفاة تكون ناتج القسمة على سبعة.
ولكن ليس هناك "سنوات السلحفاة".

الفصل التاسع

الموزع

لماذا لا يستطيع رافائيل صاحب شركة التاكسي أن يقطع من جلده ويوفر فرصة عمل لشخص في شركته؟ ولماذا لا يصلح أورلاندو للعمل سائقاً؟ ارتباكات مقصودة وغير مقصودة. الجو أديماً من المفروض في مثل هذا الوقت من العام.

رافائيل يجلس في غرفة المكتب. سيابته تتجولان فوق أزرار الكمبيوتر. نظراته تنتقل بانتظام بين الشاشة وكتاب. على حافة المكتب علبة شيكولاتة "تيفوليه" فارغة. بين الحين والآخر يمسح كفيه في أعلى فخذه.

يسمع رافائيل وقع خطوات على درج السلم. يتطلع نحو الباب، ثم تعتريه رعشة عندما يرن الجرس.

"رافائيل؟" مقبض الباب يتحرك. يرن الجرس مرة أخرى. "رافائيل؟ ماذا حدث؟ إنه أنا، أنا، أنا!" مقدمة حذاء تصطدم بالباب المعدني الذي ينفتح بعد أزيز قصير.

"لماذا تصرخ فى المنزل كله؟ رافائيل يفلق الزر الأعلى فى بنطلونه وهو ينهض. "قبل أن تجلس أغلق الباب جيداً".

أورلاندو يضع حقيبته ويضبط بركبته على الباب، ثم يشد على المقبض، ويقول: "مغلق".

رافائيل يسير فى اتجاهه. "هه؟ كيف حالك؟ هل ازددت طولاً؟ أمام أورلاندو يرفع رافائيل يديه عالياً. "لن أسلم عليك، وإلا سأنقل لك العدوى. هل تريد تأسيس جماعة أزياء شعبية؟"

"يسمونه (جانكر)", يقول أورلاندو ويفك أزرار الجاكّة البافارية، ثم يلف الشال حول رقبته. "أستطيع أن أبدأ".

"متى خرجت؟ حذاؤك جديد".

"اليوم".

"وعلى الفور إلى هنا. بحاجاتك ومحتاجاتك؟"

أورلاندو يومئ برأسه.

"لم يعطوك أجازة مرضية؟"

"أستطيع السواقة، بدون مشاكل، فعلاً".

يسير رافائيل إلى مقعده وينهار فوقه. "سمنت يا أورلاندو".

"كانوا يعلقوننا جيداً".

"منذ توقفت عن التدخين ..". رافائيل يربت على باطن فخذه. "دهن الشتاء. دائماً ألاحظه هنا أولاً".

"أعطني سيارة من فضلك".

يرفع رافائيل يديه مرة أخرى ثم ينزلهما على مسند المقعد.

"كنت سائقاً جيداً".

"أعلم يا أورلاندو". ينزلق رافائيل على مقعده إلى الأمام، ويقطب في مفكرته.

"كنت بالفعل سائقاً جيداً! أنت نفسك قلت هذا".

"لدة خمسة أسابيع يا أورلاندو، خمسة أسابيع". رافائيل يقطب

صفحة وراء الأخرى. "أربعة أسابيع وخمسة أيام إذا أردنا الدقة".

"سنة أيام في الأسبوع، سبعة أيام، ١٢ ساعة، ١٣ ساعة".

"وهل تعلم كم ساعة أجلس أنا هنا؟ هل فكرت مرة في هذا؟ أنا

ليس لدى وقت لابتلاع قرص أسبيرين. المفروض أن أأزم الفراش، عندي

حمى. هل تريد أن تتأكد؟ يضع رافائيل يده مسطحة على جبهته.

"أنا سائق تاكسي".

"كل واحد سائق تاكسي اليوم يا أورلاندو. كل واحد يظن أن

بإمكانه أن يعمل سائق تاكسي. كل كلب يعتقد أنه سائق تاكسي!

لا تصعب الأمر على من فضلك!"

"سأفعل كل ما تريده مني".

"كانت محاولة يا أورلاندو. من فضلك، أنا حاولت، لكن الأمر فشل.

والفشل كان ذريعاً جداً".

"كان الرجل سكراناً".

ينطق رافائيل بكلمة، تقريباً بلا صوت، وكأنها زفير مفاجئ. "طيب، ما الجديد؟" يغلق المفكرة ثم ينهض. "اليوم آخر مباراة على أرضنا".

"كان سكراناً، وهو الآن في السجن يا رافائيل!"

"أى الفريقين تشجع؟ طيب، اجلس. ممكن أقدم لك فنجان شاي؟ تشرب معي؟" يذهب رافائيل إلى الثلاجة الموضوع عليها ماكينة صغيرة لإعداد القهوة وفناجين وخبز محمص وبرطمانان من المربي. "فى العام الماضى لم ينقذنا إلا الجو الزفت، أنقذنا نحن وتجارة الوقود، وإذا لم يتغير الوضع سريعاً، فسوف ... "سى لافى"، هكذا هى الحياة. فى السابق كنا نأمل أن يتأخر الشتاء فى قدومه وأن يمضى سريعاً، ومع ذلك كنت دائماً أتطوع أن أقوم بقيادة كاسحة الجليد عند هطول الثلج لأول مرة، هذا إذا لم يكن عندى وريدة. عندما كان الثلج يهبط كثيفاً كنت أقود السيارة الكاسحة، فى الغالب ليلاً، عندئذ تظل الشوارع من أى آثار وتعود السيارة وحدك فى الطريق، ولا شئ أمامك سوى الثلج البكر، شئ رائع!"

"إنه الآن فى السجن يا رافائيل. وما حدث لن يتكرر!"

"(ما حدث لن يتكرر) . يمكنك أن ترحل إلى برلين، إلى هامبورج، أو إذا أحببت إلى لايبنتسج، ولكن هنا لا! ألا تفهم هذا؟ (ما حدث لن يتكرر). إذا تكرر هذا فربما تتلقى السكين فى ظهرك ...". رافائيل يلقي فلتر القهوة المستعمل فى سلة المهملات، ويغسل الإبريق الزجاجى ويملاً

الماكينة بالماء. "أوكي أورلاندو. حتى لو كنت أبالغ، فأنا لم يعد عندي سيارة أعطيها لك".

"أنت قلت ..".

"أنا قلت إنني سأساعدك. هذا ما قلته. إلا أنني لم أقل إنني سأقطع لك وظيفة من جلدي". يمسح يديه في البنطلون. "دع أظفارك في حالها. أنت لم تعد حتى تلاحظ ذلك. أنصحك بالذهاب إلى هوليتشك هذا، هذا الرجل من برلمان الولاية. لقد كتبوا في الصحيفة أنه يريد مساعدتك. لماذا لا تذهب غداً إليه، وتشكره على زيارته وعلى الزهور، ثم تسأله عن تصويره لمساعدة الذين لهم لون بشرة مختلف". رافائيل يضغط على زر تشغيل ماكينة القهوة. "ها أنت تبحلق في وجهي. هل تستطيع أن تقول لي ما فائدة التأمين الصحي إذا كان على رب العمل أن يدفع للعامل ستة أسابيع من لحم الحى؟ أنا أدفع خمسة أضعاف لشركة تأمين السيارات، والبنزين لا يرخص. وفوق كل هذا تأتي البلدية وتلغى أماكن الوقوف عند البركة، وبالنسبة للشرطيات فإن كل السيارات تتساوى. وفي النهاية ... ياربنا"، رافائيل يهدأ فجأة، وأخيراً لا تنس أنك مهندس ميكانيكا، معك دبلوم من هافانا، ودبلوم آخر من جامعة دريسدن التقنية، هذا غير دورات إعادة التأهيل التي قمت بها. بالإضافة إلى هذا فإن معلوماتك عن الكمبيوتر أفضل عشر مرات من معلومات كل القروء الذين ركبوا لي هذا الشيء، لكنك لست سائق تاكسي، يا دكتور! ألا تحصل على راتب كامل من الحكومة؟

"لا". أورلاندو يشمخ بأنفه عالياً، ويدير وجهه. رافائيل يمسك بكتفه.

”ومع ذلك“، يقول رافائيل. ”انظر لى أنا. لست سائق تاكسى يا دكتور، لست سائقاً، أتفهم؟ كما أنتى لا أستطيع أن أضرب الأرض فقتبت بطيخاً، أو أن أجعل السماء تمطر ذهباً! الجميع بحاجة إلى مساعدة. والكل واقع فى مشاكل، الكل! يضغط رافائيل بسبابته الممدودة على سوالفه. ”هذا هو الوضع! ثم طاخ...“ ويثنى إبهامه وكأته يضغط على زناد. ”طاخ! أنا لا أستطيع إنقاذ العالم كله. ما أستطيع إنقاذه هم أربع وظائف ونصف وظيفة. إذن لابد من التركيز يا أورلاندو! لم أعد أريد اضطراراً وارتباكاً فى عملى، ألا تتفهم ذلك؟ ودع أظفارك فى حالها، ارحمها! يسير رافائيل عائداً إلى الثلجة ويفتح الباب. ”هل تعلم متى أنا وبترا ... متى لمستها آخر مرة؟ فى عيد القيامة! دافيد أراه، أحياناً، فى نهاية الأسبوع. وفى نهاية الشهر تتوالى المصائب. أقساط السيارات، إيجار المكتب، التليفون، الرواتب، أقساط التأمين ... يكفى ما ذكرته. كم الساعة الآن.“

”تسعة.“

”الشوط الثانى. هل سألت نفسك مرة لماذا أشجع فريق دورتموند؟“

”من أجل زمر؟“

”لا.“

”من أجل أندى ... أو مولر؟“

”أتريد أن تعرف؟ إذا نجح بروسيا دورتموند فى الفوز بالبطولة، إذا حصلوا على اللقب هذا العام، فسأجتاز محتتى أنا أيضاً. أعرف

هذا. أما إذا لم يفعلوا فسأشهر إفلاسى. سألقى بالمنديل وأعلن نهاية الجولة. عندئذٍ يمكنك أن تحصل على كل سياراتى! هل ما أقوله يستدعى الابتسام؟ فى وقت ما لابد من النهاية، هكذا أو هكذا. بترا تدفع كل شىء: الشقة، الطعام، أشياء دافيد، هدايا عيد الميلاد. أنا الذى كنت أريد أن أكون أول من يُخرج عائلته من هذه المدينة! رافائيل يخبط بكفه على ماكينة القهوة التى استخدمها لغلى الماء. "لابد من إزالة الجير المترسب. أى نوع من أنواع الشاي تفضل؟ أخضر، نعناع، إيرل جراى، الكرز البرى، أم شاي إنجليزى؟ لدى شاي عيد الميلاد أيضاً".

"الكيل يفيض دائماً بالبعض، ولذلك يهاجرون - أنت قلت هذا ذات مرة يا رافائيل".

رافائيل يلمع الأكواب الزجاجية، ثم يضع فى كل منها كيساً من الشاي، ثم يلقى بأطباق فيلينية صغيرة فوق المكتب. "خلاص، يمكن أن تعمل عندى من عيد الميلاد إلى رأس السنة. اقعد أخيراً، ودعنا نتحدث". يلتقط قوالب سكر من العلبة الكارتون.

"لا". يقول أورلاندو.

"ألا تريد أن تقعد؟"

"ليس كمساعد يا رافائيل".

"لم يعد لدى ليمون". يضع علبة حليب بين الكوبين، ثم يجلس ويتناول سماعتى التليفون فى وقت واحد. "دائماً أقول لنفسى: هناك من يخرب شركتى. هل تستطيع أن تقول لى لماذا لا يتصل أحد؟ فى هذه

المدينة يعيش ٤٨ ألف جحش! لنقل ٤٧ أو ٤٥ - كنا فى يوم من الأيام فوق الخمسين ألف يا أورلاندو، خمسين ألف جحش! لماذا لا يريد أى جحش منهم أن يركب تاكسيًا؟ لماذا لا يتوقف تليفونى عن الرنين؟ يمكنك أن تأخذ وظيفتى. سأبادل وظيفتى بكل سرور وفرح. عاطل عن العمل، لكن بلا ديون. أنت حر! يمكنك أن تفعل ما تريد". سماعتنا التليفون ترتطمان بالجهاز.

"هذا جو سفر"، يقول أورلاندو. "ليس جو تاكسى". يأخذ سيجارة ويرشقها بين شفثيه ويضع العلبة على المكتب.

"إذا كانت جيوب الناس فاضية، فلن تمطر السماء فوق رؤوسنا إلا الخراء! هذا هو كل شىء. متى تفهم ذلك! ولا تدخن هنا يا أورلاندو". رافائيل يحفر فى فتحة علبة الحليب. "لماذا لا ترحل من هنا؟ ماذا يبقيك فى هذه المدينة البائسة، هه؟ رافائيل يلحق الحليب من إبهامه. "صباح اليوم قابلت زميلًا من أيام المدرسة. ذهبت إليه لتحيته، لكنه أخذ يحملق تجاهى ولم يقل حرفًا". رافائيل يمد رأسه إلى الأمام ويكور يديه كالمنظار فوق عينيه. "هكذا. لم أسأله إذا كان لديه عمل. حتى لو كان لديه فبالتأكيد سيعتقد أنه يكسب أقل من اللازم. كل الناس يعتقدون أنتى رجل أعمال كبير، ربما أنت أيضاً. إذن لا يتبقى لى سوى أن أسأله عن عائلته وعن الأطفال، إلى آخره. وانتهت المقابلة! يدفن رافائيل وجهه فى كفيه وكأنه قال كل شىء، ثم يمسح جبهته. "ألا تعرف! هكذا يصرخ فى وجهى. ثم يقول إننى لابد على علم بالأمر، حتى قبله هو! لا أفهم أى شىء مما يقول، ولا ما يجعله منفعلاً هكذا. ذقن طفله متدلية كأنه ديك

رومى، يقول. ثم يصرخ فى وجهى وسط الشارع: ليس هذا طبيعياً. فوق كل هذا يقول إننى أعرف قبله أن زوجته أنجبت بنتاً. لا أستطيع أن أتذكر ذلك، ولا حتى الآن! أنا لا أعرف حتى زوجته على الإطلاق! ومن أين؟ ومن قال لى؟ لكنه ظل يصرخ فحسب أن هذا ليس طبيعياً. حدث ذلك قبل ست سنوات يا أورلاندو، تخيل هذا، ست سنوات! بالتأكيد خلط بينى وبين آخر، ولكن، حتى لو كنت أنا الشخص الذى يقصده ... أتفهم؟

"لا"، يقول أورلاندو بصوت خافت. هسيس يصدر عن ماكينة القهوة. البخار يتصاعد منها. الماء يملأ ربع الإبريق الزجاجى.

"إذا ظل شخص يحمل طوال ست سنوات هذا الغضب معه يا أورلاندو ... أتعرف ماذا يعنى هذا؟ هذا يعنى أن هناك من سيفرغ غضبه يوماً فى سيارتى، يعنى أن على أن أتوقع خدوشاً فى الطلاء أو تمزيقاً فى الإطارات! أفضل شئ إلا أغادر مكاتى هنا. يكفينى التليفون. عدا ذلك لا أجنى إلا المشاكل والارتباكات."

"أستطيع البدء على الفور، فعلاً. لم تعد الإصابة تؤلنى. أتريد أن ترى؟" أورلاندو يخلع الجاكتة الباقارية والبلوفر، ثم يفك أزرار القميص حتى الحزام، ويخرج ذراعه الأيسر. يتكى أورلاندو على المكتب معطياً ظهراً إلى رافائيل، ثم يخلع الفانلة من كتفه الأيسر.

"من غير بلاستر؟" رافائيل ينهض وينحنى فوق المكتب.

"لابد أن يكون معرضاً للهواء. كى يلتئم الجرح أفضل، هكذا نصحونى."

"الجرح كما يتخيله المرء". يمد رافائيل ذراعه ويتحسس بأنامله الندبة. "والخيوط؟ هل يؤلمك ما أفعل؟"

أورلاندو يهز رأسه. "أشعر بالزغزغة".

يربت رافائيل على كتفه. تنزل يده على ذراع أورلاندو، ثم يرفع له حمالة الفاتلة. عند الملامسة التالية يبتعد أورلاندو عن حافة المكتب.

"أنت تشعر إذن بالألم"، يقول رافائيل ثم يجلس مرة أخرى.

بعد أن أغلق الباب خلف أورلاندو قام رافائيل بنزع الأسلاك عن الجرس حتى لا يرن. سار إلى النافذة وفتح الجزء العلوي بعض الشيء. أخذ يراقب أورلاندو وهو يضع الحقيبة على مقعد التاكسي الخلفي، ثم وهو يركب من الناحية الأخرى. عندئذ انطلق السائق.

تطلع رافائيل إلى الناحية الأخرى حيث يقع مكتبه القديم. النافذتان المطلتان على محطة الأتوبيس معتمتان.

"موزع"، قال رافائيل. "موزع، موزع" أخذ يكرر، "موزع، موزع". الكلمات تزداد سرعة إلى أن تتفتت وتفقد معناها وتقع حتى على أذنيه هو موقعا غريباً، تماماً كما كان يحدث لأغلب من يسألونه عن مهنته السابقة، فيقول لهم رافائيل "موزع". "موزع الشغل على التاكسيات في ألتنبورج وبرنا وجايتهاين وشمولن، موزع، موزع، موزع، موزع...". كلما طال حديثه، نشأت حروف أكثر غير متوقعة. يستمتع رافائيل بهذا الخلط الذي يسببه بنفسه. لا ينجح دائماً في مسعاه. في الغالب تبقى الكلمة واضحة مفهومة، سيان، إلى أي نتيجة يصل.

على الفور يقف بجوار التليفون ويمد يده إلى السماعه. يتوقف لحظة ثم يرفع السماعه ويقول بهدوء: "تاكسى جونتز، مساء الخير".

"أنا على الخط".

"بهذه السرعة؟"، يتساءل رافائيل.

"ماذا تعنى؟"

"هل حمل لك الحقيبة إلى الشقة؟"

"أنا فى صحة جيدة يا رافائيل".

"طيب، كما تحب".

"هل يتصل بك سكان ألتتبورج الـ ٤٧ ألفاً؟"

"من؟"

"هل رن التليفون؟ هل طلب أحد تاكسيًا؟"

"نعم. احتفال بعيد الميلاد، عدة مرات".

"ودورتموند؟"

"ماذا؟"

"هل فاز؟"

"فعلاً؟"

"أنا أسأل"

"أمل ذلك، هذا أملى".

"لقد استمعت إلى النشرة الجوية. درجة الحرارة ستبقى فوق
الصففر. أما فيما يخص الأسبوع المقبل فهم أيضاً لا يعرفون كيف
سيكون الجو".

"دائماً يقولون ذلك. هذا هو أشد ما يغيظنى".

"عندك حق".

"من الممكن أن يتقلب الجو تماماً الأسبوع القادم".

"طبعاً".

"أورلاندو؟"

"نعم؟"

"اعذرنى ... أنا عندى حمى. لم أرغب فى ... هل تفحص الكمبيوتر

غداً؟"

"سأفعل".

"لم يعد أى شىء يعمل فى هذا الصندوق".

"سأفحصه، طبعاً".

"أكون شاكرًا لك، شاكرًا جدًا".

"ستبقى إلى الحادية عشرة؟"

"نعم، إلى الحادية عشرة".

"عندك ما يكفيك من الشيكولاتة؟"

"شيكولاتة؟"

"لابد أن ندعوك رافائيلو وليس رافائيل، رافائيلو فريرو(*)".

"أطلقوا على رافائيل نسبة إلى الرسام. لم يعد يعرف أحد هذا".

"رافائيل؟"

"بالضبط".

"وما علاقتك به؟"

"لا شيء. سأحكي لك ذلك فيما بعد".

"أنت ترسم؟"

"سأحكي لك بعدين، ليس الآن".

"كنت أريد أن أقترح عليك شيئاً يا رافائيل - هل تسمع؟"

"نعم".

(*) ماركة شيكولاتة مشهورة. (المترجم)

"أستطيع أن أعمل إلى أن أجمع كل المبلغ. لقد خطر هذا على بالي عندما وصلت إلى هنا. قل لي كم تكلف الأمر، الإعانة المرضية وتكاليف التصليح و...".

"ماذا؟"

"أستطيع أن أعمل إلى أن أجمع كل المبلغ، الإعانة المرضية وتكاليف تصليح السيارة ..".

"لا تقل كلاماً فارغاً يا أورلاندو".

"سأحضر غداً. وأنت تعرف أين تجدني".

"هه".

"طيب، إذن يا رافائيل".

"هه".

"هل ما زالت على الخط؟"

"ماذا؟"

"الشخص الذي تم الاتصال به هو الذي عليه الآن أن يتكلم".

"يعني أنا".

"تستطيع لو أردت أن تعد إلى ثلاثة".

"لابد أن أنهى المكالمة الآن".

"عليك الدور".

"نعم"، يقول رافائيل، ثم يضع السماعة.

"موزع"، يقول بصوت عالٍ ناظراً تجاه السلكين فوق إطار الباب. مثل قرون الاستشعار يبدو طرفا السلك العاريان. يشعر بقميصه لاصقاً تحت الإبطين وعلى الظهر. يشمر رافائيل كُمّيه، ويسير إلى النافذة ويفتحها على مصراعيها. ينحني على النافذة ويقول: "موزع". "موزع"، موزع". يواصل التحدث بسرعة وبصوت عالٍ. يعتقد رافائيل أنه يرى أنفاسه مثل سحابة من دخان، واللحظة يعتقد أنه يرى المحطة المغطاة بالثلج، لكنه لا يشعر بالبرد، ولا حتى قشعريرة أو رجفة. ما زال الطقس بالفعل أدفاً بكثير من المفروض.

الفصل العاشر

إبتسامات

مارتين مويرر يحكى عن لقائه بأبيه الحقيقى بعد
أربعة وعشرين عاماً. اعتراف فجائى. المؤمنون
يمرضون أقل ويعمرون أطول. سفر "أعمال
الرسل" ومناشف المواعين.

يصعب على أن أحكى وقائع لقائى مع أبى كما عشتها آنذاك، أى
أن أقول ما هو الانطباع الذى أثاره شخصه وحكايته فى نفسى. ليس
لأن ذاكرتى ضعيفة - فلم يمر على ذلك سوى أقل من عام - وإنما لأننى
أعرف اليوم معلومات أكثر، بل ربما يمكننى القول إننى اليوم إنسان
آخر.

فى صباح يوم من أيام مارس عام ١٩٦٩ دخلت أُمى الغرفة على
وعلى بيتر قائلة: أبوكم هرب. شدد الستائر وفتحت النافذة، ثم خرجت
ثانية. كنت فى السابعة من عمري، وبيت كان فى الخامسة. "لا يهم. من
يسألك فى المدرسة احك له ما حدث. ليس لديك على الإطلاق ما تخفيه".

هكذا قالت لى أمى محذرة، قبل أن تذهب مع أخى إلى الحضانة، ولم نسمع منها عن هذا الموضوع أكثر من هذا.

بعد عيد ميلاد تينو فى ١٣ فبراير ٨٨ أرسلت لأبى صورة لنا نحن الثلاثة. مع بطاقة التهنئة أرفق مائة مارك ألمانى غربى. فى أكتوبر ٩١ توفيت أندريا زوجتى إثر حادث. كتبت له هذا النبأ أيضاً. مع بطاقة التعزية جاءت مائة مارك أخرى. فيما بعد تلقيت بطاقة بريدية عليها تحيات من مورناو.

قبل عيد ميلاده الخمسين بقليل كان تينو، ابنتنا، قد انتقل إلى داني، أخت زوجتى. كانت ببساطة تتفاهم مع الصبى بطريقة أيسر. بعد عدة أسابيع اتصل بنا جارنا السابق توماس شتويير وسألنى إذا كان من الممكن أن أحضر له من مدينة بالقرب من ميونيخ سيارة جديدة من طراز بي إم دبليو بخمسة أبواب، عارضاً على ٢٥٠ ماركا، بالإضافة إلى مصاريف الطعام والشراب والسفر. لا بد أنه سمع أنتى عطل عن العمل. وافقت على الفور.

ربما لا أعرف أنا نفسى لماذا طلبت رقم تليفون أبى قبل أن أسافر. ربما بدافع الفضول، أو لأنتى كنت أمل أن أحصل منه على بعض النقود، فقد كان فى يوم من الأيام رئيس أطباء.

اهتزت نبرات صوته فى التليفون. قال لى "يا ابنى". كتبت اسم وعنوان مقهى يجلس فيه خلال أيام الأسبوع بدءاً من الرابعة بعد الظهر. فى المساء التالى اتصل أبى تليفونياً، وقال إنك تعرف حالتى البدنية الآن، لذلك ينبغى ألا أفاجأ. طوال ٢٤ عاماً لم يكن أحدنا قد رأى الآخر.

لم أنتظر كثيراً في معرض السيارات في جروينتسيل. سألت نفسي فقط متى جلست خلف عجلة القيادة آخر مرة. من هناك قدت السيارة حوالي ساعة إلى أن وصلت إلى الحديقة الإنجليزية ووجدت هناك ثغرة ركنت فيها السيارة بدون أن أرجع إلى الوراء. سرت المسافة المتبقية على الأقدام.

فوق الرصيف العريض تناثرت الموائد المستديرة أمام المقهى مباشرة، وإلى كل مائدة كرسيان. بمجرد أن يبدأ الناس في دفع الحساب كان المارة يقفون وينتظرون ثم يتدافعون - قبل أن يرفع الخادم الكؤوس والفناجين - في اتجاه الأماكن الشاغرة. جلست إلى امرأة كانت قد رفعت نظارتها ورشقتها في شعرها، ثم راحت تتشمس. جاءت القهوة مع الفاتورة وقرص بسكويت.

جلت ببصرى يميناً ويساراً مثل المتفرج على إحدى مباريات التنس. حتى سيارات الأجرة السائرة ببطء كنت أراقبها. أخذت أغمس البسكويت في القهوة الساخنة، ثم صببت الحليب المركز في الفنجان حتى امتلأ إلى حوافه، وأشعلت سيجارة. عندما أفكر في أبي تحضر دائماً أمام عيني صورة الزفاف التي كنا مرة خبانها في حجرة الأطفال. تخيلت كيف سأرمى السيجارة في اللحظات القادمة ثم أشق طريقى بين الكراسي. في تلك اللحظة رأيت رجلاً نحيفاً يسير إلى مباشرة. لدى كل خطوة كان المعطف على ما يبدو يلتف حول ركبتيه. قبل أن يصل إلىى بقليل توقف. كان قد اقترب من المائدة بعد أن صنع نصف دائرة. مد بهدوء يده اليمنى والتقط بأصابعه الطويلة القذرة من

السكرية عدة قوالب من السكر. فتحت المرأة عينيها بعد أن أمست فجأة في الظل. بعدها مباشرة رأينا معطفه من الخلف يرفرف على كعبيه، ثم اختفى الرجل كقص ملح قد ذاب.

في الرابعة وقفت على حافة رصيف أمام المدخل. اعتقدت عدة مرات أنني رأيت وجهه.

بعد ذلك تعرفت على الفور عليه. أقبل ناحيتي يجرجر قدميه ببطء بالغ، ولكن بدون عصا. وضعت نفسي في طريقه.

"أهلاً يا بابا"، قلت له. لم أقل "بابا" أبداً من قبل.

"مساء الخير يا ابني". ابتعد برأسه قليلاً، ثم أضاف: "لم أعد أرى إلا باليسرى".

علق أبي ذارعه في ذراعي ودخلنا المقهى خطوة خطوة. كان أقصر مني.

"أبوك أصبح حطاماً"، ثم أكمل: "ظاهرياً على الأقل. ألا ترى ذلك؟"

"كلا. لماذا تقول ذلك؟"

نادلات المقهى كن يرتدين ملابس بنية فاتحة، وعليها مرايل بيضاء مشغولة بالكروشييه. رجعت إحداهن بظهرها واستندت إلى البوفيه الزجاجي الذي امتلأ بأنواع التورتات والجاتوهات والكيك، وذلك حتى نستطيع أن نعبر معاً، وقالت: "دكتور راينهارد، مساء الخير". ظل أبي واقفاً واستدار برأسه ثم صافحها باليد اليسرى قائلاً: "ابني". رفعت

حاجبها لأعلى. "فرصة سعيدة يا أستاذ راينهارد! شرفتنا بزيارتك. أهلاً وسهلاً. وصافحتها أنا أيضاً. عندئذٍ شعرت بذراع أبي من جديد. زبائن عديدون نظروا إلينا وابتسموا. الخادمت اللاتي أقبلن علينا أو مررن بنا كن يُحيين بصوت عالٍ.

سألني: "أما زلت تدعى مويرر؟"

"نعم"، أجبته مساعداً إياه على خلع المعطف. دون أن تتلامس مشينا الخطوات القليلة المتبقية حتى وصلنا إلى مائدة مستديرة في الركن كان قد أشار إليها. معظم مقاعد المقهى كانت مشغولة، نساء كثيرات فوق الستين، غالباً اثنتان أو ثلاث على المائدة. ثنائيات المتزوجين أقل.

أخذت نادلة في مقبل الشباب تكتب شيئاً على دفترها قبل أن تقبل علينا. "مساء الخير" حيثنا ثم أخذت لافتة "محجوز" ووضعتها في جيب المريلة. طلبنا فنجانين من القهوة.

"لابد أن تأتي في الصيف عندما تفتح "حدائق البيرة". لابد أن تأتي عندئذٍ". ثم ضحك كما في الصورة، الفارق الوحيد أن وجنتيه لم تبرزاً. الآن بدأ يمعن النظر فيّ.

"زمان كنت أعتقد أنك ستصبح بديناً. كنت تأكل أكل ثلاثة، وإذا تبقى طعام من أحد كنت تلتهمه، غير معقول - ١٤ قطعة من الكبيبة، هذا غير الفواكه. كنا دائماً نتساعل: عمن ورثت هذا؟ معظم الشرهين يزدادون سمناً ويموتون مبكراً". باليد اليسرى رفع يده اليمنى على

المائدة. "كما ترى يا ابني"، قال لى. بحثت فى وجهه عن آثار الشلل، لكننى لم ألاحظ شيئاً. كان وسيماً، شعره لا يزال غزيراً، رجل جذاب فى منتصف العقد السابع. بأنامله أخذ يتحسس إذا كانت ربطة العنق مضبوطة.

حكى لى كيف استيقظ صباح ذلك اليوم ليذهب إلى التواليت، وعندما عاد إلى الحجرة رأى كرسيًا مقلوبًا. وضع الكرسي على قوائمه، فسقطت الزهرية من على المائدة.

قال: "هكذا بدأ الأمر". "كنت أخبط أشياء فأقلبها دون أن ألاحظ، ثم - برق. لم أشعر إلا بشيء مثل البرق، بل صعقتنى البرق فعلاً، تغلغل فى جسمى. لم يكن انسداداً فى الشرايين كما ظن الجميع، فأنا لم أشعر بأى ألم. برق، ثم تجد نفسك مشلولاً".

التفت أبى إلى النادلة التى أحضرت لنا فنجانين، ثم ابتسمت قبل أن تنصرف.

"بدأت من البداية، مرة أخرى من البداية، ولكن كم من الوقت احتجت حتى أبدأ! كنت أظن أن ما أصابنى سيختفى من تلقاء نفسه، وكان رجلى نملت فحسب".

رحت أرقبه وهو يقرب الفئجان من فمه. رشف بسرعة، ثم أعاد الفئجان من غير أن تهتز يده.

"عندك سكر؟"

مددت يدي إلى السكرية.

"آخ، يا ابني أسألك إذا كان عندك سكر. أنا عندي السكر".

ارتشف رشفة أخرى، ثم أرسل النظر إلى المكان المجاور ليده المثنية. "بدأت من البداية، مرة أخرى من الأمام"، ثم أضاف: "آنذاك عندما جئت إلى هنا - بدأت أيضاً من البداية".

"أنا أيضاً أبدأ دائماً من البداية، لكنني لا أتحمل طويلاً".

"كل شيء له معنى وهدف يا مارتين، كل شيء"، قال ذلك ثم أمسك بيده اليمنى وزحزحها بعض الشيء بعيداً عن الفنجان. "حتى لو لم ندرك المعنى، أو لم ندركه على الفور".

وبالرغم أنني لم أقل شيئاً، فقد انطلق متحدثاً. "أعرف فيما تفكر. ومع ذلك، هذه هي خبرة كل سنوات عمري". أخرج منديلاً مطبقاً ومسح به فمه.

خيم علينا الصمت، فأخذت أفكر بماذا أجيبه وأنا ارتشف قهوتي. كنت مقتنعاً أنه يتمعن في كل جملة قبل أن ينطق بها، أنه كان قد استعد لملاقاتي كما يستعد المرء لإلقاء محاضرة. ربما كان صمته جزءاً من استراتيجيته البلاغية.

حكيت له عن الرجل الذي تصيد قوالب السكر من السكرية، ثم، فص ملح وذاب".

"وبعدين؟" تساعل أبي. ران الصمت من جديد.

"وما الجديد لديك؟"

"لا شيء"، قلت.

"صديقة؟"

"أهذا ما تعنيه"، قلت له، "كلا".

"كم فات على حادث زوجتك، سنة؟"

"سنة ونصف".

"والسائق؟ هل ..".

"ليس له وجود. على الأقل لم يعثروا له على أثر. ربما كانت السيارة أقرب من اللازم، أو أى شيء آخر أفرزها. على العموم لقد وقعت وقعة غبية من فوق الدراجة ... بعد مدينة زربيتس".

قلت له إتنى أشعر بأتنى مذنب فى موت أندريا، لأننى فقدت رخصة السياقة، ثم ادعيت أننا لسنا بحاجة إلى سيارة على الإطلاق. لهذا تدربت أندريا على ركوب الدراجة. كانت منعدمة الثقة فى نفسها".

بهذه الطريقة تكلمت كثيراً عن موتها، إلا أننى فجأة قلت: "كنت قد تمنيت أن تموت أندريا، ثم حدث ذلك".

حملت فى فنجانى ذاهلاً، كيف قلت شيئاً مثل هذا، وأمام من؟ أمام الذى هجرنا معتقداً أنه يمتلك يوماً الورقة الرابعة.

"ربما لم تكن تحبها حباً حقيقياً، أو كافياً. هذا شيء لا يعرفه المرء قبل وقوعه". وضع أبى فنجانته على المائدة، ثم دفع إلى بطبق الفنجان

وعليه قرص البسكويت. "هل تريده؟" وضعته في فمي، وبلعته دون أن أدري، ثم سألته إذا كان يضايقه أن أدخن. أشار بالنفى.

ثم سأل بعد لحظة: "وماذا عن عملك؟"

"من يحتاج مؤرخاً في الفن؟ وبدون دكتوراه؟"

"كنت تسألني وأنا أقول لك".

بدأت أتحدث عن فن رسم اللوحات البوهيمية، عن الجامعة وعن المظاهرات. "لم يتم أحد ما بدأه". قلت له. "فعلنا كل شيء يمكن تصوره، إلا العمل على رسالة الدكتوراه، ثم مرة واحدة، بروفيسور جديد، مساعدون جدد، تغير كل شيء".

لم يحول أبي نظره عني. سألتني: "هل ألقوا بك في الشارع؟"

"نعم"، قلت مجيباً، ثم رحلت أقارن مرة ثانية عينه اليسرى باليمنى، إلا أنني لم أجد أى فرق.

"هل كنت في الحزب؟"

"لماذا تسأل هذا السؤال؟"

"متأسف، ولكن مويرر ذلك - مويرر الأحمر! هكذا كانوا يطلقون عليه جميعاً". ضيق أبي عينيه. "كان أصعب شيء أن أسامحه. لقد كرهت هذا الرجل، لكنى سامحته".

"سامحته في ماذا؟"

"آه، يا ابني. عندما يقع أولادك في يدي رجل مثل هذا ... لم أكن أريد أن يتدهور بكم الحال هناك. كم مرة حاولت إقناع أمكم أن نرحل جميعاً. لكن دماغها حجر، حجر، صخر لا يلين".

"نحن أيضاً لم نكن نريد الرحيل".

"أنتم كنتم أطفالاً يا مارتين. إنك ترى النتيجة الآن".

"أنا حظي سيئاً فقط، هذا هو كل شيء"، ثم أضفت: "لا ينقصني الآن سوى أن أبدأ في إدمان الشراب، ثم أطيّر من الشقة". كنت أرغب في مواصلة الحديث، لكنني لم أستطع. فكرت في أندريا. ألمني حلقى الجاف. شعرت بالدموع تترقق في ماقى، وكنت على وشك أن أغرق في موجة دافئة من العطف على الذات.

إلا أن أبي حجب عني انتباهه. أخذ يحكي عن أمي التي أبلغت الشرطة ذات مرة لأنه عاد متأخراً من تمشية: "استغرقت هي في النوم، وأنتم ظلتم قابعين أمام الشباك. لم ترغبوا أبداً في الخروج إلى الهواء الطلق. في البداية أبلغت حارس الغابة. كانت تعتقد أنني ممدد في مكان ما بعد أن هاجمني خنزير بري". ضاقت عيناه من الضحك. "فكرت كثيراً في هذه الحادثة"، قال ونظر إلى الساعة.

"يا ابني"، بدأ كلامه ثانية ثم استقام في جلسته. "لقد طلقت رناتا هنا، ثم تزوجت نورا ..". مر بأصابعه على فوديه. "نورا وأنا ظللنا عشرين عاماً متزوجين. عندما أفتح عيني في الصباح كنت أجدها راقدة بجانبى، وما زلت أشعر بيدها عندما أستغرق في النوم. ما زلت أشعر

بها، حتى بعد سنتين من إصابتي بالشلل ... بالطبع كنت أفكر: نورا هي أقرب إنسان إلى قلبي في هذا العالم، من غير نورا ... ثم - أريد أن أحكى لك ما حدث - ثم تحدثت قدرى. عندما ابتليت، اختفت من حياتي كل الأوهام التي لم أكن قد أدركت أنها كذلك - أوهام سعادتي المحدودة وأوهام أفقى الضيق". وزحزح يده مرة أخرى. "بانتظام كان يدق على بابنا "ملاك مُخلص" - كما كنت أسميهم آنذاك. لم أكن أحب التحدث مع أولئك الناس، ولكن ذات مرة سمحت نورا له بالدخول. نادراً ما كان أحد يزورنا آنذاك. لم أكن أقدر على المشى، ولم يكن يخامرني أدنى أمل فى أنتى سأستطيع ذلك ثانية. جلس ذلك الملاك، واستمعنا إليه ساخرين مما يقوله. جلس هادئاً صابراً دون أن يدافع عن نفسه - وفجأة بدأ يصلى. أراه بوضوح أمامى، ضاماً ركبتيه، وفارداً كفيه عليهما، خافضاً رأسه، مقطباً حاجبيه وكأته يتألم".

مسح أبى مرة أخرى بالمنديل على فمه. عندما يحكى، قلت لنفسى، لا ينبغي على أن أتحدث.

"ألا تريد أن تأكل شيئاً؟" سألنى واضعاً منديله فى جيبه. "نورا وأنا جلسنا بجانب الملاك المصلى وانتظرنا حتى ينتهى. ودعنا وكأن شيئاً لم يكن، إلا أنه عاد بعد يومين - هذه المرة ومعه زهور. كان يزورنا ثلاث مرات، أربع مرات فى الأسبوع. كنت أقول لنفسى: لو لم يكن غريب الأطوار على هذا النحو -" قالها أبى بفظاظة. "آخ، يمكننى أيضاً أن أختصر الموضوع. عندما بدأ يتودد إلى نورا، بدأت عيناى تتفتح، ورأيت مع من كنت أعيش. هل تعرف ماذا كان يبقيها طوال الوقت معى؟

أولاً دفتر توفيري، ثانياً بوليصة التأمين، ثالثاً معاشي القادم - فلوس، فلوس، فلوس. عندما أخبرتني نورا أنها ستسافر غداً مع هذا الواعظ إلى البرتغال قلت لنفسى: لست بحاجة الآن إلى أن تخفى نقودك عن أحد. نورا، حياتي! كل ما كنا محتاجين إليه كان عندنا وبوفرة.

صمت أبى. بدا لى أنه يود أن يستعيد زمام نفسه، لكنه واصل الحديث بصوت ثابت.

"أناك قلت لنفسى: إنها النهاية إذن. إلا أن الحضيض كان فى كل يوم يتعمق، ثم شعرت بنوع من الارتياح. كنت أقول لنفسى: هكذا هن إذن. هذا ما يختبئ خلف الورع الكاذب. كم هو بسيط هذا العالم! كنت أستمتع بتعذيب ذاتى، ولكن...". قال أبى ثم ضيق عينيه وكأنه يضحك مقدماً لنكتة، "أتعرف يا ابنى، حياتي لم تبدأ إلا أناك. وحدي؟ بالطبع لا! لم أشعر بقرب يسوع المسيح فى حياتي أبداً مثل تلك اللحظة! من نحن حتى نغضب من الناس الذين يأتون لنا بالبشارة؟ من نحن؟"

أصابتنى كلماته كالبرق فى يوم صحو. إننى حتى غير مُعمد. كل ما كنت أعتقده أن المؤمنين يعمرّون أطول ويمرضون أقل. هذا ما قرأته قبلها بأيام فى مجلة "علم النفس اليوم" الموجودة فى مكتبة الحى. فجأة اختلفت لهجة أبى ونبرات صوته.

"كل يوم كان الأخوة والأخوات يأتون إلى يساعدوننى ويساندوننى، ومعهم أقرأ كلمة الرب، ومعهم أصلى"، هكذا راح يبشرنى بدون أن يرفع بصره عنى. "أنت ترى. أستطيع إعالة نفسى. إننى أسير مرفوع

الهامة فى طريقى للتقاعد". حاول أن يصل إلى يدي. "عندما تشعر بالوحدة واليأس يكون يسوع المسيح أقرب إليك من حبل الوريد. عليك فقط أن تقول: نعم يا مارتين، فقط نعم".

أجبتة قائلاً: "لكننى لا أشعر بالوحدة".

"بالطبع لا". أنامله لمست أصابعى. "لست وحدك يا مارتين". وأمسك بذارعه اليمنى متكئاً إلى الورا.

لم أعد أتذكر حول أى شىء تكلمنا. على كل حال لم يمر وقت طويل إلى أن قلت له إننى لا بد أن أنطلق حتى لا أسافر كل المسافة فى الظلام. انتزع أبى ورقة بعشرة ماركات من جيب الجاكيته ووضعها على المائدة، ثم أدخل يده مرة أخرى فى جيبه وأعطانى لفة لينة لونها أخضر داكن. "انظر فيها إن أردت".

حاولت أن أنزع الشريط اللاصق بعناية حتى لا يتمزق ورق اللف. لقد صممت النموذج بنفسى، قال لى عندما أمسكتُ بمنشفتين للمواعين، لونهما أزرق فاتح وفى وسطهما نجمة ثمانية بيضاء. كانت هناك لافتة مثبتة بأعلى المنشفة فى مكان التعليق: د. هانز راينهارت، منزل ج، غرفة ٢٠٩. المرء يحتاج يوماً إلى شىء كهذا، قال. المرء دائماً بحاجة إلى أشياء عملية".

شكرته وتولى هو الدفع.

ساعدته على ارتداء المعطف. سألنى إذا كان الشال الذى يرتديه فى وضعه الصحيح. أشده قليلاً إلى الوسط. يعطينى ذراعه وننطلق.

عندما كنت أرفع بصرى كنت أرى عيوناً عديدة مسددة ناحيتى، بل إن النساء نبهن بعضهن إلينا، وكن يتبادلن الابتسام. حاولت أن أسير منتصب القامة. النادلة التى حيتنا فى الدخول فتحت لنا الباب الداخلى. امرأتان كانتا تهمان بالدخول أمسكتا لنا بالباب المتأرجح وانتظرتا حتى نخرج. هما أيضاً ابتسمتا.

كان التاكسى ينتظر فى الخارج أمام الرصيف. بإيماءة منى نزل السائق.

"مع السلامة يا مارتين"، قال أبى. أحسست بذقنه على خدى الأيمن.

مستنداً بيده اليسرى إلى الباب المقابل لباب السائق رجع أبى إلى الوراء، ثم انهار فى مقعده. رفع السائق قدميه. مددت ذراعى لألوح لأبى إذا التفت إلى الوراء. عندما أدار رأسه كانت السيارة قد تحركت، لكن ليس بالقدر الذى يسمح له برؤيتى.

سرت فى الاتجاه الذى أتيت منه، ولم أرفع بصرى إلا عندما تأكدت أنه ليس هناك من يبتسم لى. دخلت كابينة تليفون واتصلت برقم شتويير، وقلت له إن كل شىء سار على ما يرام، وإننى ربما أصل بين العاشرة والحادية عشرة.

"رائع"، صاح شتويير. "نحن فى الانتظار! العائلة كلها تنتظرك!"

"إذن، إلى اللقاء."

"ورحلة طيبة"، صاحت زوجته فى السماعة.

"رحلة طيبة"، قال شتويير.

شكرته وضغطت السماعة على أذني متتصتًا للأصوات في الخلفية.

"مع السلامة"، قال شتويير ووضع السماعة.

أدرت رقم داني. كنت أرغب في التحدث مع تينو. أرغب فقط في أن أقول له: كيف حالك؛ إلا أنني وضعت السماعة حتى قبل أول جرس. يمكنني أن أتصل به غداً بسعر أرخص من داخل المدينة. ذهبت إلى السيارة وخرجت من الموقف الضيق دون أن أرجع إلى الوراء.

اليوم أعرف أن حكاية أبي أسطورة متقنة مثل حكاية شاول وبولس. بإمكان المرء أن يقرأ في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد كيف يتحول أحد المضطهدين للمسيحيين إلى أعظم مبشر باسم المسيح، وإلى الرسول الذي نشر البشارة المفرحة في ربوع الأرض.

المنشفتان - كان أبي محققاً في الأمر - معلقتان الآن بجانب الموقد بحيث إنني لا أحتاج عند استخدامهما إلا إلى مد ذراعي.

الفصل الحادى عشر

امراتان وطفل .. والوحش فوكس والفيل

إدجار ودانى وتينو ينتقلون للعيش فى شقة فى
عمارة جديدة. رائحة السجق الملقى. مصائب
كبيرة وصغيرة. يقع على الفوتيه والكليم.

سمع دانى تقول: "إدى، يا إلهى، هذا العفريت! استقام عود إدى.
كان غائصاً حتى حاجبيه فى الفوتيه ذى المساند العالية حول الرأس.
بدت المساند على رأسه كالخوذة العملاقة. مسألة توازن فحسب. أخذ
زفيراً بصوت مسموع. مساند الظهر تضغط الآن على كتفيه. من تينو
تصدر أصوات: "أوخ!"

"إدى، لماذا؟ من فضلك ليس اليوم .."

تحركت قدما دانى أمام حذاءه على السجادة الحمراء القانية. بدا
لإدجار أنها تلمس الفوتيه. تخيل أنها تجيء إليه عبر مساند الأذرع،
وتمسك به عند الوسط بكلتا يديها. تخيل أنهما يتبادلان القبل دون أن
يلاحظ تينو ذلك - ثم يتراقصان ببطء يميناً ويساراً.

"إدى قوى جداً"، قالت داني لامسةً الطرف الأمامى للفوتيه. رداً عليها قفز إيجار فى مكانه قفزتين صغيرتين، ثم تتبعتها وانحنى فى المكان الذى ظن فيه المصباح. بدون أن يصطدم بشيء تمكن من الوصول إلى الممر عبر الباب المفتوح. "اهرشى لى هنا". مقدمة قدمه اليمنى كانت تشير إلى بطن قدمه اليسرى.

"شكراً"، همست داني وفتحت له باب الشقة.

"اهرشى لى من فضلك!"، قال دون أن يتحرك من مكانه.

"هناك تيار هواء يا إدى، بسرعة لو سمحت ..".

انحنى مرة أخرى وخطا خطوة كبيرة فوق الدواسة. على شكل نصف دائرة كانت الحروف السوداء تكون كلمة Welcome .

من أعلى سمع وقع أقدام. امرأة بفستان حتى الركبة. حاول إيجار أن يخمن عمرها من الحذاء وبطن قدميها. ظلت تحيته بلا رد. على الدرجة الأخيرة اجتازته ثم أمسكت له بباب العمارة مفتوحاً. قال لها "شكراً"، ولم يسمع رداً هذه المرة أيضاً.

باليمنى أخذ إيجار يتحسس جيوب قميصه وينطلونه باحثاً عن مفاتيح السيارة. شرع يأخذ وضع القرفصاء، مُحنياً كتفيه ورأسه إلى أن لامست أرجل الفوتيه الأسفلت. ارتكز على المساند واستقامت قامته سريعاً، إلا أن توزانه اختل ووقع إلى الأمام، هو والفوتيه، مصدماً بالضوء الخلفى الأيسر للسيارة الفورد ترانزيت.

اختفت المرأة. أخذ يهز المساند متثائباً. كان الجو حاراً رطباً.
"وأين كان هذا؟"، سأل تينو عندما دخل إيجار إلى غرفة المعيشة.
"فى آلبيك، على بحر البلطيق"، قالت داني. "هه، إدي؟ نحن فخورون
بك. هل ما زال هناك مكان؟"
إيجار يومئ. "والمفتاح؟"
"وهذا؟"، صاح تينو.
"ماذا تقصد، يا كتكوت؟ الحمار؟"
"هذا! تينو يرفع ألبوم الصور عالياً. "هذا".
"انتظر يا إدي، المفتاح - لا أعرف، يا كتكوتي، فعلاً لا أعرف -
ربما فى المطبخ؟"
أمام الثلجة كانت الأرض مبلولة. فَرَدَ إيجار منشفة على الأرض
المبلولة وراح يراقب كيف كَوَّنَ الماءُ جُزْراً، وكيف ظلت المنشفة لاصقةً فى
الأرض بعد أن أخذت شكل جزيرة صقلية. جمع أطراف المنشفة، ثم
حمل الخرقة المبلولة إلى الحوض. كرر ذلك عدة مرات، ثم فتح باب
الثلجة غير المحكم الإغلاق. من الفريزر تدلت سلسلة المفاتيح السوداء.
فى غرفة المعيشة حاول إيجار ألا ينتظر فى اتجاه تينو. "هل أخذ
شيئاً معي؟"
"هذه"، قالت داني مشيرة إلى كرتونة بجانبها. "وعلبتين من أجل
فوكس".

فكرة رائعة، فعلاً رائعة، قال إيجار.

"إنه كلبه هو يا إدي. عليه أن يقرر ماذا يفعل مع كلبه. فوكس يتعود الآن على بيئته الجديدة، ونحن ربحنا الهدوء هنا. الفكرة في رأيي جيدة". تركع داني أمام ظهر الدولاب، وتفرد صحيفة قديمة، ثم تفصل صفتين عن بعضهما البعض، وتحشو بإحدهما كأس بيرة، وتلف بالأخرى الكأس من الخارج. بأطراف حذائه يقرب إيجار صفحة من الجريدة. "الرغبة تقود إلى كارثة. الاستمناء تحت عجلة القيادة"، قرأ هذا العنوان تحت صورة سيارة نقل مقلوبة. قدم لها الخبر القصير ضاحكاً، وكأنه يعتقد أنها استطاعت قراءته كله.

"يا إلهي"، هتفت داني. "من أين لهم أن يعرفوا ماذا ... أأ ...
أثناء السواقة؟"

"موما، حصل إيه؟"

قلب إيجار الصفحة.

"إيه يا كتكوتي؟"

أرسلت داني النظر أمامها.

"حادثة"، قال إيجار. على عنق داني ازدهرت بقع حمراء.

"حادثة في حديقة الحيوان. الفيل ليو استند إلى الحائط، بينما كان جارسه واقفاً في الطريق".

"صحيح يا موما؟"

"لماذا لا تصدق إدي؟"

انتزع إدي مقالة حديقة الحيوان وصنع منها طيارة. بذراع مرفوعة صوبها في اتجاه تينو. انحدرت الطيارة ووقعت على السجادة. في المحاولة الثانية هبطت أمام ألبوم الصور.

"هل ضربوا الفيل بالنار؟"

"لا يا كتكوتي، فهو لم يكن يقصد ذلك".

"وبعدين؟"

في المستشفى سيرجعون إلى الحارس صحته. عائلته وزملاؤه يزورونه هناك، قالت داني وهي تغلف بالورق كأس شمبانيا، وعندما يعود إلى العمل سيحييه الفيل ليو بياقة ورد في زلومته.

وضع إيجار ذقنه على كتفه مصدراً صوتاً كالبوبق من فمه، ثم أخذ يحرك ذارعه الأيمن.

صاحت داني: "١٩ مارس!" "الخير من يوم الجمعة، الجمعة ١٩! إن حدث ذلك يوم الخميس، أليس كذلك؟ راحت تتنقل بنظراتها بين إيجار وتينو. "هه، يا رجال، الخميس ١٩ مارس، ماذا حدث في ذلك اليوم؟ هل ما زلتما تتذكران؟ كتكوتي؟ إدي؟"

"آه، صاح إدي.

"ها يا كتكوت، لا تتذكر؟ الحى الجنوبي، الحى الجنوبي، الشقة الجديدة هناك".

"لما كنا نعد الشجر، كان الفيل يدوس حارسه".

"إدى، لا تتحدث هكذا!"

"موما؟"

"نعم كتكوتى"، داني تهز رأسها، "لا تقل يدوس". تغلق داني الكرتونة، وإدجار ينظر إلى فتحة ثوبها عند الصدر.

"خلاص، كفاية اليوم"، قالت داني ونهضت، ثم تقدمتهم كي تفتح باب الشقة.

فرمّل إدجار. تحركت السيارة في اتجاه المحطة الرئيسية لأتوبيسات النقل العام، ثم توقفت أمام أحد الأكشاك. كانت المرأة الشقراء ترتدى جاكته تقى من الريح ذات لونين: أحمر وأبيض. كانت تهم بطنى حامل عليه صحيفة "بيلد" ومجلة "فوكوس". لوحت له. أنزل إدجار اللوح الزجاجى ثم صاح: "خلصت شغل اليوم؟"

"من زمان. هل ركس معك؟"

"فوكس، اسمه فوكس"، قال إدجار مجيباً، ثم هبط من السيارة. "صباح اليوم نقلناه فى الاتجاه الجنوبى الشرقى - حتى يتأقلم. هل ما زال لديك تورتة؟"

"لم يكن لدينا اليوم. فى مثل هذا الجو لا يأتى إلينا أحد. عندى شىء ل...". أشارت برأسها ناحية عمود الإضاءة المعلق عليه كيس قماش، وفوقه علبة ملفوفة فى ورق الألومنيوم.

"فوكس، ببساطة: فوكس ..".

"شيء لفوكس-إدى-ركس، أو أيًا كان الاسم!"

"فوكس، لأن الكلب من فصيلة "صياد الثعلب" (*). أحدث شيش
الحصيرة المعدني صلصلة عند نزوله في الكشك.

"مساء الخير يا أوتة"، قال إديجار عندما ركبت السيارة. "اليوم خباً
تينو سلسلة المفاتيح في الفريزر".

"كنت فاكرة أنه يسعد عندما تكون غير موجود". وضعت اللفة ذات
الورق الألومنيوم بجانب فرملة اليد، ثم أمسكت باليسرى رأس الفتيس.
شغل إديجار المحرك، ثم داس على بدال التعشيق، بينما غيرت هي
السرعة، وانطلقا على هذا النحو.

باليديني داعب قفاها، داساً إبهامه تحت رقبة البلوفر. فاحت منها
رائحة البطاطس المقلية وبارفان "زاباتيني" الذي أهداها إياه الأسبوع
الماضي.

"صباح الغد نحتاج إلى السيارة، حتى الظهر، عندئذٍ يمكنكم أن
تأخذوها مرة أخرى".

"ماشى"، قال إديجار، ثم مال ناحيتها هامساً: "صغيرتي أوتة".
وتينكو؟

(* "فوكس" معناها بالألمانية ثعلب. (المترجم)

"اسمه تينو ... من غيرك".

"أنا أدعوه تينكو".

"رعب، طوال اليوم رعب. مساء أمس داعبت كلبه ... لو كنت رأيت تينو عندئذ. الغيرة متجسدة، الكره الخالص. وهي بعذاب ضميرها الأبدى تقولُ له إنها كانت تحبه وهو في بطن أمه!"

"وكيف يناديك؟ عمى؟"

"إنه لا يتحدث معي".

"وكيف يناديها؟"

"موما".

"ماما؟"

"موما، ليس ماما. هي بالنسبة له موما".

"طيب، ولماذا تريد موما الآن أن تعيش معك؟ آخر محاولة؟"

"يعنى .. الآن بعد أن طردوها من عملها - من الأحسن لو دفعنا إيجار شقة واحدة، كما أن الشقة وسط الطبيعة الخضراء".

"الطبيعة الخضراء! لا أفهم أن تنتقل بكامل إرادتك إلى جنوب شرقى المدينة، وتترك هذه الشقة الجميلة! هل يعذبك ضميرك أم تحبها فعلاً، هه؟ تحب شعرها المجعد؟ ضميرك يؤنبك لأنها فصلت بسبيك".

"اتهمها رئيسها باير بالتجسس. أى أسرار نتجسس عليها؟ كانت داني محررة، لا علاقة لها بقسم الإعلانات".

"المرء لا يكونُ علاقةً مع محرر من صحيفة منافسة. القرار منطقي.
المرّة القادمة ستطير أنت أيضاً من صحيفتك المتواضعة".

"لا. أنا لا. باير كان مهووساً بها، هذا هو كل شيء. وعندما لاحظ
أنها عادت إليّ ... مثل نور عنتر زمانه".

"نعم؟"

"عنتر زمانه، لقد استعرض عضلاته".

"وماذا عن والد تينكو؟"

"أنا عارف! أخوه بيت يقول إنه لا يفهم في تربية الأطفال، ولا يعرف
كيف يتعامل معهم. على الأقل طالما كانوا صغاراً".

"الفوضى الكاملة عندكم". سحبت يدها من فوق الفتيس، وأخرجت
علبة سجائر من الكيس بين ركبتيها. "لما عيل في هذه السن يطق له عرق
في نافوخه، فقل على كل شيء السلام. ليس أمامك غير أن تتجو
بنفسك". أشعلت سيجارتها ونفخت الدخان على حجره.

خلف غابة المدينة، في الموضع الذي يكومون فيه بقايا الأسفلت،
حاد إدجار يميناً وتوقف.

"هواء!، قال ثم فتح البابين. "والآن هناك مفاجأة".

"ماذا؟ هل أحضرت الوحش معك؟ ووقفت بجانب إدجار.

"هل ترغيبين في شيء غريب، أو رومانسي؟ الاختيار لك"

"وسجادة الصلاة؟"

"الكليم؟"

"بساطك السحري".

"ليس طريراً"، قال إيجار. عندما ركبت السيارة شم رائحة البطاطس والبارفان مرة أخرى. أغلق الباب وراعاها، ثم صعد هو من الباب الخلفي، وسحبه من الداخل.

"أتعرفين، أحياناً أتخيل أنه بنت، أو ولد لطيف. أنا أحب الأطفال. لا أطلب إلا المعاملة العادلة، قليلاً من المساواة. لم نعد نفعل الآن سوى ما يريد، وإلا فلن نفعل أى شيء".

"قل لى، كيف أدير هذا المقعد؟" كان مسند الظهر يصل إلى كتفها. نزعته عن شعرها التوكة الحمراء، ثم انحنت إلى الأمام. على العلب الكرتونية وراعاها برزت بحروف زرقاء كلمة "عطش". زحزح إيجار القوتيه يميناً إلى جوار صندوق بلاستيكي مطوي، ثم خبط على مسند الذراع الأيسر. "هيا، تعالى!" بالسيجارة بين الشفتين وبعد أن خلعت البنطلون والحذاء جاءت إليه على أربع، ما زال قفاز فى كفها الأيمن.

"دائماً هناك مشاكل"، قالت وهي تفتح سوستة الجاكته الحمراء البيضاء.

"وما هذا؟" تساعل إيجار.

"ماذا؟"

"هذه المنشقة".

"لوحش. بالأمس .. السجادة ..".

"إنهم لا يعبئون بأمرى"، ورمى المنشقة خلف القوتيه، ثم خلع
البنطلون ومعه الكسون.

"والآن؟"، قالت متسائلة.

ارتكز إيجار على ركبتيه ومد ذراعيه، ممسكاً أردافها بكلتا يديه.

"باردة"، قال مبتسماً. "باردة منعشة يا صغيرتي أوتة". أطفأت
سيجارتها فى سقف السيارة، وأبقت إبهامها لوهلة على العقب، ثم
ارتمت على الكنبة.

كانت السماء تمطر رذاذاً عندما وضع إيجار الجرادل البلاستيكية
الزرقاء الثلاثة أمام باب المنزل. ببطء قاد السيارة الفورد حتى احتكت
إطاراتها بحافة الرصيف. فتح الباب الخلفى، ثم قبض على مساند
الكرسى ورفعها. فى هذا الوضع - حافة القوتيه الأمامية مسنودة على
بطنه، ذراعاه على شكل زاوية قائمة، ومن الإجهاد يكاد يرتجف - سمع
الكلب ينبج. على الرصيف ترك القوتيه يتزحلق حتى ركبتيه.

"خلاص يا فوكس، خلاص!" وقف الكلب بكفوفه الأمامية فى
صندوق فارغ للزهور. فى الطابق الأسفل تحركت الستائر. كان يعرف
فى أى طابق هو من خلال النكك الموضوع عليها الزهور والتقاويم
المكتوب فيها مواعيد كنس السلم أو جمع القمامة أو ماشابه. فى الطابق

الثانى، بين شقة بارون وهانيش، لم يكن هناك ما يعوقه، ولكن فى درج الطابق الأعلى، وعلى منضدة متأرجحة من الخيزران كان هناك إصيصان بهما زنايق ورشاشة للنباتات من النحاس الأصفر مملوءة حتى الحافة. بالأمس أزاح بصندوق الأسطوانات ذراع الرشاشة الطويل. قطرات الماء نزلت حتى القبو.

تجاوزته فوكس على الدرج وعوى. فتت إيجار قطعة سجق مقلّى وطوح بها فوق الكلب ناحية مدخل الشقة. على عتبة غرفة المعيشة ظل إيجار واقفاً.

"ابن الكلب"، قال بصوت خافت. "كلب ابن كلب"! لم يكن هناك سوى الكليم ملفوفاً وموضوعاً بجانب الجدار. الكراتين والصناديق التى تحوى مواعين إيجار وشرائح الأفلام والأسطوانات والكتب كانت مرصوفة فوق بعضها البعض على البلكونة. كانت الرياح تقذف بقطرات المطر على ألواح الزجاج.

مستنداً إلى الدرايزين انحنى إيجار إلى الأمام. صدر صرير عن صندوق الزهور الفارغ عندما خبطه إيجار بقبضته. فى الأسفل كان القوتيه الرمادى يسد مدخل المنزل.

كان الكلب قد تتبعه رافعاً إليه عينيه، فأعطاه إيجار بقايا السجق المقلّى، ثم دخل بسرعة إلى الحجره، وأغلق باب البلكونة، وفتحته على الوضع المائل. قضم من قطعة السجق التالية، ثم لفظها فى كفه، وأخذ نفساً عميقاً منتظراً أن ينظر إليه الكلب، ثم رمى بها خارج الغرفة. أخذ

الكلب يتشمم أثر السجق المقلّى، كما تفعل الكلاب فى عروض السيرك، وراح يدور ويلف حول الكراتين والصناديق، لكنه لم يبتعد بالقدر الكافى حتى يجدها، مع أن معظم قطع السجق وقعت على النجيلة، ثلاثة طوابق فى الأسفل.

أغلق إيجار باب الشقة خلفه. فى الأسفل فتح ورقة الألومنيوم التى تحوى ما تبقى من السجق، وجمع فيها القطع الأخرى المتناثرة، ثم وضع كل شىء على العشب أمام البلكونات.

"هيا يا فوكس، هيا!" نبح الكلب واختفى، ثم ظهر خلف حاجز البلكونة، وكفوفه الأمامية فى صندوق الزهور.

"هيا يا فوكس، انزل، هيا انزل!" شدد إيجار فى النطق على كل حرف مثلما يفعل تينو. على البلكونات الأخرى كانت هناك نباتات وشمسيات وهوائيات. ازداد المطر غزارة. مرقت سيارة نقل صغيرة وهى تزمر. "فوكس! زار إيجار.

سار إلى الفتية الذى اغمق لونه بفعل المطر، وجرجه إلى البيت. لم تعد البقعة على حافة مكان الجلوس تلفت النظر. بهدوء وضعه فى غرفة المعيشة.

رأى إيجار فوكس يمد رأسه بين الصناديق، ثم يبعدها وهو يهز ذيله وكأنه تعرف على شىء. منفعلًا يستدير الكلب استدارة كاملة.

أمسك إيجار بباب البلكونة بيميناه ويسراه، وجمع تركيزه مُغلقاً عينيه - ثم أغلقه بقوة. ما زال فوكس يقف على الصناديق. سمع إيجار

الجرس يدق، وعلى الفور تكة الباب وهو ينفتح. وقف فوكس على قدميه الخلفيتين ومد كفوفه الأمامية على زجاج الباب. تركه إيجار يدخل.

"إدى، يا حبيبي. أنت نسيت كل شيء". فى كل يد كانت داني تمسك بعلبة عليها تيكيت بنفسجى فاتح، وكأنها ترفع أثقالاً. طعام الكلب!

ربت إيجار على فوكس من الجانبين. "عياول - كل شيء مبلول - مبلول! ظلت نبرات صوته هادئة وكأنة يتحدث إلى الكلب. ذهب إلى البلكونة مُحضراً صندوقاً لونه أصفر وأزرق. كل شيء مبلول! التف إيجار حول داني، ووضع الصندوق ثم عاد أدراجه.

"متأسفة يا حبيبي! صاحت داني وهى تتبعه إلى البلكونة. طوال الأسبوع لم تمطر!"

"أفكاركم دائماً رائعة!"

نحن ... عندما يحضرون الأثاث غداً، أنا يا إدى ... وإلا فالفوضى ستكون شاملة .. تتحت داني جانباً حتى يمر، ثم أخذت صندوقاً ومشيت ورائه ووضعتة فوق الصندوقين الآخرين. عندئذ كان إيجار قد خرج.

"هنا"، قال وظل واقفاً. مخالب فوكس لم تترك آثارها على ظهر الكتاب فحسب، بل تسببت أيضاً فى ثقب صغيرة قنرة فى الصفحات. هزت داني رأسها. جلس إيجار على القوتيه المبلول، فقفز فوكس إلى حجره.

سألته داني: "هل تريد بيتزا؟" وقعدت على الكليم المطوي. بحثت في كمها الأيسر عن منديل.

اتكأ إيجار بحذر إلى الوراء، ثم قال: "عندما يهدأ المطر فستحمل بقية الأشياء إلى أعلى".

تمخبطت داني. "غداً في مثل هذا الوقت سيكون كل شيء قد انتهى".

"بعد غد"، قال مداعباً الكلب. "أنا سيصل بعد غد! أغلق فوكس عينيه وإيجار يداعبه.

"سنساعدك بالطبع يا إدي، وسنأخذ فوكس معنا اليوم، موافق يا إدي؟" وأدخلت المنديل إلى جيب البنطلون قائلة: "هل تشم؟"
"الكلب مبلول".

"لا، منه تفوح رائحة بطاطس مقلية أو شيء مشابه".

"اشتريت له سجق مقلية".

"يا دي النيلة! الخنزير، انظر، الكليم! لقد بال على الكليم". وقفزت داني ثم فردت الكليم.

"كان وحده فترة أطول من اللازم"، رد إيجار بهدوء. "لقد نبح في كل أرجاء المنزل".

"يا دي النيلة، يا دي النيلة! جرت داني إلى الحمام، وعادت بدلو بلاستيكي أزرق ممتلئ بالماء. "أم أنه تقياً؟" وضع إيجار

ساعديه ويديه الآن على مساند القوتيه. سمع صوت إغلاق نافذة قريبة،
ومن الدرج تناهت إلى سمعهم وقع خطوات صاعدة، ثم توقفت
على البسطة.

"إدى؟ رفعت داني رأسها. "إدى؟ ووقفت على ركبتيها قائلة:
يا إلهي، هل تشعر بهذا يا إدى؟"

رد عليها قائلاً: "ماكينة تجفيف الملابس. الساكنون فوقنا يجففون
ملابسهم".

"تجفيف؟" عصرت داني الخرقه، وأخذت تحك البقعة المبلولة
بالخرقة ثم بظفر إبهامها. باب الجيران ينغلق. راح فوكس يضغط
بكفوفه الأمامية على بطن إديجار، ومن الدلو تصاعد مرة أخرى صوت
خرير الماء.

"وماذا فعلت هنا طوال هذا الوقت؟" تساءلت داني.

"كان لابد أن أخرج مع الكلب. فضحني بنباحه في كل أرجاء
. بقميصه المبلول البارد لاصقاً في ظهره. "الحارس مات".

"لست ناظرة إليه. "رجل الفيل؟"

"إلى الوراء عندما حاول فوكس أن يلحق رقبتيه.

. بما في نفس الليلة. ليو داس على جزء من

الرمل، بعد ذلك، بعد أن نقلوه".

فظيع"، قالت داني ثم انحنت إلى الأمام مرة أخرى وتمعنت في الكليم. "أعتقد أنه قىء".

رجع إيجار برأسه إلى الوراء مغلّقاً عينيه تحت خطم فوكس الممدود. توقفت آلة التجفيف، وفي الخارج ران صمت لم يعكسه مرور سيارة واحدة. لهذا لم يعد يسمع إلا حكة إبهامها وقطرات المطر.

الفصل الثاني عشر

القتلة

بيتر مويرر وإيجار كورنر يقابلان في متجر "جنة
الأثاث" منافسهما كريستيان باير. السكرتيرة
ماريانا شوبرت تقدم المشروبات للمنتظرين. في
العجلة الندامة، وفي التأني السلامة.

دقُّ على الباب. في اللحظة نفسها يدخل شابان المتجر. كل منهما
يرتدى جاكته وكرافتة وحذاءً بنيًا فاتحًا. حركاتهما رياضية رشيقة.
الأيدي خالية. يظلان واقفين متجاورين في وسط المدخل. فوقهما تنور
أجنحة مروحة.

"أى خدمة؟" تسأل السكرتيرة. شعرها قصير رمادي، وفي يدها
دبلة زواج عريضة.

"خدمة؟" يشبك إيجار يديه خلف ظهره هازأً جذعه إلى الأمام. "أى
خدمة تريد يا بيتر؟"

"لا أعرف. فى الحقيقة لا أعرف ماذا أريد. ربما كأساً من بيرة القمح؟"

"مع شريحة ليمون؟"

"مع شريحة ليمون". يعبث بيتر بدبوس الكرافتة ثم يرسل بصره إلى النظارة ذات السلسلة الفضية الرقيقة التى تتدلى على صدر السكرتيرة.

"أعتقد"، يقول إيجار وينظر يساراً، "أنتا تريد نفس ما يريده السيد الجالس هناك".

باير - الذى كان يمسك بفنجان كبير فى يديه - لا يحرك ساكناً. "كان من المفروض أن نأتى قبل السادسة، والآن إلا ربيعاً"، قال بيتر وهو يومئ إلى الساعة المعلقة خلف السكرتيرة. "أهو موجود؟"

"الساعة الآن ونصف"، أجابت دون أن تستدير مشيرة إلى صف الكراسى أمام النوافذ التى يمكن للمرء عبورها أن يرى خيمة البيع. بكتنا يديها تضع النظارة على أرنبية أنفها، وتمر بعينها سريعاً فوق الورقة الموضوعية على يمينها، ثم تبعدها قليلاً وتشرع فى الكتابة.

"مممكن تقولين لى إذا كان موجوداً، أم أن هذا طلب فوق طاقتك؟"

"مرت نصف ساعة يا بيتر، معها حق، هيا".

"أريد إجابة. لدينا موعد، وجئنا فى الموعد، قبل الموعد. إذن من حقى يا إدى أن أسأل إذا كان موجوداً؟"

"هل قال متى سيأتي؟"

"إذا كان لديكم موعد". السكرتيرة ترفع بصرها من على الورقة دون أن تتوقف عن الكتابة، ثم تمر بظهر يدها على الأجنحة المفتوحة. "هنا لا يوجد موعد".

"إذن فهو ليس موجوداً؟" يسأل بيتر.

"هل يوجد قهوة هنا؟" ثم يشير إدى إلى باير. "أو أنه أحضر قهوته معه؟"

أسأليه متى يتعين عليه تسليم الصحيفة للطبع. أسأليه. الوقت سرقتهم مرة أخرى، وكالمعتاد سيكون شغلهم مثل سلق البيض. الوقت دائماً ضيق عند السيد باير يوم الجمعة.

نهضت السكرتيرة. الفناجين والملاعق تصطك ببعضها البعض. ما زال باير يجلس بلا حراك وكأنه يراقب من خلال النافذة المفتوحة الناس الذين كانوا قد تزاحموا في الممرات بين الفوتيات والموائد والمقاعد بأشكالها المختلفة. عند خزانة الهدايا تكون طابور. ترتدى البائعات معاطف حمراء، وعلى الصدر مشبك أبيض مكتوب عليه: السيدة ...، ثم الاسم العائلي، و"تقوم بخدمتكم". أما مشبك المتدريبات فليس عليه إلا الاسم الأول، مثلاً "أنا" أو "يوليا" أو "سوزانا".

"قهوة بسكر وحليب؟"

"اثنين قهوة بالحليب"، يقول إدى ثم يجلس أمام باير عند حافة النافذة. "هيا، تعال يا بيتر".

"أنا جوعان يا إدى. التدخين ممنوع هنا". يشير بيتر إلى اللافتة على الباب. "على الأقل أود أن أكل شيئاً. أم أن قسم الحماية من الحريق سيغض الطرف إذا دخنتم؟"

"لا"، قالت السكرتيرة التى وقفت فى تلك اللحظة أمامهما، "لن يغض الطرف".

بحذر يتناول بيتر وإيجار الفنجانيين الممثلين من الصينية. "أما المروحة فلا تسبب لقسم الحريق أى إزعاج؟ يتساعل بيتر. "فى مثل هذا المطبخ الصغير؟ على كل حال، شكراً وفى صحتك!"

"فى صحة قسم الأمن الصناعى"، يقول إدى. تسند السكرتيرة الصينية على المكتب.

يضع بيتر فنجانه على إحدى ركبتيه ويمسكه بيد، ثم يشير إلى المروحة باليد الأخرى قائلاً: "الكل يحب الهواء المنعش، والمنافسة تنعش التجارة. مضبوط يا سيد باير؟"

"يا إلهى! الجونار". يضع إدى فنجانه بين قدميه على السجادة الرمادية. "لا يستطيع إنسان أن ينتظر كل هذا الوقت. هذا يدمر التجارة. عندك لا، يا سيد باير؟"

"كان من نصيبه كالمعتاد أكبر فنجان".

"فى العجلة الندامة، وفى التانى السلامة. مشكلتنا يا بيتر أن لدينا زبائن كثيرين، أكثر مما يجب. هذه هى المشكلة".

"هذا بدون حساب فترات التخفيض على الأسعار".

"أتعرف ماذا قال السيد باير عنك؟"

"هل يتحدثون عني؟"

"قال إن بيتر عنده مقشة في مؤخرته".

"مقشة؟"

"لأنك نقش كل الإعلانات. أينما ذهبت لا تترك إعلاناً واحداً لغيرك.

أنت قشاش".

"مقشة في المؤخرة؟"

"أنت تكنس كل شيء، هكذا قال، ولكن بعد أن قال مقشة".

"عموماً يا إدي، الحقيقة دائماً مفزعة، أليس كذلك؟"

"صحيح. وبصراحة عنده حق يا بيتر. أنتنكر كيف كنت كل شيء

عند هولتس شميت؟ في البداية ترك مستر باير يعزمه على العشاء -
ولكنه وقع العقد معك أنت".

"الحال يتدهور عند شركة باير".

"لا تفش كل الأسرار يا بيتر".

"هل أتحدث أكثر مما يجب؟"

"إنه في نهاية الأمر منافس لنا".

"وينعش التجارة، يا إدي، مثلنا".

"لكنه يأخذ الأمور على محمل شخصي".

"أيضاً لفت نظري ..".

"بيتر"!

"كنت أريد أن أقول إن لون "ماجنتا" ليس وردياً ولا أحمر دمويًا ولا برتقاليًا. ماجنتا هو ماجنتا. هكذا قال لنا السيد كرافتشيك. السيد كرافتشيك من متجر كرافتشيك للوازم البناء. وعندما يقول السيد كرافتشيك ماجنتا، فإنه يعني ماجنتا. إنه لا يعني اللون الوردى أو الأحمر الدموي أو البرتقالي. أما إذا اختلط اللون الأصفر، فإن السيد كرافتشيك يكون حزينًا، في غاية الحزن".

"أنت تعنى إذن يا بيتر - وحتى نهدي من خاطر شخص ما - أن الموضوع ليس موضوع أسعار؟"

"أريد أن أقول إنه إما أن الشرائح عند آل باير لم تلصق جيدًا، أو أنها عند النقل قد ترحزت عن مكانها، أو أن المطبعة مهملة في عملها. على المرء إذن ألا يندهش. فليبرم ما شاء من عقود ... لن يفلح .. هذا ما أردت قوله".

"حزمة من النصائح الجيدة ..".

"ما أكثر ما يخطر على بالي من النصائح الجيدة!"

"كفى يا بيتر! أراهن أنك لن تسمع حتى كلمة شكر، كلمة شكر واحدة. أم أنى مخطئ يا سيد باير؟ هه، ما رأيك؟"

"لسنا من المتذمرين دائمي الشكوى. كل ما نقوله نقداً بناءً."

"مثلما كتبت أنت يا سيد باير. على الإنسان أن يعرض الحقيقة على الناس مثل ثوب جميل، لا أن يقذف بها مثل خرقة. لهذا يشعر دائماً بالتعاطف عندما يفصل أحداً من عمله. على الأقل هذا ما نقوله داني. إنه يستطيع أن يشارك الآخرين مشاركة وجدانية عميقة. لهذا قصصت عمودك يوم الأحد. لقد أعجبنا جميعاً، أليس كذلك يا بيتر؟"

"هل تعرفين يا مدام .."

"مدام شوبرت" يقول إدي، "ماريانا شوبرت".

"هل تعرفين يا مدام شوبرت أن السيد باير يكتب بنفسه؟ - مساء الخير، أنا أتكلم معك!"

"دعها في حالها يا بيتر".

"كلهم هنا يكشفون أمرنا".

"هل تريد أن تقول إن عينيه تنفذ من خلال الأشياء؟"

"ليس إلى هذه الدرجة". يرتشف بيتر من فنجانه. "أشعر بالجوع. وإذا توقفت عن الكلام فسأشعر بالجوع أكثر".

"لا بد أن نعمل شيئاً تجاه هذا الإحساس. أنت تستحق ذلك".

"لو كانت الدنيا تسير بالعدل .."

"سأحضر لك شيئاً ... لأن اليوم هو الجمعة، ولأنك مرغم على العيش بمقشة في مؤخرتك، ولأنه ليس هناك شخص واحد يشكرك على ما فعلته".

أنت طيب يا إدي، وكريم معي."

إلى أن أعود، احك لهم بعض النكات". يغلق إيجار أزرار الجاكتة وهو ينهض. "حتى يتلطف الجو قليلاً".

يلوح بيتر في اتجاهه، ثم يتناول جرعة ثانية ويضع الفتجان بجانب الآخر على الأرض. "أعتقد"، يقول ناظراً إلى السكرتيرة، "أعتقد أن علينا اختصار كل ذلك". يسحب مظروفاً من الجيب الداخلي ويستخدمه كمروحة سائداً ذراعيه على ركبتيه. "سأعطيك الآن هذا".

تحرك السكرتيرة قدمها اليسرى خلف رجل الكرسي الدوار. بجانبها علبة فارغة من مشروب القهوة وبها شفاطة، والغلاف البلاستيكي لقطعة سجق.

"قليأخذ ما يشاء من وقت حتى يقرأ هذا"، يضيف بيتر. "قليأخذ وقتاً طويلاً، ويقرأه بهدوء وراحة بال. لا داعي للاستعجال. وأنت، يا سعادة المدير، سيكون عندك وقت أكثر".

يتكى باير إلى الخلف. لبرهة تتلاقى نظراتهما. "الكنس نهائي هذه المرة"، يقول بيتر رافعاً حاجبيه لأعلى، ثم ينهض ويذهب إلى المكتب حاملاً المظروف على كتفا راحتيه. "يبدو مثل الشيك. مئات الآلاف. مبلغ يمكن ادخاره، وربما يكون المبلغ أكبر، تفضلي".

"ضعه إذن على المكتب". توقفت السكرتيرة عن الكتابة. ظهرها مستقيم كالسهم.

يسلمها بيتر المظروف ثم يستدير. "والآن، حول أى شيء نتحدث يا
مستر باير؟"

من الخارج يرتطم شيء بالبواب. "خضراوات على الطريقة الصينية
أم سجق بالكاري؟"

"وأصديقتنا كريستيان لم تحضر شيئاً؟"

"هه؟ هل رفعتما الكفة بينكما؟"

يتناول بيتر طبق السجق ويشرع فى الأكل. "قبل قليل تعطفَ على
بنظرة".

"غير معقول!"

تضع السكرتيرة المظروف فى ملف وتذهب إلى حجرة المدير العام.
تترك الباب موارباً.

"عندما يرى الواحد كيف تأكل يا بيتر، كيف تمسح الطبق مسحاً ..
حتى لو لم أكن جائعاً .."

"العين تأكل مع الفم".

"بالضبط".

"قلت له إنه يضيع وقته هنا، وإنما سنريحه من العمل، ولهذا يمكنه
أن يسترخى ويستجم ويستمتع بعطلة نهاية الأسبوع".

"بينما نكنس نحن المنطقة يا بيتر".

"حتى لا يقول أحد إننا لم نحذره".

"بالضبط. نحن نلعب بأوراق مكشوفة. لا أسرار لدينا".

"طبعاً لدينا أسرار!" يمسح بيتر بإبهامه تحت أنفه. "٣٠ سنة، شعر مجعد، هكذا وقفت أمامه ... هل يمكنك أن ..". ويشير بإصبعه الصغير المنفرج تجاه جيبه. يسحب إدى منديلاً ورقياً مكرمشاً.

"دائماً عندما يكون الطعام لذيذاً"، يقول بيتر ويتمخط. ثم يمر ببقايا الخبز على صلصة الكاري، ويضع الطبق الورقى على فنجان، ثم يتمخط مرة أخرى.

"من الممكن يا مستر باير أن تقول لماريانا إننا سنريك الآن عرض أكتافنا".

"أو بالأحرى قفانا يا بيتر، نعم قفانا".

ينهضان.

"على كل حال سنخلى لكما الجو". بيتر يشير بإصبعه وكأنه ينادى خادماً. "ما أحلى أن يسكر الإنسان حتى يصبح طينة! لا تعودا قبل الفجر! اشترى راديو وارقصا، كنوع من التمرينات الرياضية فى فترة الاستراحة من العمل".

"كريستيان لا ينعم علينا حتى بنظرة واحدة!"

"فى أى شىء يفكر كريستيان الآن؟ من مظهره أقول ..".

"شكراً جزيلاً على القهوة يا مدام شوبرت"، يصيح إدى ويومئ برأسه إلى بيتر.

"شكراً جزيلاً يا مدام شوبرت، وأتمنى لكِ نهاية أسبوع سعيدة!"
أتمنى لكِ أنا أيضاً"، يقول إدى ثم يخبط بإصبعين على فوده كتحية.

الباب الجرار يتفلق فى حجرة المدير العام. باير يروح ويجىء، ثم يتوقف أمام الشيش الحصيرة.

"غير معقول"، يصيح، "السادسة وعشر دقائق".

تدخل السكرتيرة ثم تضع ورقة بيضاء فى الآلة الكاتبة، وتضغط على أحد الأزار. "لن تكون الأول الذى ينساه".

"الدعاية جيدة، أليس كذلك؟" يراقب باير كيف تسحب السكرتيرة الورقة إلى أسفل.

تضع رشاشة نباتات صغيرة فى حوض غسيل المواعين. عندما فتحت الصنبور أصاب تيار الماء الفتحة بالضبط. تذهب إلى أصص نبات الفيلودندرون المتسلق، وترفعها.

"يقولون إن الأفضل أن ترشى الماء بين الأحجار فى الأصيص"، يقول باير.

توقف أزيز الآلة الكاتبة. اختفت الورقة.

اعتقدت أنها ليست حقيقية"، قال باير مشيراً إلى الأصص. "إنهم يقلدون اللبلاّب بطريقة بارعة - إذا لم يرَ أحد الإبر السوداء في الأصيص، لن يخطر على باله أنها من البلاستيك".

تعاود السكرتيرة ملء الشاشة.

"هل تعرفين أحداً اسمه كورنر؟" يسألها باير عائداً إلى كرسيه. تتطاير خصلات شعره فوق جبهته بفعل تيار الهواء من مروحة السقف. "هل تعرفين ماذا كان كورنر يعمل، ماذا كان يعمل حتى نوفمبر ٨٩، إيجار كورنر؟"

"أنا لا أحفظ أسماء".

"لم تقرئي جريدة أبداً، في السابق؟ من يوظف شخصاً ... الجميع يعلم من هو! ذكي، ويشتري! عندما عرفته كان لا يرتدى إلا قميصاً أزرق".

"سأقفل المكتب الآن"، قالت وهي تضع الشاشة الممتلئة بجانب الأصص، ثم تسحب ورقة نبات انحشرت بين رقائق شيش الحصيرة، قبل أن تغلق الشيش.

"هل تطبع الإعلان القديم؟"

"كله إلا هذا!"

يحاول باير أن يضحك.

"لم يكن من المفروض أن تكون هنا، خصوصاً يوم الثلاثاء. ألا يقرأ أحد عندكم البروفات قبل الطبع؟" تجلس السكرتيرة إلى مكتبها، وتفتح

ملفًا مخصصًا للأوراق التي سيوقع عليها المدير، وتضع فيه الورقة التي سحبتها من الآلة. "اعتقد الناس أننا نخدعهم كي نجذبهم إلينا".

"ألم تقولى له إننا لن نحسب ثمن الإعلان؟"

"أنت رجل طيب - لن تحسبوا ثمن الإعلان. إذا استلمنا إنذارًا بالدفع، فسوف أرسله لكم فوراً".

"هل عنده تليفون فى السيارة؟"

"عنده. اتصل به إذا كنت تعرف الرقم. أنا لا أعرفه". تغطى الآلة الكاتبة وتشد أطراف الغطاء.

"ولكن لا بد أن نطبع شيئاً". ينحنى باير تجاه الفنجانيين الموضوع فوقهما الطبقان الورقيان. "كنت أريد أن أعرض عليه 5٪ خصماً، على كل شيء".

"إذا لم يجئ اليوم، فلن يجىء قبل يوم الخميس. اكتب له رسالة. تضع السكرتيرة حامل الأختام فى الدرج وتقله".

"أفضل التحدث معه شخصياً ... تتصلين بى عندما يعود؟ يظل باير واقفاً أمام المكتب وفى يديه الفتاجين.

"لابد أن أذهب الآن"، تقول، ثم تتحنى لالتقاط الأطباق الورقية التي وقعت.

"آسف، الهواء"، يقول مشيراً إلى المروحة. "ألا تستطيعين أن تتصلى بى، أقصد عموماً، الأسبوع القادم عندما يعود".

"لن أكون هنا .. طوال هذا العام. لا أعرف متى سأعود".

"لا أفهم. هل ..".

"ستُجرى لى عملية جراحية". ترمى الأطباق الورقية فى سلة المهملات.

"تسمحين لى؟ بحذر يضع باير الفنجانيين فى الحوض.

تفتح الصنبور وتمسح على الحواف وأذن الفنجان بالوجه الخشن من إسفنجة غسيل المواعين.

"سأكتب له أننا لم نعرف ماذا نفعل، لهذا كررنا الإعلان، كررناه بعد إدخال التصحيحات عليه. هنا صينية أخرى". وينحنى.

"هناك". بإيماءة تشير له إلى المائدة أمامه. "أعطني فنجانك". باير يُنحى جانباً الشريط اللاصق ودبايس المكتب وقلم الفلوماستر البرتقالى اللون وممحاة خضراء على شكل سيارة فولكس فاجن، مخلياً بذلك مكاناً لوضع الصينية. عندئذٍ يحمل فنجانَه إلى الحوض. "هل أجفف الفنجانيين؟"

"يمكنك أن توقف المروحة - الزر خلفك".

"نعم"، أكمل باير، "سأكتب له. أعتقد أن هذا ما سنفعله". يضغط على زر إيقاف المروحة ثم يجلس ويسحب حقيبة أوراقه من تحت الكرسي ويضعها على ركبتيه، ثم يأخذ منها قلم جاف ودفترًا. يشرع فى الكتابة وهو منحنٍ قليلاً إلى الأمام.

أثناء قيامها بالتجفيف ووضع الفنانين على الصينية راحت
السكرتيرة تراقبه. أصابع يده اليسرى ترقد متلاصقة على حافة الحقيبة
بينما كان الإبهام يضغط على الورقة حتى لا تتحرك. بسرعة كان يكتب
سطراً تلو سطر، وفجأة تتوقف يده اليمنى عن الكتابة، ويتجه بصره
إلى السقف.

رغم أن ماريانا شوبرت كانت تراقبه جيداً، لم تعرف ما إذا كان قد
انتبه إلى اللفات الأخيرة لمروحة السقف. أدهشها كيف يبدو باير شاباً
فجأة، وكأنه طالب يحتاج عما قريب إلى نظارة، لكن الكثير ما زال في
انتظاره، حياة بأكملها.

الفصل الثالث عشر

تستطيعين الآن

ماريانا شويرت تحكى عن هنى. صعوبات لدى
النوم، اتهامات ونداءات جذابة. يتحسن مزاج
ماريانا شويرت لإدراكها أمراً مهماً.

"اعتقدتُ في البداية أن الصفارة مصدرها رجل يحاول أن يجتذب
قطعة- تقريباً هكذا -". ترفع هنى رأسها وتصفّر، ثم تحاول مرة أخرى
بعنق ممدود وصدر بارز. نعم، هكذا تقريباً. يعنى إشارة تحذيرية. فى
البداية يعتقد المرء أنها عادية". ترتشف من كأس النبيذ. أساورها
الفضية تنحدر من معصمها إلى زراعها. "كنت أرقد مستيقظة، أسمع
الصفارة وأتأمل الوحمة على ظهر دتليف وأتخيلها على شكل نجوم
السماء. حول الفندق - فى الحقيقة لم يكن فندقاً بالمعنى الحقيقى للكلمة،
يمكن أن نسميه نُزلاً للعمال، لكنهم يطلقون عليه فندقاً - أربعة أسرة فى
كل حجرة. فى الخارج أزيز المراوح والثلاجات، ثم هدير السيارات،
وضجيج الناس الذين كانوا يتشاجرون أو يضحكون، كلهم ليسوا ألماناً

ولكن الصوت كان بالطبع مختلفاً، قالت هنى ثم وضعت كفها على فتحة الفستان، "كان صوتاً أخنف، ومنعماً فى نفس الوقت، لغة باطنية، شىء لا أستطيع تقليده. هى فىن؟"

تلقت حولها والسيجارة فى وضع عمودى فوق طبق الفنجان الموضوع عليه السندوتش المقضوم. أذهب إلى الحوض وأجفف منفضة السجائر. "شكراً"، تقول عندما قدمتها إليها. "فوجئت، فوجئت تماماً عندما عرفت أن الصوت كان صوتاً نسائياً، صوتاً رائعاً. نسيت أن أذكر لك ذلك، يا ماريانتي، صوت من طبقة الألت، هادى، يصدر بدون أى جهد. ثم ساد الضجيج مرة أخرى، بويوبويو - بويو بوم بوم".

"الحمام فاضى"، أقول لها عندما مر ديتير بباب المطبخ، لكن هنى لا تسمعنى. ينطفى نور المر.

"كنت إذن راقدة على سرير غير سريرى. الملاءة تحتى باردة منعشة. كل ما سمعته كان ذلك الصوت: بويوبويو - بويو بوم بوم".

"بعد إذنك لحظة"، أقول لها وأنهض.

"آه، طبعاً"، تقول هنى مبتسمة، وتتفخ الدخان ناحيتى.

"ديتر"، أنادى وأنا أغلق باب حجرة النوم خلفى.

يشير إلى المنبه. "هل تعرفين كم الساعة الآن؟ بعد الواحدة، انظرى، بعد الواحدة! احمر رأسه تماماً وكأته يصرخ: "الولية المجنونة لا تتوقف عن الرغى، صدعتنا! أفسدت علينا يوم الأحد كله، ويوم الأحد هذا بالذات! ثم أضاف: "أنت لم تجهزى شنطك حتى الآن".

أعرف، قلت وأنا أجلس على السرير. ربما تحتاج إلى من يسمعها.

لكنها لا تريد أن تعرف كيف حالك أنت؟ أم أن سكرتيرة في محل أثاث ليست من مقامها؟

لقد سألت عن كوني.

عن كوني! وماذا قلت لها؟

لا تتحدث عالياً هكذا ..

المجنونة! لأنها مديرة تعتقد أنها يمكن أن تفعل ما يخطر على بالها؟ في أي شيء تفكر؟ وهل تستطيع أن تفكر من أساسه؟

لم تعد هني مديرة. لقد تركت المتحف.

فصلوها؟

لم تعد في المتحف.

هل كانت في الشتاء؟ هل كانت

أنت قلت: يمكنها أن تبقى هنا.

اعتقدت أنها ستمشي عندما أقول ذلك، أنها ستلاحظ أننا نريد أن ننام! هل اعترفت أنها كانت تعمل مع الشتاء؟

وبعدين معاك! أنت أول مرة تشوفها.

آه، لهذا. بكل لباقة تتناديني بـ زيوس، المجنونة هذه! كان على أن
أطردها من البيت وأريح دماغى! وأمنعها من أن تناديك بـ ماريانتي.
أنت كنت لطيفاً جداً معها.

"لأنها صديقتك". يتمدد ديتر على ظهره مشبكاً يديه تحت رأسه.
"كنت تبخلق فيها".

"ماريانا! من فضلك".

"بجد! هذا ما حدث".

"كلام فارغ. من يضع أحمر شفاه هكذا على المائدة أمام
الجميع...".

"ليس هذا هو الموضوع".

تصدر عن ديتر آهة تعجب.

أقول له: "إنها لا تعرف إلى أين سأسافر غداً".

"طبعاً تعرف. لهذا حكى النكتة السخيفة عن الورم فى الصدر.
بعدها قلت لها أن تحتفظ بنكتها لنفسها. إنها تعرف!"

أسأله: "هل قلت لها ذلك عندما خرجت؟"

"نعم"، يجيبني.

نصمت، ثم أسأله عما قاله لـ هنى؟

"إنك ستذهبين غداً إلى المستشفى في برلين، من أجل عملية جراحية. وإن علماءنا يجرون "أبحاثاً" حول ورمك. أبحاث يمولها صندوق التأمين الصحى"، ثم ينظر إلى متسائلاً: "هل أخطأت فى ذلك؟"
ثم اقترحت عليها أن تبيت هنا. أن تشبع نوماً، هكذا قلت."

"نعم"، يقول ديتر. "ظننت أنها ستصرف عندئذٍ."

أنهض فيحاول الإمساك بى. "ماذا حدث؟" يصرخ فى ضارباً بيده على الغطاء. لا ألتفت. أطفىء النور، وأعود إلى المطبخ.

كانت هنى قد ملأت كأسها من جديد. سألتنى: "تعبانة؟" أخذ منشفة مواعين نظيفة من الدولاب.

"كان الصوت مؤلماً، كالشاكوش فى الأذن: بوبوبوبو - بوبو بوم بوم". أصابع هنى المنفرجة تتزحلق على قدم الكأس. "أغلقت الشباك، وهو ما لا أفعله أبداً لأننى أصاب بالصداع، فى الصباح على أكثر تقدير. أحسست بالصوت منبعثاً من تحت وسادتى، بوبوبوبو - بوبو بوم بوم. فترات السكون كانت أقصر من تلك التى يحتاجها شريط تسجيل لكى يعود إلى البداية، وأطول من اللازم بالنسبة إلى سى دى. كان أسوأ ما فى الأمر أنتى كنت أعد الضربات فى فترات السكون، ثم توقفت الضربات، مرتين ونصف مرة، وفى اللحظة التى آملت فيها أن تكون قد انتهت، عاد الدق: بوبو بوم بوم. دق بدائى، بدون أى مهارة. لماذا لا تقعين، ياماريانتي؟"

أبقى بجانب الحوض، وأجفف الكئوس الغالية والشوك والملاعق.
راحت هنى تدهس عقب السيجارة فى المنفضة. اهترزت أساورها
السميكة واحتكت بالمائدة.

"أصابتنى الهستيرية"، أكملت هنى كلامها. "وجدت الأمر فظيماً أن
يسمح شخص لنفسه بأن يدق على أذنى. إنهم يقولون طبلة الأذن، حتى
يطبلوا عليها. لماذا لم يغضب أحد أو يثور؟ هزرت دتليف وأيقظته. إنه
يسمع دائماً كل شىء، المنبه، التليفون، إنه هو الذى يوقظنى عندما يكون
ثائراً، وعندما يعانى من الأرق، فأقوم بتهدئته. لم يعد يخشى شيئاً مثل
الأرق. إنه لا يُحتمل"، يقول دائماً. "لا يُحتمل". قال لى إنه لا يسمع
شيئاً. رفع رأسه قليلاً وتساعل: فيه إيه؟ لم يقل سوى: فيه إيه؟ ثم
استدار. قلت له: التطيل، ألا تسمع شيئاً؟ قال: الدق خفيف تماماً. قلت
له: شواكيش تضرب تحت الوسادة. شواكيش تضرب فى أذنى. إنها
مؤلة، مؤلة جداً. كنت أريد أن يفعل شيئاً! يا إلهى! لابد أن يفعل أحد
شيئاً، قلت له. أى فندق هذا. أى فندق هذا؟ وأى حراس هؤلاء الذين
لا يفعلون شيئاً؟"

ترتشف هنى، ثم تشعل لنفسها سيجارة أخرى. "قال دتليف: هناك
إمكانيتان". راحت هنى تحرك عود الثقاب يميناً ويساراً. "إمكانيتان. إما
أن تتجاهلى الصوت وتركزى انتباهك فى شىء آخر، أو، قال لى بدون
حتى أن يفتح عينيه، "أو تدعيه يتغلغل فى أعماقك فتتسببه تلقائياً. فقلت
له: أو أن تنهض الآن وتضع حداً له. إن الدق عالٍ جداً لدرجة أنه يدلك
باطن قدمى. رد قائلاً: انسى. فيما بعد ادعى أنه قال حبيبتى، وليس

انسى. قال: انسى. سيضحكون علينا. لم يمثل الأمر بالنسبة إليه أى مشكلة. حاول أن يشدنى إلى السرير. اعتقدت أنتى سأجن. تخيلت الأمر كأنه يحدث بسرعة الصوت. كأنه ضوء النجوم. لم يعد لها وجود، لكننا نراها فجأة عند ظهورها، ويجيء مكتشف ويطلق على هذا النجم اسم زوجته أو عشيقته. مع أن النجم لم يعد له وجود، إنه انتهى، اختفى، لم يبقَ منه غير الضوء. هل تعرفين شيئاً مثل هذا؟" تبلىق فى، ثم تقول: "لقد فقدت خيط الحديث. عن أى شىء كنا نتكلم؟"

"النجوم، والخيط تحت رأسك، دتليف"، أقول لها وأفرد المنشفة على جسم الدفاية.

"أحياناً كنت أتخيل وكأنتى استغرقت فى النوم. وقفت بجانب الشباك ورحت أبكى، ثم سدت أذنى، لكن الخبط ظل ببساطة موجوداً. وعندما كان يتوقف كنت أستحضره، كنت - يمكنك القول - أدفنه فى أعماقى. ماريانتى، كنت أعتقد أنتى سأجن". تهز هنى رأسها. أضع الكئوس الغالية على الصينية وأسألها هل يمكن أن تفتح لى الباب. تنهض على الفور. أحمل الصينية إلى غرفة المعيشة حيث فردت الكنبه وحولتها سريراً لها. انتظرتنى فى المطبخ.

لم أستطع أن أنزل لهم، وأنا المرأة الوحيدة هناك. بدا الأمر وكأنتى أنا الوحيدة المتضايقه". أخذت أمسح المائدة فرفعت المنفضة. حتى البارحة كنت أفكر أن كل شىء بينى وبين دتليف كان سيسير على ما يرام لو تتوقف تلك الـ بوبوبوبو - بوبو بوم بوم. لم أكن أطلب منه سوى الحقيقة، ثم نرى بعد ذلك. كنت أعتقد أننا سنقضى وقتاً طيباً فى

نهاية الأسبوع، وأنه سيأخذنى فى جولة بمدينة فرانكفورت. على الأقل مرة نقضى وقتاً جميلاً معاً - منتهى التفكير بالتمنى طبعاً. تمسح آخر قطرات زجاجة النبيذ من حافة كأسها. "كما أن المكان مزدحم بالمومسات ومتعاطى الإبر. شىء لا يصدق. يمكنك أن ترى بعينيك كيف يفعلونها، أعنى المدمنين".

تحاول أن تدير السدادة الفلينية حتى تدخل فى عنق الزجاجاة. لا تتوقف عن المحاولة.

"ثم حدث ما حدث يا ماريانتي"، قالت ثم وضعت السدادة جانباً وأمسكت بيدي. "بكيت يا ماريانتي، وفجأة ألحت على نغمة، فاستغرقت فى التصفير المتقن، وكأنتى تذكرت فجأة نغمة موعلة فى القدم"، قالت بنبرة ذات أهمية. "أخذت أصفر، بهدوء وخفوت، وشعرت فى اللحظة نفسها كيف أصبح كل شىء هادئاً، وكيف ذهب عنى التعب المؤلم، وبدأت أشعر بالنشوة. فجأة توحدت مع ذاتى كما لم يحدث لى من قبل. كنت أملك تلك الصفارة التى لا يمكن لأحد أن يكتبها، إذ لا بد أن يسمعها المرء. كأنتى صمدت والآن أكافأ على صمودى، هل تفهمينتى؟ ربما من أجل هذا تحديداً جئت إلى فرانكفورت، من أجل أن أتعلم هذه الصفارة".

سحبت يدي. بقيت هنى جالسة بقدمين متباعدتين.

"عندما أيقظنى بتليف صباح اليوم"، قالت، "كنت تعبانة كأنتى أخذت علة ساخنة، لكننى ابتسمت. ذهب إلى الحمام ووقفت أنا عند

الشباك. أخذت أتهياً، فأغلقت عيني - ولكن لا شيء. كأنهم سرقوها منى أثناء النوم، كأنهم انتزعوا النعمة من حلقى، كأن أحدهم محاها محوياً. نظرت إلى الشباك، لكنني لم أر إلا السلك الموضوع أمامه لمنع دخول الذباب. كنت في الحضيض يا ماريانتي. لمسني دتليف عند الكتف ولثم قفاي. انفتحت في الصراخ والبكاء. في تلك اللحظة شعرت أن كل شيء ذهب هباءً، أن دتليف انتهى بالنسبة لي، هل يمكن أن تتخيلي هذا؟

تطلعت هنّي إلى. أخذت تدير كأسها الفارغة. كانت تنتظر شيئاً منى، لكنني لا أستطيع أن أفعل مثلها، أن أهرب ثم أحكى مثل هذه الحكايات للآخرين. لم نر بعضنا لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام. تعرفنا في جماعة الرياضة النسائية. كانت هي أصغرنا، لكننا لم نتبادل الزيارات أبداً. فيما بعد تناولنا الطعام معاً، واحتسينا كأساً.

أنهض من على المائدة لأنني أريد أن أتناول جرعة ماء. هنّي تخلع السوار الفضي، وتفك ساعة يدها.

"يا ماريانتي"، تقول وتقترب منى فاتحة ذراعيها. تريد أن تعناقني. أتناول يديها وأضغط عليهما فوق كتفي. حتى هذا لا أريده. أنا لا أريد أية لمسات من أي أحد.

أسألها إذا كانت تشعر بالشوق إلى دتليف. تهز رأسها نفيماً. أترك يديها. ما زالت تتشبث بكتفي. أحاول أن أتجنب نفسها. "أنت متوترة"، تقول. أصابعها تدلكني قليلاً. من قريب بدت لي شفقتها العليا باهتة. وعموماً بدا لي وجهها وكأنه فقد جماله.

تستطيعين الآن"، قلت لها، ثم أضفت عندما نظرت إلى مقبضة
الجبين: "الحمام فاضى".

أغلق باب المطبخ وأفتح الشباك. أفرغ المنقضة وأغسلها، وإلا لن
تُجدى أى تهوية نفعاً. أثار أحمر الشفاه موجودة حتى على السندوتش
حيث قضمت قضمة. أرميه مع السدادة الفلينية، وأغسل الكأس والزجاجة،
ثم أبدأ بتهيئة المائدة للإفطار. أضع السوار والساعة بين الفناجين.

من الحمام تتناهى إلى سمعى صفارتها الغريبة. لست متأكدة إذا
كانت الصفارة عالية بالفعل، أم أتنى أتوهم ذلك. أجفف المنقضة.
أضعها بجوار الساعة ثم أغسل يدي وأدع الماء ينساب عليهما لحظةً.
أضع زجاجة النبيذ الفارغة فى السلة فوق الورق القديم، وأسحب منها
برنامج التليفزيون من الأسبوع الماضى. على المائدة أقرأ برجى: "العذراء
٨/٢٢ - ٩/٢١ . شخص بحاجة إليك. إذا استطعت أن تشعرى بمعاناة
إنسان وتشاركه وجدانياً، فسوف تهتدين بالتأكيد إلى طريقة فعالة
لتقديم العون إليه". ثم أقرأ برج ديتر: "العقرب من ١٠/٢٣ - ١١/٢١ .
أنت مهموم بشأن اتخاذ قرار. انتظر ما سوف يحدث، واشغل وقتك
بأشياء جميلة!" "أحمر الشفاه يقى من السرطان. سرطان الشفاه يصيب
النساء أقل من الرجال. السبب: النساء اللاتي يضعن أحمر شفاه
يحمين أنفسهن خلال النهار من الأشعة فوق البنفسجية. المواد الملونة
فى مساحيق التجميل تعمل كمصد للأشعة".

لا أستطيع تمرير سوار هنى السميك من يدي، فقط السواران الرقيقان
أستطيع لبسهما. التاريخ فى ساعتها توارى نصفه عن الأنظار.

أملأ ماكينة القهوة بما يكفي ستة فناجين، لكنني أترك الغطاء مفتوحاً حتى أتذكر في الصباح ولا أملؤها مرة أخرى فيفيض الماء. علبة الورق المرشح فارغة. أضغط عليها ثم أضعها بين الصحف القديمة. لم يعد لدينا سوى علبة بمقاس أكبر من مقاس الماكينة - مقاس ٤ بدلاً من ٣. ألفت رؤية العلبة خلف مساحيق الخبز والبودنج. أفتحُ العلبة.

قصصت طرفاً ضئيلاً من المرشح فتتاسب على الفور مع الجزء العلوي من ماكينة القهوة. وفق النموذج نفسه قصصت المرشحات الأخرى. لا أعرف لماذا لم أفعل هذا منذ وقت طويل. أحضر العلبة الفارغة ثانية وأضغط عليها وأملؤها بالقصاصات، ثم أضعها مرة أخرى بين الصحف. أتناول المنبه ذا الأرقام الكبيرة وأدنيه من عيني لأرى حركة عقرب الدقائق. نهضت عندما شعرت بالبرد وسرت إلى الشباك. أيضاً لا قمر. أغلق المصراعين ببطء. يخطر على بالي ثانية أنني كنت أريد أن أشرب شيئاً. عندما تناولت كوباً من دولا ب المطبخ، قلت لنفسى إننا كلنا سنموت أجلاً أو عاجلاً.

أشرب الماء، وأحك الشمع الذي تساقط من الشمعدان، ثم أقطع الذبالة من فوق الحامل، وأضع شمعة جديدة. فجأة راح عنى التعب، بل شعرت برغبة في أن أشغل الراديو وأستمع إلى موسيقى، موسيقى جميلة فحسب، لكن من الأفضل ألا أفعل. لا أريد أن أخاطر بشيء. أريد أن أحتفظ بحالتي النفسية هذه، على الأقل لبضع دقائق.

الفصل الرابع عشر

مرآة

باربارا وفرانك هوليتشك يتبادلان الحديث. ما حدث في الحمام. ليس هناك ردة فعل من السياسى، وبعد ذلك ينتابه التعجب. فقدان الحذاء أثناء الفرار.

بجبهته يلمس فرانك باب الحمام، ويتساءل: "كل شىء تمام؟ نبرات صوته عميقة. يضع يده على مقبض الباب. "ممکن أدخل؟ بالرغم من اللبان فى فمه فإن نفسه يذكره بوجبة العشاء: قطع لحم فى صلصلة بالقشدة، وقبلها شوربة بصل، والحو تيراميسو. لم يشرب غير البيرة. فى حوالى الثانية عشرة غادروا مطعم "راتس كيلر". إنها الآن الواحدة.

"باربارا؟ أصابعه تنقر على إطار الباب. "كله تمام؟"

يتراجع عندما أدارت المفتاح. ينتظر ثم يفتح الباب بنفسه. "ممکن؟"

تقف فى قميص النوم أمام المرآة ممسكة بقطعة قطن تمر بها على حاجبها الأيسر. الجيبة على غطاء التواليت، البلوزة والجوارب ملقاة

أمامها على البلاط. تضغط بالقطنه على زجاجة، ثم تقلبها لوهلة مديرة رأسها إلى الناحية الأخرى. عندما رفعت نراعها رأى شعر إبطها اللزج.

قال لها وهو يلثم شعرها: "بابس، هل ما زلت تشعرين بالألم؟" تغير تعبير وجهها على المرآة.

"ماذا يحدث إذا ادعيت أنك ضربتني، أعطيتني علكة ساخنة؟ ماذا يحدث عندئذ؟"

ملامح وجهه تنبسط ويبتسم. "أكون قد ضعت وانتهى أمرى".

"لا أعتقد"، قالت ثم انحنت إلى الأمام مرة أخرى. "ستدعى العكس، وسيشهد الجميع أننا زوجان منسجمان، وسأكون أنا الشريرة مرة أخرى، المرآة الهستيرية الطماعة التي لا تشبع من الفلوس. هذا ما سيحدث". تضع قطعة القطن الصغيرة خلف الصنبور قائلة: "حتى الحصانة لن يرفعوها عنك".

"ومع ذلك"، يقول وهو يقبلها، "سيظل شيء ما عالقا بسمعتي".

"وإذا كنت حاملاً؟ تتطلع إليه فى المرآة.

يزيح شعرها ذيل الحصان إلى الجانب ويلثمها خلف العنق. أنامله تلمس عظام كتفها. "أنا أسف جداً"، يقول مغمض العينين.

"ليس هناك داعٍ لأن تشعر بالأسف".

"بالرغم من ذلك"، يقول واضعاً يديه على بطنها. "كان على أن أتدخل قبل ذلك، قبل ذلك بكثير، ولكن من كان يستطيع أن يعرف!"

"فرانك! يدخل يده تحت قميص نومها، وبسرعة يمدّها إلى أعلى ويراقب في المرآة أصابعه على نهديها، تحاول باربارا أن تمسح ظلال جفونها.
لم يكن أحد يستطيع أن يعرف، تقول. على الجفون تعلقت ويرات
قبطية. وتضيف: "كيف كان لأحد أن يعرف!"

يقبل كتفيها.

تدير ذراعها الأيسر وتتأمل مرفقها المخدوش. "هل تعتقد أنت
أيضاً أنني سهلة يا فرانك؟ هل من السهل ضربى؟"

"كلام فاضى".

"أنا أسأل فقط. من السهل ضرب النساء القصيرات، أليس كذلك؟
قل لى. هل من السهل ضربى؟" فرانك يتركها. باربارا تمسح يدها على
قميصها.

"كيف كان لأحد أن يعرف!" تكرر وهي تجمع القطن على حافة
الحوض، ثم تضغط على دواسة صفيحة القمامة الصغيرة. تقع كتلة
قطنية بجانب الصفيحة. ينحنى فرانك لالتقاطها. يلفظ اللبانة في كفه، ثم
يدعسها في القطن المبلول، ويلقى به في الصفيحة. "أربعة عشر
أو خمسة عشر تلميذاً"، يقول وهو ينهض. "رسيوا ثلاث مرات، مساكين،
إذا نظرنا لكل على حدة".

"عندما بدأوا لم يتحرك أحد منكم يا فرانك. لا أحد". تفتح الصنبور
وتضع الذراع المثني تحته.

"من المفروض ألا يفعل المرء هذا. الجرح ينظف نفسه بنفسه".
خمسة رجال. لا أحد من الخمسة كلف نفسه وفعل شيئاً. أتعرف
ماذا يدهشني؟

"طيب. هكذا ترين أنت الأمور، لكن، أنا أعتقد أن تصرفنا كان صحيحاً".
أتعرف ماذا يدهشني؟ أنكم لم تكلفوا نادلة المطعم أن ...
كانوا يريدون أن يستفزونا. فقط الاستفزاز".

"آه، والحمد لله يا فرانك أننا لم نستجب لهم، رائع! وصديقك
أورلاندو ... هل كانوا يريدون أيضاً استفزازه فقط؟ هل غررنا لذلك
السكين في ظهره؟"

"آه، لا تبالغي!"

"طوال نصف ساعة وهم يهتقون بشعاراتهم، وأنتم كنتم جالسين
هناك ...".

"ولهذا ظللت تشرابين حتى أصبحت لا ترين أمامك".

"وأنتم ظللتم جالسين هناك بأزيائكم البافارية الشعبية تلوكون
اللبان، وعندما قالت هني إنها لا تريد أن تبقى، قلت: طيب، وأردتم دفع
الحساب".

"بعد عشر دقائق كانت الشرطة قد وصلت وطردتهم. ربما بعد ربع
ساعة ...". بيده يفرد منشفتها المعلقة على الحامل.

"وفى الخارج كانوا فى انتظارنا".

"أعتقدين أنهم كانوا سيسمعون كلامى؟ طبعاً لم يكن هذا ليحدث إذا حاولت طردهم بنفسى؟ هل هذا هو منطقك؟ هل على أن أتدرب على المصارعة؟ تغسل وجهها.

يقول: "ليس كل حمار يدعى الأهمية شخصاً نازياً! هل تريدن أن تضعيهن كلهن فى السجن؟"

"ماذا تقول؟"

"لا تتصرفى هكذا".

"فرانك! يداها تحيط بحافة الحوض. من الذقن والأنف تتساقط قطرات المياه. "ما زلت أشعر بالاحترام تجاهك .."

"وماذا كان على أن أفعل؟ هل يمكن أن تقولى لى؟"

"أتعرف ماذا أطلقوا على امرأتك؟ لقد تصاممت عندما قالوا كيف يريدون أن يتعاملوا معى، أن يتعاملوا مع امرأتك؟"

"كفى يا بابس .."

"لم أحتفظ فى ذاكرتى سوى بالروائع".

"لا تصرخى هكذا! لقد سمعت أنا أيضاً".

"طيب. إذا كنت أنت أيضاً قد سمعت ... لقد اعتقدت أنك لم تسمع.

تخيلت ذلك. أخطأت مرة أخرى. من فضلك سامحنى على ظلمى لك".

"هل كان على أن آخذ علكة؟ يتراجع فرانك قليلاً إلى الوراء.
ربما كنت قد تغلبت على اثنين منهم، ربما ثلاثة، ولكنهم كانوا عشرة
أو أكثر. كانوا سيضربوننى ثم .."

"ثم؟ تساءلت ووجهها المبلول فوق الحوض. أصابعها تتحسس
المنشفة. "واصل كلامك يا فرانك. يضربونك ثم، ثم ماذا؟"

"هل تريدون هذا؟ أن يضربونى؟ يتكىء إلى الجدار مشبكاً ذراعيه.
الكيلوت الذى ترتديه ترحلق إلى أسفل قليلاً.

"بدلاً من ذلك جرينا كالأرانب يا فرانك. كالأرانب، وعندما طرت فى
الهواء كنت أنت واقفاً فى انتظارى. لم أشكرك بعد على ذلك. أنا ظالمة
فعلاً. انتظرتنى على بعد خطوات، ورحت تنصحنى". تعلق المنشفة على
الحامل مرة أخرى. "ألم تأخذ علكة أبداً فى حياتك يا فرانك؟ كنت
ستخرج معافى بعد أسبوع من المستشفى، على أكثر تقدير. كنت
سأزورك كل يوم، وكنت سأطبخ لك أيضاً. أتعرف ماذا تكون؟"

"أنت جنتت" قال هابطاً ببصره على ساقيهها. "كل ما على هو أن
أخرج الآن. عندئذٍ سأعوض ما فاتنى".

"بالضبط"، قالت وهى تحل ذيل الحصان، ثم راحت تمشط شعرها
ورأسها مائل إلى الجانب. "كنت أريد أن أطلب منك ذلك. على الأقل
حذائى، هل يمكنك أن تحضره؟ الحذاء ليس إلا بضعة أبازييم، ولكن
ثمناها كان ٢٠٠ مارك".

"بابس!"

"نعم؟ تفضل، أصفى إليك يا فرانك".

"أتعتقدين أنني مستريح لما حدث؟"

"لا. لا أعتقد ذلك. كيف يخطر على بالك شيء كهذا؟"

"كيف في رأيك! يتتبع ببصره في المرآة كيف تزيل الشعر من الفرشاة. يمكنك أن تظني في ما تريدن"، قال واضعاً يديه في جيوبه. "كان علينا أن نأخذ تاكسيًا. ولكن عدا ذلك؟"

"ديمقراطيتكم الجميلة لن يضرها أشخاص مثلهم. مثلهم لا".

"ديمقراطيتكم! هذا الكلام المستهك يا بابس! هذا الكلام أقرؤه كل يوم على الفطار. كلام يصيب بالغثيان!"

"لماذا تصرخ؟ سمعي ليس ثقيلاً. تفتح علبة ظلال الجفون البيضاء المسطحة.

"بالطبع لا. لست ثقيلة السمع، ولكنك سكرانة. نجحت في ذلك كالمعتاد نجاحاً عظيماً". يفتح أزرار قميصه.

"لم تجبني بعد يا فرانك". تنهمك في طلاء رموشها.

"لم أجب على ماذا؟"

"على سؤالى". بالإصبع الصغير تنقط على زاوية العين. يعلق قميصه على مقبض الدفاية ثم يفتح حزامه.

"هل تحضر لي حذائي أم لا؟ أنا أسأل فقط". تغلق العلبة.

يترك بنطلونه يتساقط. "هل تسمحي لى بالمرور؟"

"فرانك"، تقول وهى ترسم حواف الشفتين. "هذا معناه ... هذا لا يمكن أن يعنى إلا ... إلا أنك لست على استعداد أن تحضر لى الحذاء. هل هذا صحيح؟"

يلقى فرانك بالجوارب فى سلة الغسيل، ثم يضع البنطلون فوقها ويجلس على حافة البانيو. يفتح الصنبور ويدع الماء البارد ينساب على قدميه. تسحب باربارا الكيلوت إلى أعلى وتخرج من الحمام، ثم تغلق باب غرفة النوم خلفها.

يفرد فرانك منشفة صغيرة أمام الحوض. يضغط على أنبوية معجون الأسنان الحمراء "إلماكس"، ويضع منها على كلتا الفرشتين. يملأ كوباً بالماء الدافئ ويضع فرشتها عليه، ثم يشرع فى تنظيف أسنانه. "بيوتى كوزميتك" يقرأ على العبوة المعلقة بجانب الحوض. "رقائق من القطن الخالص، ناعم ورقيق. يحافظ على نضارة بشرتك. من عدة طبقات، لا يترك نتفاً".

تخبط باربارا وتفتح الباب مباشرة. "هل تناوانى هذا؟"، قالت مشيرة إلى غطاء التواليت. يدع الفرشاة فى فمه ويعطيها الأشياء فرادى. "لقد تلف هذا أيضاً". وتلقى بالجورب تحت الحوض، ثم تسحب البلوزة فوقه.

"ماذا حدث؟" يقول وفمه ملىء بمعجون الأسنان. تلبس الجيبة. "ماذا تفعلين؟"

تفلق باريبارا السوستة. ينحنى فرانك تجاه الصنبور ويغسل فمه.
ينحرف جانباً حتى تتأمل وجهها فى المرآة.

"ماذا حدث الآن؟" يقول وهو يقف مستقيماً جانبها. "أنا أتحمل
الكثير، ولكننى لا أتفوق على نفسى ... اسألنى لماذا تزوجت".

فى الردهة الأمامية تدخل الحذاء فى قدميها وهى تستند إلى المائدة
الصغيرة، ثم تبحث فى شنطة يدها.

"من الأفضل أن ترتدى جاكته صوفية".

"أين مفتاحى؟"

"فى الباب".

"حتى لم يخطر على بالك أن تذهب يا فرانك؟"

"لا، لم يخطر".

يتبعها حتى الباب. تفتحه بالمفتاح. يجذبها من كتفيها قبل أن
تضغط على المقبض. يشدها من عضدها ويحيط بطنها بذراعيه
ويؤرجحها. الآن يقف فرانك أمام الباب. يقول: "بابس، ليس معى".

"طبعاً، فلن يصدقنى أحد. أليس كذلك؟ هل سيصدقنى أحد؟ رجل
كله طاقة مثلك! يتخذ يوماً إجراءات عنيفة. احترامى الشديد، احترامى
وتبجيلى! عدت من هندامها، ثم قالت: "دعنى يا فرانك. دعنى أذهب. أم
تريد أن تقف الليل كله هنا، هه؟" تخطو إلى الأمام. "هيا! لا تفكر كثيراً.
فقط سأحضر حذائى، وبعدين .. نته نام. أمامك غداً يوم شاق".

"لماذا تفعلين ذلك؟"

"هذا ما شرحته لك طوال الوقت" قالت وهي تغير من وضع وقفها لتضع ثقلها على الساق الأخرى. "إلى متى سنظل نلعب هنا، هه؟"

الجرس يرن. الجرس يرن مرتين قصيرتين، ومرة طويلة، ثم بعد فترة صمت - يتبادلان فيها النظر - يرن الجرس رنة قصيرة مرة أخرى. يعطيها إشارة أن تتراجع، ويهمس: "بابس، بابس". يزيحها من طريقه ويسير إلى الحمام. يطفىء النور ويذهب إلى النافذة. بدون صوت يفتحها ويتكى عليها. ينطفىء المصباح فوق باب المنزل. بعد لحظة ينادى: "مين؟" فى الدقيقة ذاتها يسمع باب الشقة. فى الضوء الآتى من مدخل الشقة يلحظ شكلاً فى المرآة، منتصباً، يرتدى فائلة داخلية، واليد على مقبض النافذة. يراقب الوجه منتظراً أن يتغير شىء. يشعر بتيار هواء عند القدمين.

"فرانكى" نادى عليه مغلقةً باب الشقة. "تعال! لقد سُرقت الحذاء. كان هنا، هنا على العتبة. هيا، ننه نام! بدون أن تخلع حذاءها سارت إلى غرفة النوم.

يلحظ أنه ما زال واقفاً منتصباً القامة ويده اليسرى على مقبض النافذة، ثم يرى كيف ينغلق الشباك ببطء.

الفصل الخامس عشر

خبطة كبيرة وضربة معلم

ديتر شويرت وبيتر برترام يتحدثان عن امرأتين.
صيد سمك الشبوط: رياضة جديدة. صعوبات مع
شيء اسمه النجاح وكيفية توثيقه. وخزات في
منطقة القلب. ضباب وشمس الصباح.

"خبطة كبيرة"! صاح برترام وهو يضم سمكة الشبوط الضخمة إلى
صدره. صعد التل الصغير على الشاطئ باحثاً في كل خطوة عن شيء
يستند إليه، ولم يقف إلا عندما فاجأه ضوء الكاميرا الخاطف. "عملاقة"،
صاح رافعاً السمكة، وبسرعة أحكم قبضته عليها.

"يا ربنا"! صاح شويرت. "شيء يمسك بالسنارة، هناك شيء!"
الزعانف الخلفية ترفرف يمينا ويساراً. "حاسب عليها، يا صياد الشبوط
العظيم"! الضوء الخاطف مرة أخرى. أصابع برترام تنغرز في لحم
الشبوط. يسير شويرت في اتجاهه، إلا أنه بعد عدة خطوات يشير عبر
كتفه إلى الخلف، ويصيح: "الميزان .."، ثم يعود أدراجه.

أمام الخيمة يجلس برترام القرفصاء على العشب. باليسرى كان
يمسك بالشبوط تحت زعانفها الأمامية، وباليمنى فى المنطقة التى تصل
البطن الأبيض بالذيل. راحت الزعانف السفلية تضرب أطراف حذاء
برترام المتسخ.

"حاسب!" قال شوبرت وقرفص.

ابتسم برترام. هذه المرة يا ديتير! قالها بانتصار مكوراً قبضته.
"٥٠، أراهن!" لمست ذقنه زعانف الظهر.

"اثبت!" قال شوبرت. "عظيبيم! عظيم جداً!"

برترام يزحف على ركبتيه إلى الأمام وهو يمسك بالسمة على
صدره، ثم يضعها بحذر على الميزان الذى كان فى الأساس ميزان
أشخاص. صاح: "٥١ وأربعة!"

"اسكت يا بنى آدم، ٥١ وخمسة!"

"يا ربنا"، يقول شوبرت.

من تحت الفم يمسك برترام السمة المتمايلة. "الميزان ببساطة
صغير جداً، صغير جداً على هذا الحوت! ٥١ وستة، ٥١ وستة من عشرة!"

"مدهش"، قال شوبرت وهو ينحنى أكثر حتى ملأت السمة وعقرب
الميزان الإطار فى عدسة آلة التصوير، ثم التقط صورة بالFLASH.

"السمة استطعمت الدود"، قال برترام وهو يفرد متر القياس.
"أطعم من الشيكولاتة. ٩٤، جاهز؟"

"ثانية واحدة"، قال شوپرت. انتظرا حتى تم شحن الفلاش. من زجاجة بيبسى كبيرة صب ماء على السمكة.

ثبت برترام المقياس المتري على زعنفة الظهر ثم فرده على البطن: "٤٨".

"تلمع كجناح حشرة"، قال شوپرت. أعاد الجهاز إلى الخيمة ورجع حاملاً معه أنبوبة.

"ضربة معلم"، همس متحسباً بطن السمكة. كرشها كبير، ولا قشور تقريباً. غريبة أن السمكة ما زالت بها الروح. يحذر تحسس فم السمكة ثم وضع مرهم التئام الجروح على الموضع الذي شبك فيه الشخص. دندن شوپرت: "امشى عنه، روح للدبة نتوه". ثم أضاف ماسحاً يديه في العشب: "لا بد أن نلتقط صورة أخرى، إنها تستحق ذلك".

أفرغ برترام زجاجة البيبسى على الخياشيم. "تسمح لي؟" رفع الشبوط وهبط المنحدر. عند القناة رجع خطوات إلى الوراء، ثم خاض في الماء وأطلق سراح الشبوط.

"هويه، خبطة كبيرة!" صاح شوپرت من أعلى مُقلداً نافخى الآلات النحاسية من فرقة "يلو سابمارين". "هل ما زلت تراها؟"

برترام، واضعاً يديه في وسطه، أرسل النظر إلى الضباب وسطح الماء البنى الأملس، ثم فحص السنارتين الأخيرين. موازياً له مشى شوپرت على المنحدر، ثم قام بتمرينات ثنى الركبة، وصنع بذراعيه دوائر في الهواء، ثم شرع في الجرى ببطء حتى وصل إلى عمود الكهرباء التالي فرجع.

“هه، أيها الصياد العظيم”، قال لاهتئاً، “كيف يشعر المرء فى مثل حالتك؟ ولعت شفته السفلى.

سار برترام إلى الخيمة وشرب من زمزمية ماء، ثم مدها إلى شوبرت الذى هز رأسه نافياً، وراح يثنى جذعه على شكل دوائر.

“الدور عليك المرة القادمة”، قال برترام وخلع ثيابه. “عندئذٍ تستطيع أن توفر لعب العيال هذا. يظهر إن كل صواميل دماغك مفكوكة يا ديتر! حذاء رياضى جديد وتريننج سوت! بشبشب الحمام والكسون تهادى إلى حبل الغسيل المشدود بين الخيمة وعمود الكهرباء، ثم ألقى فوقه بالقميص والجوارب والبنتلون الكاكي. وضع الحذاء المبلول عند المدخل، ثم أخذ يبحث عن الشنطة التى يحملها على الظهر.

راح شوبرت يهز ساقيه وذراعيه. “ويقولون: لمدة ثلاثة أيام ينبغي على المرء أن يغرى الشبوط بالطعم. كلام فارغ. فى اليوم الثانى يأكل الطعم بكل سذاجة.”

يرتدى برترام بلوفرأ فوق ملابسه محاولاً التوازن على قدم واحدة وفى يديه جوارب نظيفة.

“هه، أيها الصياد العظيم! كم الساعة الآن؟” يسأله شوبرت، ثم يبدأ تمرينات التنفس.

يخطو برترام بقدم حافية على العشب، ويمسح الأصابع فى القدم الأخرى ثم يرتدى جورباً. دخل الخيمة وصاح من الداخل: “كان عليك أن تسافر إلى صاحبك مانكا، وليس إلى هنا!”

"ماذا جرى؟ أنا فى أحسن حال"، قال شوبرت مزيحاً الغطاء عن مدخل الخيمة. "هل تشعر بالجوع يا بيتر؟"

"كنت أظن أنك اشتريت علبة كاملة"، قال برترام. "كنت تريد أن تشتري علبة أفلام".

"وهو ما فعلت". يزحف شوبرت تجاه الحصيرة التى ينام عليها.
"حوالى ساعة كاملة. حوالى ساعة كاملة وأنا أصارع السمكة بدون صورة واحدة، لأن سعادتك كنت نائماً".

"كان عليك أن تقول شيئاً". شوبرت يرتب الكيس الذى ينام داخله.
"فأنا لست مراسلاً رياضياً".

"أنت تهتم فقط بال... لكن هذا لم يعد يهيك. لم يعد يهيك ولا حتى بهذا القدر". بين الإبهام والسبابة لم تزد المسافة عن سنتيمتر واحد.
"غير صحيح"، قال شوبرت.

"ولا كلمة. أنت لم يعد فى دماغك سوى هذه المرأة، والحصول على شهادة تثبت أنك كنت ملاحقاً سياسياً. هذه هى الحقيقة".

"إذا لم تكن لدى رغبة، ما كنت سأجىء إلى هنا، لكن شكك وأنت بتبخلق...". وقهقه شوبرت. "لما انطلقت صفارة السنارة بعد أن شبكت السمكة". شد سوستة كيس النوم لأعلى. "لقد صرخت: إنذاراً...
صرخت بصوت عالٍ جداً!"

"كما كان يحدث على الحدود مع ألمانيا الغربية"، قال برترام.

"هل كانت الصقارة تتطلق هناك أيضاً؟"

سحب برترام نفساً من أنفه، وشبك ذراعيه تحت رأسه، "هناك كان عندنا حيوانات على كل لون: أرانب وثعالب وأيائل ووعول وخنازير برية وغُرير - على كل لون".

"وأنا كان نصيبي هذا"، قال شوبرت ونقر بطرف إصبعه على عينه الزجاجية.

"ما يدهشني أن الحيوانات لم تفهم. لقد كانت ترى ما يحدث لغيرها، وكيف كانوا يتمزقون. مع أن حدس الحيوانات قوى. إنها تشعر حتى بالزلازل قبل أن تقع".

"هل استغنوا عنك لذلك؟"

"ماذا؟"

"رتبتك كانت كبيرة، أليس كذلك؟"

"في كل مرة يستدعونني، كنت أحصل على نجمة أخرى، ولكن ماذا يعنى ذلك؟ الآخرون كانوا فى الفرقة القتالية".

"لماذا؟"

"كنت أعتقد أننا جننا هنا لنصطاد يا زيوس".

ضحك شوبرت ونقر مرة أخرى على العين الزجاجية. "آخر واحد قال لى يا زيوس ندم عليها فيما بعد". ضرب بيده سقف الخيمة. تساقطت قطرات من الماء، وأضاف: "ندماً عظيماً".

"أنت تتصرف كالأطفال"، وأمسك برترام بيد شوبرت.

"نعم" أجابه شوبرت، "عجوز وطفل".

"وعاطفى".

"وكل ما تريد. على كل حال ليس لك ذكر فى ملفاتى. عليك أن تشعر بالفرح أكثر، على الأقل عند الصيد".

ترك برترام يد شوبرت. "المومس"، تابع كلامه، "التي تمص دمك. هي تسعدك، أليس كذلك؟"

"هي ..".

"موم .. عاهرة صغيرة، أصغر من بنتك كوني".

خبط شوبرت مرة أخرى على السقف.

"زيوس"، قال واستدار إليه. راح يشد كيس النوم حتى غطى ظهره، ثم واصل قائلاً: "ألا تستغرب ماريانا أنك تسافر كثيراً إلى برلين؟"

"لم يكن هناك شيء"، قال شوبرت بعد وصول موجة إلى الشاطئ، ثم أخذ يدندن بعض النغمات لفريق "يلو سايمارين". من الشاطئ الآخر تنهات إلى سمعهم أبواق سيارات. "هيا يا بيتر"، أضاف. "إننا نعرف بعضنا تماماً". وبيده أعاد شعره إلى الوراء. "ربما لم يكن كل هذا سيئاً بالنسبة لنا".

قهقه برترام عالياً. "بالتأكيد برج من عقلك طار!"

فقال شوبرت: "أنت تتكلم كأنك رجل عجوز. بدلاً من أن تبحث لك عن واحدة، فإنك تتمخض وتلد تخاريف لا يريد أحد أن ينشرها".

"إيه؟ فجأة أصبح ما أكتبه تخاريف قذرة؟"

"أريد أن أقول من الأفضل أن تبحث لك عن امرأة".

"أصبح فجأة تخاريف قذرة؟"

"يا بني آدم .. خليك هادى .."

"أنا أسألك إذا كان ما أكتبه قد تحول فجأة إلى تخاريف قذرة. أتذكر أشياء أخرى تماماً، حماساً حقيقياً، أم أنا مخطئ؟"

"لابد أن تعترف بأن هذا .."

"إيه؟"

"ليس طبيعياً تماماً".

"ليس طبيعياً؟ ارتكز برترام في رقده على مرفقيه. ولماذا كنت تريد أن تشتري التخاريف القذرة التي أكتبها؟ لماذا صورتها؟ لماذا قلت إنه انتصب عند القراءة؟ لم يعد يؤثر فيك ما أكتب؟"

"كلام فارغ!" قال شوبرت.

"ربما يكون زيوس هو الذى لم يعد طبيعياً تماماً؟ لماذا تدفع لعاهرتك إذا كانت لا تطلب أبداً؟"

"إنها تستحق"، قال شوبرت.

"هل تريد أن أقول لك لماذا تستحق؟ لماذا تدفع لها؟"

أريد علاقة واضحة. هذا هو كل شيء. هي هناك، وأنا هنا، ثم نتقابل. هي تحصل على نقودها، ثم ننفصل."

أود لو أحصل على خيالك"، قال برترام. "أولاً: تريد الصغيرة كسب بعض المال. ثانياً: أنت تطلب منها أشياء، أشياء يسيل لها اللعاب. أقول هذا من واقع معرفتي بك، أم أنا مخطئ يا زيوس؟"

الرياح تعصف بسقف الخيمة. برترام يرفع رأسه ثانية.

"سيان ما تفكر فيه يا بيتر"، يقول شوبرت.

"أى شيء آخر يمكن أن أعتقده بالنسبة لشخص يقرأ تخاريف
قدرة؟"

قال ساخطاً: "يا سلام عليك يا بيتر!"

فى اللحظة التالية ارتفع جذعهما معاً.

"هيا! صرخ برترام. انطلقت الصفارة من السنارة.

بعدها بقليل تتبع شوبرت السمكة سائراً مع التيار تجاه مفاعل الطاقة.

"اترك لها الخيط، إنها تبتعد! هه، هه، هيبه!" هتف برترام مصفقاً.

سمع خشخشة الخيط وهو ينساب من البكرة. فيما عدا الأزيز المنبعث

من خطوط الكهرباء وهدير عدة سيارات على الضفة الأخرى كان الهدوء

يعم المكان. عندما استدار كان شوبرت يجرى باتجاهه.

"سأجرى إلى المفاعل يا ديتر"، صاح برترام، "أريد أن أرى نوامة،
نوامة كبيرة! حاجة تملأ العين!"

فى اللحظة ذاتها تحركت البوصة وكأن الحياة عادت إليها. مد
شوبرت كلا ذراعيه إلى الأمام، فانساب الخيط إلى نهايته.

"بنت الناصحة!"

أحضر برترام الشبكة الصغيرة ذات اليد الخشبية. قرفص شوبرت
على الشاطئ بذراعيه ممدودين، بينما وصلت أطراف البوصة إلى الماء.
راح يجذب الخيط مديراً البكرة.

"غير معقول! هل السمكة بهذه الخفة؟ أم أنها تخلصت من
الشمس؟" نهض شوبرت من وضع القرفصاء، وترك الخيط يسحبه عكس
التيار. لم يعد الطقس بارداً. شيئاً فشيئاً تراعت الضفة الأخرى وحواجز
الطريق وكشافات السيارات.

فجأة صار الخيط مشدوداً. طرف السنارة منغمس فى الماء .
ضم شوبرت شفتيه، ونفرت العروق من جبهته وسوالفه، ومن تحت
ذقنه أيضاً.

"عظيم! صاح برترام. "هذا هو الكلام، لابد من الصراع!"

تنفس شوبرت بصعوبة، وتقوس عوده من الإجهاد.

"هذا هو أجمل شىء، أن تشعر بها، شد حيلك يا ديتر! ماذا
ستطلق عليها؟"

"بيج بن"، قال شوپرت وهو يصر بأسنانه محاولاً أن يبتعد في خطوات صغيرة عن الشاطئ. أخذ الشبوط يتأرجح يميناً ويساراً، ولكن شوپرت نجح في احتواء مقاومته العنيفة.

"لدينا بيج بن بالفعل، سمها ضربة معلم"، هتف برترام نون أن يرفع عينيه عن الماء. "ضربة معلم تسمية حلوة، أليس كذلك؟ هي إذن ضربة معلم".

ظهر الشبوط على السطح. "هيه"، صاح شوپرت. "يا سلام عليك يا ديتر"؛ صرخ برترام متحمساً. "على وشك الهبوط، اجهز"!

بدا الأمر وكأن السمكة تخلت عن مقاومتها. موجات صغيرة تدافعت إلى الشاطئ.

سحب شوپرت سمكة الشبوط. حاول بساعده أن يزيح خصلة من شعره عن جبينه اللزج، إلا أن أنفه اصطدمت بالسمكة. قال: "بيج"؛ ثم لمع ضوء الفلاش.

"ماذا بك؟ لماذا قلبت وجهك هكذا؟" تساءل برترام.

لم يُجب شوپرت. الشبوط يرتطم بالميزان. "٥١ وخمسة من عشرة، وستة من عشرة"، قال شوپرت ثم انحرف جانباً حتى يخلى مكاناً لبرترام. راح يراقبه وهو ينحني على الميزان لقراءة المؤشر، ثم وهو يرفع السمكة قليلاً لينظر أسفلها قبل أن يعيدها.

"٥١ وخمسة من عشرة"، قال برترام. "غير معقول. ٥١ وستة من عشرة". وقفا جنباً إلى جنب ناظرين إلى الشبوط. تقدم برترام خطوة إلى الأمام: "الرجل ليس عبيطاً. غير معقول. ضربة معلم!"
"أشعر بالغبثان" قال شوبرت. "الرائحة عفنة".

"كلام فارغ"، رد عليه برترام. "هيا تغلب على قرفك". يفرد المقياس المتري على السمكة. ٩٤. ألا تستطيع على الأقل التقاط صورة؟ ٤٨.
ماذا حدث لك؟ تناول برترام مرهم الجروح. "نسينا الماء". يشير إلى الخياشيم، ثم مر بأصابعه داخل فم الشبوط.
راح شوبرت يدك قلبه، ممسكاً آلة التصوير بيده اليسرى.

"لن يصدقك أحد يا ديتر، فعلاً. من ير الصورة سيعتقد أنك استلقت السمكة من أحد، استلقتها مني".

"أو العكس".

"كيف؟"

"الكاميرا لا تظهر تاريخ التقاط كل صورة". انقلب وجه شوبرت وحوله بعيداً، ثم فح متألماً: "آه على حظي النحس".
"تقصد...".

انهار شوبرت قاعداً.

"ماذا، ماذا حدث يا ديتر؟ هل تشعر بالغبثان؟"

؟

تمدد شوبرت على العشب. "لابد أن أتمدّد"، قال ثم رقد على ظهره.
"الوخز مؤلم".

"ماذا؟ سحب برترام الشبوط إلى الجانب. "ماذا حدث؟"

"سينقضى الأمر بعد لحظات"، قال شوبرت. عض على شفته السفلى، ثم راحت يده تذاك جسده تحت القميص. "أبعدها من هنا، من فضلك يا بيتر. رائحتها عفنة".

نزل برترام المنحدر وفي يده السمكة. تعثر عدة مرات، ولكنه كان يستقيم.

عندما وصل الماء حتى ركبتيه ترك الشبوط يسقط. هبط أمامه حتى وصل إلى القاع. خبطه برترام بأصابع قدميه، وانحنى، لكنه لم يلبث أن نهض.
"ديتر"، صرخ برترام. لم ير سوى الخيمة وحبل الغسيل المشدود وعليه جواربه المبلولة. "زيوس"!

عكس التيار سطعت أشعة الشمس بعد أن اخترقت الضباب. الآن يستطيع المرء أن يفرق بين ألوان السيارات على الضفة الأخرى.

"يا متسلق الجبال، أنت!" صاح برترام. "يا متسلق الجبال!" وفجأة انحنى دافعاً الشبوط أمامه كأنه قارب صغير. شعر بالماء يعتصر خصره، وبالطمي والأحجار تحت أقدامه. صرخ عالياً.

انجرفت السمكة مع التيار. سار برترام راجعاً في اتجاه الشاطئ وذرعااه مفرودان. عندما كان يقطع الأمتار الأخيرة قبل الشاطئ

استدار مرة أخرى. اعتقد أنه لمح ثانية بطن الشبوط الأبيض في
الانعكاسات الضوئية لشمس الصباح.

جفف برترام يديه في البلوفر، وجرجر قدميه بين الحصى
والزلط حتى وصل إلى السنارة. خشخشة خفيفة تصدر عن شبشبه،
ثم صعد التل.

ركع طويلاً بجانب شوپرت على العشب، ثم نجح أخيراً أن يوسد
رأس صديقه على حجره، وأن يغلق عينيه وفمه. ما زالت آثار أسنانه
العلوية واضحة على شفته السفلى.

"إيه يا زيوس!، قال برترام، ويأحدي يديه راح يتحسس جبينه
وخته، وباليدي الأخرى العين الزجاجية.

الفصل السادس عشر

علب

جينى، المتدربة على التمريض، تتقابل مع المريضة ماريانا شوبرت بالقرب من مستشفى فيرشوف فى برلين. يتبادلان الحديث حول رجل ميت. مايك، الجرسون الشاب، يقوم بخدمتهما. سيجارة جينى تحترق فى المنفضة. قيم زائلة وأخرى خالدة.

"لماذا تحكين لى هذا؟"

"اعتقدت أنك تريدان أن تعرفى .."

"لا أصدقك."

"هذا شأنك أنت"، قالت جينى.

كانتا تجلسان متجاورتين على البار. الجرسون الشاب كان قد انتهى من صنع القهوة ومن إعداد كأس جين تونيك لجينى. بعد ذلك جمع الكراسى من الموائد. عبر ستارة اختفى فى الداخل، ولم يظهر

إلا بين الحين والآخر حتى يفرغ المنفضة. شعره كثيف أشقر يميل إلى الاحمرار. بدا شاحباً ومنكسراً، أو ربما منهكاً فحسب. لا يكاد ضوء النهار يتسلل من النافذة بسبب السقالات أمام المنزل التي يتدلى من أمامها غطاء طويل من المشمع. كانت الساعة حوالى التاسعة صباحاً.

قالت جينى: "من المفروض أنك تعلمين".

"ماذا؟"

"أن ما أقوله صحيح".

"لا".

"قال إن بينك ..".

"أسمعى ..".

"لم يكن بيننا شيء"، قالت جينى وهى تدهس السيجارة التى دخنت نصفها. "ولهذا حكيت لك ذلك، حتى لا تفكرى فى الأمر، وتعتقدى أنك السد..".

"لم أعد - أريد كل ذلك. لم أتحدث عنه أبداً، ولا مع بنى آدم واحد. لأنه لا يهم أحداً. تحشرين أنفك فيما لا يعينك".

تناولت جينى رشفة، وقالت: "متأسفة". بقيت فى الكأس قطع ثلج. "اعتقدت ..".

"إنك تجمعين تخاريف وتحاولين تكوين حكاية ..".

"لماذا اتصلت بى إذن؟ كان بإمكانك أن ترمى الجواب فى الصندوق وينتهى الأمر".

لبرهة أغلقت المرأة عينيها، ثم أرسلت النظر عبر الكتفين إلى الفراغ.

"أعطتني الشرطة أشياء، هذا واحد". ورفعت إبهامها الأيمن. "اثنان: لقد وجدت الخطاب فى حقيبة سفره، لم يكن عليه طابع. لا أعرف واحدة اسمها جينى ريتز فى برلين. العنوان كان غريباً على. تناولت دليل التليفون واتصلت بك".

"أردت أن تعرفى من هى جينى ريتز".

"لا". وألقت المرأة نظرة على أظفار يديها. "لم أرد أن يرسل متوفى جواباً".

"ولكن فيما بعد ..".

"عن هذه الأشياء لا يتحدث المرء فى التليفون. كان عليك أن تعلمى هذا كمرضة. أردت أن أخبرك بما حدث لزوجى".

"ألم تتعرفى على صوتى؟"

"وحتى! من يخطر على باله شىء كهذا؟ كما أنتى لم أكن أعرف اسمك بالكامل".

"ألم تشعرى بالفضول وأردت أن تعرفى ما بداخله؟ سحبت جينى المظروف الرمادى من جيب الجاكيته ووضعتة بين فنجانى القهوة.

"مكانك كنت سأشعر بالفضول. أنا أريد دائماً أن أعرف الحقيقة". تشعل
لنفسها سيجارة وتنفخ في عود الثقاب مطفئة إياه.

"لم أعد أريد ذلك"، قالت المرأة وأرسلت البصر جانباً عندما ظهر
الجرسون.

"واحد تانى"، قالت جيني ورفعت كأسها الفارغ.

"وحضرتك؟ قهوة؟"

"لا، شكراً. أو ماء، من غير شىء، ماء من الحنفية، ممكن؟"

"طبعاً"، قال الجرسون. ولبرهة أشرق وجهه. صممتا حتى وضع
الجين تونيك لجيني، ثم ذهب إلى الخلف بكوب فارغ.

"ماذا تعرفين عنى؟" سألت المرأة بصوت منخفض.

"اسمك الأول ... ماريانا".

"هل أعجبك ذلك، رجل بعين زجاجية؟ أتخيل أنك ... لو أردت".

"لم يكن ديتر سيلفت نظرى - وبعدين؟"

"ولا شىء. لم يكن ليلفت نظرك ...".

كان سيكسر ساقه عندما اصطدم بثلاثة كراس في طريقه إلى
الشباك، بدلاً من أن يزيح الكرسي من طريقه، لكنه سرعان ما نهض ..
بسبب المعطف .. كوره على حجره، وعندما جاءت قائمة الطعام لم يعرف
أين يضعه. كان دائماً قلقاً في مكانه - يأتى بكم هائل من حركات

لا لزوم لها، أتفهمين؟ هذا غير حديثه بصوت خافت حتى أن النادلة كانت لابد أن تسأله ماذا يعنى. كان يجلس بحذر، محملاً في طبقه حتى لا تتقابل نظراتنا، وعندما انتهى دفع على الفور ثم انصرف.

"تفضلى"، قال الجرسون. "ليست مثلجة، فقط باردة". كان يتحدث بلكنة أهل سوابيا^(١).

"شكراً"، أجابته المرأة.

"شئ آخر؟"

"شكراً جزيلاً". راحت تبحث في شنطة يدها. تردد الجرسون وظل واقفاً، ثم بدّل المناقض وانصرف.

أمسكت جينى بكوعها. "الأربعاء التالى تقابلنا مرة أخرى. ظننت أنه يتردد كثيراً على هذا المكان، وهو ظن أنتى أجلس دائماً هناك. عزمنى على الأكل. حدث كل شئ بالصدفة".

أدارت جينى معصمها الأيسر حتى اصطدمت ساعتها بكأس الجين. "إذا أمسكتُ بسيجارة، كانت ولاعته تشتعل. إذا واصلت الحديث انطفأت، وانتظر الفرصة التالية. كان يساعدى على ارتداء الجاكيتة، ويبقى الباب مفتوحاً. عندما لاحظت مقصده قلت له إننى نشأت فى برلين الشرقية، فى فريدريشسهالين".

(١) سوابيا: منطقة تقع فى ولاية يادن - فورتمبيرج بجنوب ألمانيا (الفريية سابقاً) (المترجم).

"أى مقصد؟"

"كان يعتقد أننا هنا جميعاً من الغرب لأننا نجلس في الغرب، لهذا ذكرت ذلك. إما أنه لم يعرف أين يقع حتى فريدريشسهاين، أو

"لم يكن يحب برلين. لم نزر برلين أبداً، ولا حتى قصر سانسوسي". كان يفضل دريسدن، والأبنية ذات طراز الباروك الإيطالي، وهناك كانت الجبال أيضاً، جبال الألب الحجرية الرملية. بالتأكيد حكى لك أنه يتسلق الجبال". قربت الكوب إليها وأخذت قرص أسبرين من العبوة وتركته يسقط في الماء.

"لم أجند الموضوع أهمية" قالت جيني وهي تهرش في كلا ساعديها في الوقت نفسه. "شربنا كأساً معاً، وفجأة عرض عليّ ثلاثمائة. لا يريد مني أكثر من أن يرقد ويستيقظ بجانبى".

كلتا المرأتين ترمقان قرص الأسبرين الذي كان يتحرك في قاع الكوب وكأنه سمكة صغيرة.

"كان يعرف أنني سأصبح ممرضة".

"كنا نطلق عليهن فيما مضى "ملائكة الفنيك". كل العاملين في المستشفيات كانت تفوح منهم رائحة الفنيك".

"قلت له: سأصبح ممرضة، إلا أنه ابتسم، وكأنه لا يصدق".

"يبدو بالفعل أنه لم يصدق. ألم تشغري بالإهانة؟ لماذا لم ترفضى؟"

"نعم"، أجابت جيني. "كان على أن أفعل". راحت تتأمل الستارة، ثم نظرت إلى الرف الموضوع عليه زجاجات العرق وإلى الجدار ذي المرايا،

ثم رجعت بعينيها إلى الكوب حيث كان القرص يفور ويكاد يستقر في وضع رأسى.

"هل أعجبك؟"

"عندما لاحظ أنني أفكر في الأمر عرض على خمسمائة. لم أشعر بالخوف."

"ولكن في المرة الأخيرة ..."

"لم يكن للأمر علاقة بالخوف". تحسست يد جيني كأس الجين تونيك.

"لا تريدان التحدث عن ذلك؟"

"لقد فعلت، لكنك لا تصدقيني."

"كل ما قلته إنه كان غنيفاً."

"بلت جيني شفيتها من الكأس: "شاذاً، وليس غنيفاً".

"نعم؟"

"شاذ".

"ماذا فع .. ماذا حدث؟"

كالمسحوق الفوار، قالت جيني مشيرة بذقنها تجاه القرص. الشيء الوحيد الذى كنت أريده بعد ذلك - كنت أريد أن أرى وجهه. عندما يذهب لزيارتك، عندما نتقابل في المحطة، أو عندما أفتح باب

حجرتك ويكون هو جالساً على فراشك، عندما أسأل إذا كنت تأكلين في
العشاء سجعاً أم جبنة. أردت أن أرى وجهه.

أردت ابتزازه؟

تخيلت ما كان يدور في رأسه.

ويعدين؟

الرعب.

كنت تتمنين ...

أن يصيبه الرعب، نعم.

أومات المرأة، ثم هزت رأسها. ملاك الفتيك كـ ... هـ .

أست هكذا، وأنت تعلمين ذلك أيضاً.

حدث هذا بالصدفة. كان يريد ذلك. لماذا لا تصدقيني؟

حسب كلامك اجتمعنا خمس مرات. يعنى قبضت خمس مرات.

لا، قالت جيني. آخر مرة لا.

لقد أخذت نقوداً منه.

لا علاقة لهذا بذاك. ليس من الضروري أن تهينيني.

عام القرص على السطح. تفتتت بعض القطع والتصقت بالحافة.

من الكوب تتأثر الرذاذ على المظروف.

نعم، والآن قد هرب منك. فطس أثناء صيد السمك. عندما وجدوه،
كان قد فات الآوان".

أعرف، قالت جيني. أخبرونا فى القسم. كان يحكى كثيراً عن
صيد السمك. كان لا يتوقف عن الحكى. كان يستطيع الحكى".

كان مدرساً".

كان يريد أن يشرح لى الشرق كله".

كان يشعر بالمرارة".

أعرف، بسبب العين، لأنهم لم يركبوا له العين بطريقة مضبوطة".

ماذا؟

طبعاً. كان يكره ألمانيا الشرقية لأنهم لم يستطيعوا هناك أن
يركبوا العين بطريقة مضبوطة، على الأقل عينه هو".

بسبب العين؟

وأيضاً بسبب اسم الشهرة".

كان ذلك بعد الحرب. عثروا على نخيرة ... لهذا لم ...".

أعرف حكاياته، كلها، من المدرسة المسائية حتى مجموعة الرسم
والدراسة، ثم كيف طردوه".

من غير سبب، من غير سبب على الإطلاق!

وأنه كان مزعماً على العجل في مناجم الفحم، كي يثبت حسن سيره وسلوكه، ولماذا لا يريدونه كمعلم، أو على الأقل في الوقت الحالي، وكيف يضطهدون ابنتك، وأن "كوني" هي الأولى التي أدركت ما ستؤول إليه الأمور، وحكاية العلب، وكل هذه الأشياء".

"ماذا، وما هي حكاية العلب هذه؟ وظلت المرأة ممسكة بالكوب وفيه القرص الذائب.

"هكذا أطلق على الأمر، بسبب مجموعة العلب الصفيح ... عندما كان ديتر يبني بيت هنا، في شقة ابن أخيك، شارع ليزلوتة هيرمان، كان يعرض مجموعة العلب التي يملكها. أخي كان كذلك بالضبط. كان يستبدل كل شيء من أجل العلب، حتى الفلوس".

"علب بيعة فارغة؟"

نعم، بالطبع. ألم يتحدثاً أبداً عن ذلك؟ كان يعبث بمحتويات المزبالة في ميشنورف، لذلك لا يستطيع الآن أن يقلع عن هذه العادة. ليس هناك علبة من غير حكاية. الآن أصبح كل شيء خردة لا قيمة لها. الآن يمكن الحصول عليها من كل كشك. هذا ما قاله بلسانه، لكنه - كما يبدو - لم يكن مقتنعاً أبداً بذلك.

"تحدثين عن زوجي؟"

"ربما ينطبق هذا الكلام عليه أيضاً"

"تحدثتما عن هذه المواضع؟"

طوال الليل. ذات مرة قال: انظري، أليس هذا رائعاً؟ كان الفجر قد طلع. لم نتم دقيقة واحدة، تناول يدي وراح يقبلها بحذر، قبلة هنا، وقبلة هناك، حتى أطراف الأصابع. فجأة وجدت نفسي أتسأب. شعرت بقمي يتسع ويتسع، ولم أقدر على فعل شيء لإيقافه. أثناء ذلك راح ينظر داخل فمي. طوال الوقت. لم أستطع أن أضع يدي أمام فمي، فقد كان يمسك بها. اعتذرت، لكنه قال: يمكنك أن تكرري ذلك كلما شئت، ثم واصل تقبيل يدي. كان كل شيء في، يعجبه".

لماذا تحكين لي ذلك؟

"حتى تصدقيني. حتى تتأكدى من أنني لم أكن أحسب حساب كل شيء. ربما كان على أن أؤمن العواقب، عندما يحكى شخص ويحكى، ولا شيء غير هذا. لا يمكن أن تكون النهاية جيدة".

"أحياناً كانت أبراج دماغه كلها تطير"، قالت المرأة.

ضحكت بييني، تناولت كأسها ثم وضعته مرة أخرى.

ولكن ... لماذا تضحكين إذن؟

كيف؟

هزت جيني رأسها.

"إذا كان قد حكى لك كل هذا - ماذا تريدين أكثر؟"

"أنت لا تفهميننى. وضعت جيتى يدها على ساعدها".

فى مترو الأنفاق جلست أمامنا تركية، ٢٠ سنة ربما، ومعها خمسة أو ستة أكياس تسوق. كفاها ضخمتان، كأنهما جاروفان. من خلالهما استشف ديتير قدرَ امرأةٍ مُسخرة للعمل، ولم يستطع أن يهدأ أبداً. هذا بالضبط هو ديتير.

ركبتما معاً مترو الأنفاق؟

نعم، لماذا؟

فى الكوب لم يتبق من القمص سوى حلقة بيضاء على الحافة. انتبهى! قالت المرأة. هنا! ستسقط حالاً.

أبعثت جينى السيجارة من حافة المنفضة ثم دهستها.

هل ما زال يؤلك؟ وأشارت جينى بالإبهام ناحية الثدى.

لا بد أن أتواجد هناك فى العاشرة، أشعة. لا بد أن أنصرف.

نعم، قالت جينى وأمأت. ليس من الضرورى أن نودع بعضنا. واتكأت جانباً.

أثنى دائماً مؤخرة الحذاء. تصيدت أصابعها الحذاء، فلامس رأسها كتف المرأة. حتى عندما ضفطت وجنته جينى على خصرها، بقيت مستقيمة فى جلستها ولم تحرك ساكناً.

إنه حذاء جيد، قالت جينى عندما ظهرت ثانية. ولكننى أدوسه من الوراى دائماً، كسل فظيع. هل ستمشين؟

إنهما خطوتان فحسب.

أومأت جيني. "هل تشعرين بالتحسن - بعد الأسبرين؟"

"يا إلهي! قالت المرأة وهي تنزل من على كرسي البار العالي الخالي من المساند. "هذه الكراسي ليست لي! وجدت نفسها تستند رغماً عنها على فخذ جيني. "عندك زر فوق أوشك على الوقوع."

"شكراً"، قالت جيني عندما وقفنا متواجهتين.

"عليك ألا تلخني كثيراً هكذا"، قالت المرأة. "والأفضل ألا تلخني إطلاقاً."

أومأت جيني مرة أخرى وتتبعها ببصرها حتى انغلق الباب.

"ها - وبعدين؟" سأل الجرسون الذي وقف هناك فجأة.

"هل ارتحت الآن؟" راح يمسح طاولة البار. رفع المنفضة ثم وضعها في الموضع نفسه. ظلت جيني جالسة في مكانها.

"لا أفهم معنى هذا كله! ماذا استفدت من ذلك؟"

أحنى جذعه وخفض رأسه حتى يتطلع إلى وجهها.

"جيني! أنا أتحدث معك. لم تصدق المرأة كلمة مما قلتها. ماذا يعني كل هذا الكلام الفارغ؟" أخذ يتفرج عليها وهي تنقر على العلبة مخرجةً سيجارة، فأسرع إليها بالولاعة.

"أنت ظننت أنني سأحكي كل شيء"، قالت جيني وهي تنفخ الدخان جانباً. "لم تترك مكانك وراء الستارة لأنك لم ترد أن يفوتك شيء."

"تخاريف"، قال الجرسون. "هل دعوتها على الأقل؟"

"أتعرف ماذا يسمون ذلك يا مايكى؟ أنا أسميه تلصيصاً". وضعت جيني السيجارة على حافة المنفضة، ثم فتحت المظروف الرمادى وألقت نظرة داخله.

"هذه الوظيفة لا تناسبك"، قال الجرسون. "لقد قلت لك ذلك على الفور. لا تناسبك".

أجابت عليه: "ليست وظيفتى".

"أنت فعلاً تخرفين"، قال دون أن ينظر إليها. تورد وجهه ولعت جبهته وطرف أنفه. "إما أن تتحملى، أو تتخلى عن الأمر. عندئذ لن تكون وظيفتك، فهمت؟ ولماذا تجلسين هنا، على البار، إذا كنت تريدين ألا أسمع شيئاً؟" وضع كأساً أخرى من الجين تونيك أمامها. "كانت المرأة تفضل أن تجلس تحت، على أى مائدة عادية، فى حالتها هذه".

شرعت جيني تحصى الأوراق النقدية بكلتا يديها. "أتريد أن تعرف ماذا كان يفعل؟"

قلب الجرسون المظروف الفارغ على طاولة البار. "هل هذا خطه؟"

"محتمل. محتمل يكون هذا خطه". تتأعبت جيني وأحصت الأوراق النقدية للمرة الثانية. "لا تريد أن تعرف إنن يا مايكى؟"

"كريم جداً"، قال الجرسون. "خمسمائة؟ كان يمكنك أن تنتظري حتى يدفنوه، على الأقل حتى ذلك الحين".

دست النقود فى شنتطتها. "أحتاج إلى حذاء جديد"، قالت وتناجبت
مرة أخرى.

"يا ربنا! غير معقول ما تقولينه يا جينى"، صاح الجرسون.

"أنا أشتري لك عشرين حذاء، ما شئت من أحذية!"

مسح يديه فى المنشفة. "أنتِ تعبانة؟"

"لا"، أجابت. "ولكن هذه العتمة هنا."

"فنجان قهوة آخر؟"

"لا"، قالت جينى وظلت تنقر بطرف إصبعها على السيجارة حتى

لم يعد الفلتر على حافة المنفضة.

"أنا على ما يرام. أشعر فعلاً بأتنى فى حالة طيبة". بحذر قربت

الكأس المملوءة إلى فمها وشرعت تحتسى، بينما كان الجرسون يتطلع

إليها واضعاً يديه فى وسطه.

الفصل السابع عشر

ديون

كريستيان باير يحكى عن إجازة قضاها في
نيويورك مع هَنَّى، صديقتة الجديدة. زيارة مفاجئة.
رجال ومال ومياه.

بعد خمسة أيام في المدينة لم نكن شاهدنا إلا تمثال الحرية ومركز
التجارة العالمى ومتحف التاريخ الطبيعى. درجة الحرارة بلغت في
الحادية عشرة - وفق ما شاهدناه على شاشة التليفزيون - ١٠١ درجة
فهرنهايت. حسب معادلات التحويل المكتوبة في الدليل السياحى "بيديكر"
فإن هذا يساوى ٣٨.٣٣ درجة مئوية. كل شىء حار ورطب، حتى قاعدة
الحمام. الكتب تتموج صفحاتها.

جهاز التكييف معطل. الجهاز مثبت على النافذة اليسرى، فوق
الفراش الكبير بالضبط. يبدو كأنه ظهر جهاز تليفزيون قديم. بسببه
حصلنا على تخفيض قدره ٢٥٪ على هذه الشقة المملوكة لأبرتو،
المهندس الإسباني. الجدار الأيسر مكسو بالمرايا حتى السقف، لهذا

نستطيع دائماً أن نراقب أنفسنا ونحن نسير في طريقنا إلى الحمام أو إلى باب الشقة الذى نصل إليه بالدوران حول المائدة الكبيرة ويتجاوز ركن المطبخ.

ترقد هنى على بطنها مُدبرةً رأسها. بيدها اليسرى تثبت شعرها على قفاها. أردافها بيضاء، وكذلك شريط رفيع تحت الكتفين. واضعاً كلتا الوسادتين وراء ظهرى رحتُ أقرأ بصوت عال من مجلة "جيو" مقالة عن اليهود فى كراون هايتس.

"نمت؟ سألتها.

تحرك هنى رأسها وتقول: "لا".

كلانا يحلم أحلاماً غريبة. الليلة الماضية كان بالأحرى شعوراً، أو موقفاً: المرتبة، سريري، مدينة أسيوية ساحلية فى المساء أو الليل، الأضواء تغمرها. كل شيء تحتى يموج بالحياة، سيان أين أضع رأسى: تحتها دائماً حياة. المكان يعج بالأصوات والكلام، جزء منه موجه إلى. لم أتخلص من الحلم حتى عندما ذهبت إلى نورة المياه. لم أهدأ إلا فى الصباح التالى، وكأن السرير تحتى قد نعس أخيراً.

"هل أفتح الشباك؟ أسألتها. رأس هنى يتحرك.

"هل يعنى هذا: لا؟"

"لا"، قالت وفمها على الملاءة. كل ليلة، عندما تمر عربة الكنس الآلى، ينطلق جهاز إنذار من إحدى السيارات. أستطيع تمييز تتابع

الإشارات المُنذرة، ثم الهدوء الذى يعم لثانيتين قبل أن تتتابع من البداية مرة أخرى. أيضاً يهتز سلم المطافئ فى بعض الأحيان. أما خزان المياه على السطح المقابل لنا فهو غير محكم. يصدر عنه صوت كالخطوات. فى الصباح تتساقط القطرات فوق جهاز التكييف. ربما يسقى أحد فوقنا النباتات. بسبب السلك الشبكي على النافذة - الذى يمنع دخول الذباب - لا يستطيع أحد أن يتكىّ ناظراً إلى الخارج.

"أتريدين شرب شىء؟"، سألتها.

"أكمل القراءة"، جاوبتني.

"انتهيت. هل أعمل شياً؟"

"لا أريد شياً. بالأمس سكبت الشاي كله".

"ليس كله".

"إذن ليس كله"، قالت هتئى وأدارت رأسها ناظرة إلى. "لماذا لم نقل شيئاً عندما حدث ذلك؟"

"الأمر ضايقنى"، قلت مقلباً فى صفحات مجلة "جيو".

"المرء يشعر وكأنه ناقص، وكأنه مبتور".

"يا إلهى! من الممكن أن يفكر المرء فى الأمر بطريقة أخرى!، صاحت وهى تستدير على ظهرها، ثم قعدت. "هل الأمر بهذا السوء بالنسبة إليك؟ أسبوع كامل بدون إرهاق وضغط عصبى، ثم إنك تريد أن تحيا على الخبز والماء!"

"نعم. المرء يشعر وكأن سره انكشف".

"هذه مشكلتك"، قالت هني. لفت شعرها حول يدٍ، وبالأخرى راحت تتصيد التوكة من تحت السرير. النصف الأسفل من ثدييها أبيض. "أنا أسفة"، قالت، "ولكن هذه بالفعل مشكلتك. على كل حال لم يغلّقوا حساب كارت الائتمان عندي! وما زال لدى بعض المدخرات، وإلى أن تنفذ فيّ أنتي أريد أن نستمتع بالخروج معاً، وأن نستقل سيارة ليموزين ضخمة فخمة، وأريد مطاعم بشموع على الموائد، وجرسوناً يشرح لي قائمة الطعام، ومنظراً خلاباً. وفوق ذلك أريد أن أطير بالهليكوبتر، وأن أذهب إلى أوبرا متروبوليتان، وأحصل عليك أنت أيضاً فوق البيعة، كما أريد مياهاً معدنية إيطالية".

نهضت هني. قرفصت أمام الثلجة، ويكوعها أبقّت الباب مفتوحاً ثم أخذت تشرب. كانت تشرب في نفس واحد وهي ترفع الزجاجاة، إلى أعلى، إلى أعلى، حتى رأيت اللصق الأزرق. تركت الباب ينغلق ثم وضعت الزجاجاة على الأرض بجانب الأخریات. "وبعدين...". نظرات هني تتفحصني من فوق إلى تحت. "أريد أن أشعر بالسعادة مرة أخرى. لا تقل شيئاً، أرجوك. أعرف أنك لست ماكينة. أردت أن أقول ذلك فحسب. الكلام مسموح، أليس كذلك؟" تتاولت قبعتها المجدولة من القش وتأمّلت نفسها في مرآة الحائط. "ثم أن الحياة هنا ليست غالية كما يبدو. ثم أنها مانهاتن! شدت حافة القبعة بكلتا يديها. "ما رأيك؟ تلبس الصندل ناظرة إلى". اعتراضات أخرى يا مستر يونيفرسوم؟

"أنت أيضاً مفلسة".

"سأشترى لك بابيون. بابيون وربما بدلة سموكنج. كانت رخيصة جداً، وتفصيلة حديثة". تسحب من تحت مائدة التليفزيون مضرب البيسبول الذي يملكه ألبرتو، ثم تضعه على قدمها، وتضغط بظهر يدها اليسرى على خصرها. "الصبي كان اسمه ماذا؟ دوناتلو؟"

قلت لها: "تعالى هنا". حيثما رقدت كان بطنها مطبوعاً على الملاة الرطبة.

"دوناتلو"، قالت وغيرت القدم التي تركز عليها. "لا ينقص إلا الجوارب".

"سنذهب إلى كل مكان، إلى أى مكان تريدين"، قلت لها، "إذا أنت...".
"شعره طويل، وله كرش ظريف...". تنفخ هتّى بطنها إلى الأمام.
"هكذا. ليس مثلك، ولكن هكذا".

عندما نهضت هزت رأسها. "لازم أروح"، قالت وأعطتني مضرب البيسبول. "لإنجاز شيء. للحمام".

تسرع فى صندلها إلى التواليت. تترك القبعة. مقابلنا، فى الشباك العالى، كان هناك كرسي أبيض من البلاستيك بظهر كالمروحة، وبورقة موز على القاعدة. أذفع بالمضرب ثانية تحت التليفزيون، وأستلقى بعرض السرير. أسمع صوت بولها وهو يتقابل مع الماء فى التواليت. الباب موارب.

نادراً ما نخرج من البيت قبل الواحدة أو الثانية. إذا لم نتحمل، ندخل محلاً تجارياً. الجو لا يتلطف فى المساء. تظل الحرارة كامنة فى

الأسفلت، فى الأحجار، أما محطات مترو الأنفاق فهى الجحيم، وفى كل مكان تفوح العفونة. أسمع السيوفون، وبعد برهة الدش.

تعرفت إلى هَنَّى عندما كنا نبحث عن أحد يكتب نصائح حول كيفية التعامل مع الحيوانات الأليفة، وعموماً عن أحد لديه معلومات عن كل مل هو مدهش فى عالم الحيوان. كل أسبوع تكتب هَنَّى لنا عمودين. مرة عن القطط، مرة عن الديدان، مرة عن الطيور المهاجرة أو عن العناكب. قلت لها إننى أريد السفر إلى نيويورك، فقالت: "وأنا أيضاً".

عندما دق الباب، أغلقت الدش. لبرهة يسود الصمت فى المكان. بعد الدقة الثانية ارتديت بنظون الرياضة، وسرت إلى الأمام ناظراً فى الحمام. هَنَّى تقف تحت الدش مغلقة عينيها. تهمس: "أقفل الباب". أظل ماسكاً بأكرة باب الحمام وكأنتى أريد أن أحبسها، وأنتظر. "Sir? Excuse me, Sir?" صوت رجل، واضح ورفيع.

I'm Robert Vanderbilt from Palmer Real Estate, Sir, would you please open the door, please?
"مستر"، ينادى.

"Mister ... Bayer. I have to take some photos of Mr. Sullivans apartment, Sir. I'll pass my card under the door, okay, Sir?"

كارت روبرت ج. فاندربيلت يظهر أمام أصابع قدمى.
"Sir, would you please open the door, please?"

أفشل فى نزع السلسلة المثبتة على الباب لاعوجاج المجرى المعدنى. لا بد أن أحركها ببطء وعلى نفس المستوى. عند أقل غلطة تبقى

محشورة، ولا بد من إعادتها حيث كانت. أحاول مرة ثانية، وفي النهاية مرة ثالثة. كنت أعتقد أنني الوحيد الذي يسمع صوت احتكاك السلسلة بالمجرى. عندئذٍ أدع روبرت ج. فاندريلت يدخل.

"اللعة، ماذا كنتم تفعلون؟ هتّى ترمش بعينيها. تنتشل التي- شيرت من الحقيبة. تمسك بالإبهام والسبابة المنشفة الملقوفة حول خصرها. منشفة أصغر لفتها كالطربوش فوق رأسها. "ماذا حدث؟"

"روبرت ج. فاندريلت"، أقول. "وسيط لبيع غرفة ألبرتو".

"ماذا يفعل؟" تجلس على السرير، عيونها محمرة.

"يحاول بيع شقة ألبرتو".

"وأنت صدقت؟" تسقط المنشفة من على حجرها، فتتناولها وتغطي فخذيها.

"أزاح لى كارتته من تحت عقب الباب". أشعر بالعرق ينساب على ظهري وتحت ذراعي، بل وعند القدمين.

"لماذا لم تتصل تليفونياً وتساءل عما إذا كان ذلك مسموحاً له، وإذا كان مسموحاً لك؟ هل تعرف ماذا يريد أن يفعل ألبرتو بشقته، وأى رجل هذا؟"

"ماذا حدث؟" أسأله وأجلس. "كان هذا رجلاً لطيفاً يهتم بأمر الشقة. لا شيء غير هذا".

"نحن هنا فى نيويورك، وأنت تفتح الباب لرجل غريب، وتتركنى أنا واقفة فى الداخل وكأنتى غير موجودة على الإطلاق. تتبادلان الحديث و...". تغلق عينيها وتضغط بأناملها على الجفون.

تهنئتي.

"... أو على الأقل تسأل إذا كنت أحتاج شيئاً". تسحب المنشفة من على رأسها وتلقى بها خلفها. الكيلوت على طرف السرير. "على الأقل كان يمكنك أن تدق الباب وتساألني إذا كان كل شيء على ما يرام".

"وأى شيء لن يكون على ما يرام؟"

"ماذا! كل شيء ملقى هنا، الفلوس، الملابس، جواربك ... كان يمكنك أن تنتظر على الأقل حتى أنتهي من ارتداء ملابسى".

"مستر فاندريكت انصرف، والموضوع انتهى".

"هو أنت كذلك! كل شيء عندك انتهى ومر. وماذا لو رجعت؟ أو لو كان يتجسس؟ لو كان قد جاء إلى هنا فقط من أجل ذلك؟"

"إذن فلم يجد شيئاً".

"يا إلهي! وتنتظر لبرهة إلى السقف، ثم تحقق في". "على الأقل الآن يمكنك الاتصال".

"ألبرتو هو الذي أرسله، وإلا فكيف له أن يعرف اسمي؟ لقد سمعته وهو يناديني!"

"كيف تريد أن تعرف كل شيء بهذه الدقة - ألبرتو هو الذي أرسله؟ وبعدين؟ لماذا لم يصور الحمام؟ إذا كانت شقة تهمني، فأنا أريد أن أعرف كيف يبدو الحمام! تكور الوسادتين وتضعهما خلف ظهرها، ثم تشد ركبتيها إلى جذعها. "أنت لا تستطيع حتى وصفه! كل طفل يسأل نفسه هذا السؤال، إلا السيد المدير".

أحضر لها من المائدة كارت الرجل وكاميرا البولارويد. تجفف شعرها بالمنشفة.

"انظري إليه"، قلت لها وطلبت رقم ألبرتو.

"وما هذا؟"، تسألني.

نسيها. أو لم يعرف كيف يستعملها. المرايا عاكسته أثناء التصوير.

"ماذا؟ تركت رجلاً صينياً يلتقط الصور في كل ركن هنا؟ لا، لا أصدق؟"

"لقد قال وهو واقف بالخارج إنه يريد أن يفعل ذلك، ولا بد أن يفعل ذلك! إذا كان يريد بيع شيء فلا بد أن يكون لديه ما يفرج الناس عليه! هنيّ تمسك الآن البولارويد بكلتا يديها. تليفون ألبرتو مشغول. أذهب إلى الثلجة. أضع زجاجة الماء "بليجرينو" على المائدة، ثم أحضر كأسين وزجاجة عصير تفاح. فيما عدا أنه صيني - هذا إذا كان صينياً - لم يلفت نظرك أي شيء آخر؟"

"نسيت أن تشفط كرشك".

"إنه يرتدى بدلة غامقة وقميصاً أبيض وكرافتة زرقاء"، أقول وأعطيها كأساً ملأته.

"طبعاً. لقد تبادلتما الحديث وتفاهمتما جيداً. شكراً. خسارة أنه انصرف، أليس كذلك؟"

أعيد الزجاجتين إلى الثلجة. أثناء السير أخذ رشفة، ثم أجلس أمام التليفون.

"قضى سنتين في تكساس. الماء سيصبح شحيحاً هناك".

"في تكساس؟ ماذا يفعل صيني في تكساس؟"

"ولم لا؟ أطلب الرقم من جديد. هناك يحرقون حتى الصبار كي تحصل الحيوانات على شيء يؤكل. الناس تستلف تماثيل القديسين من الكنيسة، ثم يحملونها في الحقول كي يروا بأنفسهم مدى سوء الوضع. رعوس الحيوانات أصبحت تبدو كالجماجم. الدمار والخراب حل بكل المزارعين".

"اسمع! هل تعتقد أن صينياً سيصبح مزارعاً في تكساس؟"

"لم أدع ذلك. أنا لم أقل سوى إنه ترك تكساس، وإنه عاش هناك سنتين، وإن الجفاف دمر المزارعين. عندما تجف الأرض فإن سوق العقارات يصبح راكداً. على الأقل هذا الجفاف أمر واضح".

"أى أمر؟"

"أمر واضح"، أكرر. "أمر لم يتسبب فيه أحد. لا يستطيع أحد أن يتهمك بأتك السبب. إما أن يصيبك الأمر أو لا يصيبك. لا يستطيع أحد أن يتهمك بالجهل أو الفشل. كل السخط ينصب - إذا انصب - على الرب الحبيب، أو على العذراء مريم، أو أى قديس لديهم، ولكن عموماً فإن الأمر يكون واضحاً".

"هل قال لك ذلك؟"

"كان يصور ويحكي طوال الوقت. كان التصوير صعباً بسبب المرايا. المرء يأخذ انطباعاً خاطئاً تماماً عن الفرقة والمقاييس. لم أكن أعرف أين أقف. سيان في أى مكان، كنتُ أظهر في الصورة".

هتني وأنا نشرب في اللحظة نفسها الكأس حتى آخرها. فخذاي يلتصقان بالكرسي، وساعداي بالشمع.

"هل كان يطردك من مكان إلى آخر؟"

"آخ، لم يفعل أي شيء. كان ينتظر فقط. عندئذ كنت أفهم أنتى أقف في المكان الخاطيء. إنهم أكثر منا تهذباً. أعتقد أنه هرب بسبب الديون."

"بسبب الديون؟"

"هكذا شعرت من كلامه". أحشر السماعه بين أذني وكتفي وأطلب الرقم للمرة الثالثة. وضعت هتني البولارويد على ركبة، وعلى الأخرى الكارت.

"ماذا يعنى حرف الجيم قبل فاندربلت؟ جينج، جانج، جونج؟ لا، ليس جونج. ربما جن؟"

"وربما جيرهارد" أقول لها. تتبادل النظر. "ربما يبيع ألبرتو فقط لأنه مديون. لن يبيعوا بأقل من ٢٢٠ ألف دولار، وبالتأكيد أكثر. مبلغ سيصلح أمورهم."

"ألم تقل إن الصينى مديون؟"

"فى البداية اعتقد أنه يمكنه التعايش مع الديون، على الأقل هذا ما قاله. عندما يصله إنذار بالدفع، كان، ببساطة، يمزقه، ولكن ذات صباح جميل استيقظ وهو يفكر فى كل الإنذارات بالدفع. تكرر الأمر فى

الصباح التالي، والذي يليه. لم يعد يستطيع أن يقاوم التفكير في الإنذارات. أول فكرة كانت تخطر على باله هي الديون. خاصة إذا كان بمفرده. لم يستطع أن يجمع المبلغ، هذا هو الأمر ببساطة. عندئذٍ هرب.

"عمن تتكلم؟ عن الصينى؟"

كل مراقب إدارى يكلف دافع الضرائب ٦٠ ألف مارك فى السنة، وهل تعرفين كم يجمع رجل مثله؟ واحد وأربعة من عشرة مليون مارك. تخيلى الرقم. واحد وأربعة من عشرة مليون!"

هنى تحرك الهواء بالكاميرا البولارويد. أنتظر حتى يفرغ الصوت النسائى من الكلام فى جهاز الرد الآلى عند ألبرتو ثم أضع السماعة.

"إيه! قل شيئاً! تصيح هنى. إنه لا يرفع السماعة أبداً. أرسل النظر عبر النافذة إلى الموز الأخضر، ثم أطلب الرقم من جديد.

"الصينى قال إنه هرب من تكساس بسبب الجفاف، وإنه الآن يعيش فى نيويورك ويريد بيع شقة ألبرتو؟ هل هذا صحيح؟"، تسألنى هنى. "وبالمبلغ يصلح الاثنان أمورهما؟ أعتقد أنك فهمت شيئاً ما خطأ، أو أن الأمور اختلطت عليك، أو أن هذا الرجل من العصابات، ويحفظ حكاية سخيفة جداً". تلقى نظرة قصيرة على الصورة، ثم تواصل التهوية. "أم أنه يعنى بالماء الفلوس".

"الفلوس، كيف؟"

نعم، ربما. ربما يستخدمون هنا تعبيراً مشابهاً لما نقوله بالألمانية:
الواحد غرقان في المياه، أو أنهم قفلوا المحبس عليه، على المستر جينج
جانج جونج؟

تممكن تتصل به". أنتظر سماع الصفارة بعد الصوت النسائي، ثم
أقول إن روبرت فاندريبت كان هنا وصور الشقة كلها، وإننا نأمل
ألا نكون قد تصرفنا خطأ.

"هل أنت راضية الآن؟ أمد يدي نحو الكأس، لكنها فارغة.

هذا أقل ما ينبغي. فعلاً".

"فاندريبت رجل لطيف جداً ووسيم"، أقول لها في طريقى إلى
الثلاجة. "لم يفعل لنا شيئاً، ولا أقل شيء".

"إذا كان هذا رأيك"، تجاوبنى هنى.

"لو كنت امرأة كنت سأقع في حبه".

"لكنك لم تكن ستعجبه"، قالت هنى دون أن ترفع نظرها من على
البولارويد فوق ركبتيها. "جوفانى، ربما، هذا محتمل. ج مثل جوفانى".

من زاوية عيني ألمح صورتي في المرآة. يمكننى أن أسأل هنى لماذا
قالت لى بأن أغلق باب الحمام لأنها لم تكن تريد أن يدخل أحد، ويمكنها
الرد بأنه كان على ألا أفتح، ولكن ربما يكون الشجار حول هذه التقاهات
نوعاً من الترف.

نفضت هنى الوسائد، ثم تمددت. البولارويد الآن بجانبها. تشد
التي- شيرت الذي يصل إلى فخذها. واضعة يدها فوق رأسها تمسح

بنصف كم اليد الأخرى عرقها فوق الجبين. في تلك الأثناء ينحسر التي-
شبرت مرة أخرى.

تنادى: "كريستيان؟"

"نعم."

"ولا شيء. كنت أريد أن أعرف فقط إذا كنت هنا."

"حالا"، أقول وأضع الكأس في الحوض، ثم أذهب إلى الحمام.
قبعتها على غطاء التواليت. لا أعرف أين أضعها، فأرتديها. أضغط على
السيفون حتى لا تسمع الأصوات المنبعثة عند الارتطام بالماء.
بكلتا يدي أفتح صنوبر البش وأضع رأسي مائلاً حتى لا يتل
القبعة. ما زال باستطاعة المرء هنا أن يفتح صنوبر الماء البارد أو الدافئ،
حسب احتياجه، وأشرب منه.

الفصل الثامن عشر

الصباح الذي أعقب ذلك المساء

فرانك هوليتشك يحكى عن صباح فى فبراير.
باربارا والتطورات الأخيرة فى كابوسها. محاولة
فرانك للتسرية عنها. انريكو فريدريش وليديا
والصور.

استيقظت بسبب تخاريف باربارا. ترقد على ظهرها وسأعدها على
جبهتها. الفجر ينشر ضياءه. باربارا تعانى من كابوسها مرة أخرى.
ربما أكون رمشت بجفونى دون أنى ألاحظ، أو ربما تقلبت فى السرير،
لهذا اعتقدت أننى مستيقظ، أو أنها بدأت ببسطة تتحدث. إنها تفعل
ذلك يوماً بعد هذا الخلم. تتصل بى إذا كنت غير موجود، سنيان أين.
تسير الأمور كالتالى تقريباً: هى تجلس فى السيارة أمام عجلة القيادة،
ثم تتخطى امرأة تقود دراجة. عندما تعطى باربارا إشارة إلى اليمين
ويتنظر فى المرأة الخلفية لا ترى للمرأة أثراً. لا تفكر باربارا فى الأمر
كثيراً إلى أن تصل إلى الإشارة التالية فتجد رجلاً صارخاً يمد ناحيتها

يداً ملطخة بالدماء ويحاول أن يشدها من السيارة. يداه تجنfan في الهواء ثم تهشمان الزجاج. باربارا ترى نفسها ملقاة بجانب ماسورة العادم. تحاول رفع رأسها، ليس فضولاً أو خوفاً، ولكن حتى يتمكن الرجل من ضربها على نحو أفضل. تريد أن تبدأ اليوم من أوله، تريد أن يكون كل شيء غير حقيقى. "من فضلك، من فضلك"، تتضرع باربارا فى الحلم، ليكن حلماً، حلماً فقط. مع أنها تعلم أنه ليس حلماً، وأن اليوم لا يمكن بالطبع أن يبدأ من جديد. كل شيء يبقى على ما هو عليه، والرجل يصرخ: "جريمة قتل"، و "قاتلة"! تلتقط الصور لباربارا، من المارة، من الشرطة، من السيارات العابرة. ترى صورة البحث عنها على ملصق كبير معلق على المصعد. ليس لها سوى الانتظار حتى القبض عليها.

كم من مرة سمعت ذلك - من المعجزات أنتى لا أحلم أنا نفسى بهذا الحلم. عندما أرى صليباً أمام الشجر على حافة الشارع، أو أكاليل مستندة على عمود النور، أفكر على الفور فى حلم باربارا.

تنتى ذراعها الآخر أيضاً وتضعه فوق عينيها. أقترب منها وأسحب بشفتى شعر إبطها الأيمن. على طرف اللسان أشعر بالطعم اللاذع لمزبل رائحة العرق. لقد نمنا متأخرين، وهو ما لم نعد نقدر على تحمل تبعاته، كلانا، على الأقل خلال أيام الأسبوع.

وأنت تدعى أن هذا ليس مشكلة، فهو أمر يحدث كثيراً، تقول باربارا. لا أرى إلا طرف أنفها وفمها الذى يبقى مفتوحاً قليلاً. نتحنح بصوت خافت.

إذا أسرعنا - هكذا قلت - لن يلاحظ أحد شيئاً، كل ما علينا هو أن نسرع. على أن أجلس خلفك على الدراجة. هكذا حاولت أن تقنعني، دون أن تهتم بـ ..،، تعض على شفقتها السفلى، دون أن تهتم بالجثة.

وماذا عن الرجل الذي يضربك؟ أين هو؟ أرى عرق عنقها ينبض.

لا أعرف، تقول باربارا. إنه هناك. في مكان ما. إنه يعرف كل شيء. نبرات صوتها مستسلمة تماماً.

أمر بلساني فوق أسناني حتى أتخلص من طعام مزيل رائحة العرق. هل تأتئين في الحلم معي؟ أقبل نهدها الأيمن. لم ترد باربارا، فأقول: ليس لطيفاً أن يعتلى الرجل امرأته أثناء الكابوس. ليس هذا عتاباً ثم أضيف: لأنها في هذا الوضع تفتقد إلى روح الدعابة. ربما أرمز أيضاً إلى المساعدة والعون. أليس هذا ممكناً؟ تصمت، ولا يبدو عليها أنها تلاحظ أنني أداعب ضلوع صدرها، ثم تهبط يدي إلى الخصر حتى تصل إلى أعلى الفخذ.

تقول: إذا كنت ترقد في المستشفى، وربما في الجبس من الرأس حتى القدم، وتبطلق في السقف عالماً أنك قتلت إنساناً ..

لكنك لم تعودي تقودين سيارة، أرد عليها. منذ أكثر من عامين. لا شيء ولا أحد استطاع أن يقنع باربارا أن تجلس ثانية خلف عجلة القيادة منذ دهست غريباً. هذا الامتناع يعقد أمور حياتنا. حتى تصل إلى مدينة بوزن تحتاج إلى ثلاثة أرباع ساعة، هذا إن لم يفتها الأوتوبيس. يفضبنى أنها تغمى عينيها. لا يمكن أن يعنى هذا شيئاً طيباً أبداً. إنها تفوص وتتشرب هذا الحلم.

"أنت دهست غُريراً"، أقول لها. "غريراً! بل ربما لمستَه فقط،
وربما يكون قد تعافى وأصبح له الآن أحقاد!"

"إذا كان هذا رأيك"، تقول باربارا. "إذا كان هذا رأيك، فربما يكون
صحيحاً"

أداعب بطن ذراعها من أعلى حتى الكوع الذي أمر عليه بحركات
دائرية، ثم أواصل حتى المعصم، من هناك تنتقل يدي إلى ذراعها الآخر،
وبحركة سريعة دائرية تستريح يدي تحت إبطها الأيسر، ثم تمسك
نهدها. تهبط يدي إلى زكبتها بجانبى.

تقول باربارا: "أنت ترقد هناك، تتحلق في السقف، الوقت لا يمر،
أو يمر ببطء شديد لا يستحق الذكر، مع أن الوقت هو الشيء الوحيد
الذي يخطر على بالك، الشيء الوحيد الذي يفرق بين الحياة والموت".

كنت تحلمين، والآن استيقظت"، أقول لها وأضع رأسي على نهدها
الأيمن، وأمر بإصبعي على الآخر في حركة دائرية.

"وماذا إذا لم أستيقظ؟ إذا اتضح أنه ليس حلمًا؟ أشعر بدرجة فعل
جسمها عندما تتحدث. تسألني: "ماذا سيفعل معي عندئذ؟"

"عندئذ أتزوجك مرة أخرى. أم ماذا في رأيك ينبغي علي أن أفعل؟"
أرتكز على باربارا، بطني على بطنها، وأمد يدي إلى المنبه. يتزحلق
الغطاء وينجسر عتلاً. أعود بالمنبه في يدي، فأعدل من وضع الغطاء
وأستلقي على ظهري. يصطدم صندفي بكوعها. أود أن أطلب منها أن

تسحب ذراعها. أريد أن أدفعه بعيداً. يغيظني أن باربارا لا تبالي بي،
إلا أنني لا أقول شيئاً وأنسحب على طرف السرير بعيداً عنها.

إذا نهضنا الآن سيكون صباحاً عادياً، نأخذ دشاً، ونتناول
الفتور. باب غرفة نومنا مغلق، وإلا كنت سأسمع أورلاندو وهو يعلق
كيس الخبز على مقبض باب الشقة. أضبط المنبه على الساعة وأبقيه في
يدي. على الأقل عشرون دقيقة. إذا أسرعنا عندئذٍ، يمكننا أن نتجز كل
شيء في الوقت المناسب.

تقول: "قبل أن تلاحظ أنك لا تستطيع، تفكر أنك ربما كنت شخصاً
آخر تماماً، أن ما يحدث مجرد خطأ، أنني أَلعب الآن هذا الدور. إلا أنك
تلاحظ عندئذٍ أنك لا تستطيع الاستيقاظ، أنه لا يمكنك الخروج من
هذا البدن".

"بابس! ما هذا الذي تقولينه؟"

لم يكن الأمر بهذا السوء أبداً. الشقوق في السقف تسير متوازية
مثل حواف ورق الحائط، إلا أنها متعرجة. الورق مطلى باللون الأبيض،
لكن سطحه غير مستو. لذلك نشأت أشكال على الورق: مرة يرى المرء
خطاً ونقطة ووجهاً، مرة أخرى أعمدة منجوتة، أو لولباً من الصلب، ومينه
تتمو زهرة كبيرة متفتحة تلتف على نفسها، أوراقها طويلة منكسرة
وساقها قصيرة، شبيهة بالزهور في ورق الحائط. الزهرة تلتف خارجة،
وهن الممكن أن يكون ذلك تمثالاً، بشعر مجعد كثيف وقم فرع بهم
بالصراخ.

"سأتهض الآن"، أقول لها. "علينا ببساطة أن ننام مبكراً". بالأمس
زرنا أحد أصدقاء باربارا القدامى، إنريكو فريدريش. تريد باربارا أن
أجد وظيفة لإنريكو ككاتب خطب، حتى يخرج من أزمته، ولكن مستحيل.
سكير وثرثار، متشاعر يكتب حتى على الجدران وورق الحائط كي
لا ينسى أفكاره العظيمة.

أسألها: "من أين تعرفين زوجته، ليديا هذه؟"

"ليست زوجته"، ترد باربارا بعد برهة.

"لكنها تسكن معي".

"لا. رأينا بعضنا مرة بالصدفة في المتحف البيولوجي".

"ولماذا كنتما تتشاجران؟"

"من قال إننا تشاجرنا؟"

"المرء كان يشعر بذلك. عندما ذهبت إلى الحمام بيت بينكما خناقة".

"طبعاً أنت تعرف أحسن مني، إذا كنت في الحمام ...".

"لا أفهم"، أرد عليها. "كيف تتحمل هذه المرأة إنريكو. الأمر يشبه

المعجزة إذا نظرنا إلى سلوكه وشكله".

"هناك أسوأ"، تقول باربارا.

دائماً تدافع عن إنريكو. المجتمع هو المسئول عن كل شيء في

رأيها. زرتها معاً مرتين، وفي المرتين وجدت نفسي مرغماً على التفرج

على هذه الصور، إنريكو وباربارا على جسر مطل على بحر البلطيق. أكره هذه الأوضاع المتكلفة. لهذا ليست لي صور مع باربارا إلا نادراً، باستثناء صور الزفاف والصور الرسمية. لا يمكن تجنب ذلك.

لا أريد أن أعرف أى علاقة كانت تربطهما فى الماضى، لكننى لا أستطيع من أجل خاطرها تعيين سكير كاتباً للخطب. لن يمر عندئذٍ سوى بخبرة سيئة جديدة، وأشعر أنا برقبتي مثل السمسمة. "أتعرفين ما هى مشكلة إنريكو؟ أسألها. "أنه لا يعانى من أى مشكلة يمكن أن يكتب عنها قصائد أو روايات، ليست لديه مشاكل حقيقية. يحسدوننا فى العالم كله، يحسدوننا على مشاكلنا. كلهم يريدون استبدال مشاكلهم بمشاكلنا. هذا ما يعكر صفو إنريكو. يريد أن يعانى".

فيما مضى، عندما نرجع إلى البيت بعد زيارة قمنا بها، كنا نتعاقق بمجرد أن نكون وحدنا. فيما مضى، كنا نقول لأنفسنا أحياناً إن حالنا طيب وأننا سعداء، وإننا لا نستطيع تقدير سعادتنا، وإننا أصحاب، وإن حظنا كان كبيراً. عندما كنت أستيقظ ليلاً ولا أسمع صوتاً ينم عن باربارا، كنت أتحسس بيدي نحوها أو كنت أشعل الضوء، بل شعرت ذات مرة بالغيرة من إنريكو. بالأمس كانت باربارا هى الغيرة. ربما لذلك تشعر اليوم بالاحتياج إلى تشجيعى ومواساتى.

أريد أن أحكى شيئاً يجعلها تفكر فى أمر آخر، ولكن لا يخطر على بالى شىء يتناسب مع موقفنا. أرسل النظر إلى السقف حيث أرى التمثال يتحول ثانيةً إلى لولب حديدى. فى الطلاء أحاول التعرف على خريطة العالم، هناك فى المواضع الخشنة. الهند تقع أمام فلوريدا،

لا يتناسب ذلك مع المقاييس، لكن الرسم واضح، بالأسفل البلاد الإسكندنافية، وفي بحر البلطيق تقع أستراليا.

"هل تتذكرين كاندلاريا؟" أسألتها. "وصدى صفارة الباخرة الذي كان يرجع من المدرجات الجبلية ثم يخفت شيئاً فشيئاً؟ هل تتذكرين كيف أنتى اعتقدت ذات صباح أنها تمطر، وكل ما هناك هو أن الجبل حجب الشمس، وفي المساء لم يكن المرء يعرف أين ينتهى البحر وأين تبدأ السماء، اللون الرمادى الفضى يغطى كل شىء، لا فرق".

"لم يكن اسمه كاندلاريا"، تقول باربارا.

"ماذا إذن؟" أسألتها. لم ترد، فقلت: "أنا متأكد أن المكان الذى سكنا فيه اسمه كاندلاريا".

من أجل أتفه الأشياء نتشاجر. فى الأسبوع الماضى حول درج جواربى. باربارا تعتقد أنتى رميت فرداً من جواربها الجديدة التى اشترتها للاسترخاء. أقول لها إننى لم أرم جوارب مفردة، بل أزواجاً فقط، وتحديداً تلك التى لم أعد ألبسها منذ سنوات لقبحها، أو لأنها تهرأت أو بهتت وحال لونها. هذا هو المضحك فى جوارب الاسترخاء، تقاطعنى باربارا، إنها تبدو قديمة ورثة رغم أنها جديدة. الزوج من جوارب الاسترخاء ثمنه ١٥ ماركاً. أسألتها: ما هو جوب الاسترخاء؟ ترد قائلة كيف إذن أدعى أنتى لم أرمها إن كنت لا أعرف حتى شكلها، أكرر إننى لم أرم إلا أزواجاً من الجوارب، وإننى كنت سأعرف جواربها على الأقل من مقاس حذائها. على رف الشباك فى الحمام أجد ورقة

مكتوباً عليها: "جوارب استرخاء - بدون (ثم بخط أصغر) خيوط مطاطية، ملمس مريح، أجريت عليها اختبارات لتحديد المواد الضارة وفقاً للمعايير البيئية Tex Standard 100". في اليوم التالي كنت أريد أن أقول لها إنه - إذا لم تستطع أن تجد الجوارب - لا يتبقى سوى إمكانية واحدة، ألا وهي أن أكون أنا الذي رميتها، مع أنني لا أستطيع تفسير ذلك، لأن معنى ذلك أن تكون قد وضعت جواربها مع جواربي؛ إنها في نهاية الأمر هي التي تضع الغسيل دائماً في الدولاب. ترد بارياراً إنها وجدت الجوارب. عندما سألتها لماذا لم تخبرني بذلك من قبل، نظرت إليّ غير مصدقة، وكأنها لا تستطيع أن تفهم كيف أوجه لها مثل هذا السؤال، مع أن تعبيرات وجهها يمكن أن تعني: "لقد قلت من قبل: أنت لا تصغى إليّ". هذا وحده هو السبب في نصف مشاجراتنا، أن تقول إنني لم أصبغ إليها، وأنا أقسم أننا لم نتحدث حول هذا الأمر. لست أطرش!

ينطلق رنين المنبه. أغلقه. الصوت الوحيد الآن هو صوت طائرة هليكوبتر. أخيراً أقول لها: "بابس، لا بد أن ننهض".

"فرانك"، تقول. كوعها الأيمن يشير ناحيتي. "إذا اكتشف المرء ذات مرة أن ذلك ليس حلماً، إذا لم يستطع المرء أن يستيقظ، ووجد نفسه قد بات مُسنناً خلال ساعات قليلة، وإذا شعر أنه عاش بما فيه الكفاية، وانتظر بما فيه الكفاية أيضاً ولم يعد يريد الانتظار، عندما يمشى المرء إلى الشباك وينظر إلى الخارج فيشعر باللامبالاة، سيان إن رأى شيئاً أو لم ير، إن كانت الدينا نهاراً أو ليلاً، إذا أدرك المرء أنه لم يعد هناك فرق واحد، فرق واحد لم يعد، عندئذٍ يكون المرء قد عاش المعجزة الوحيدة التي يمكن أن يأمل حدوثها. عندئذٍ يمكنه القفز".

"الساعة السابعة"، أقول لها. "لابد أن تنهض، بابس، هل تسمعين؟"
أقعد وأزحف حتى نهاية السرير، ثم ألبس شبشبى وأسير إلى الشباك.
تحولت مياه القناة إلى جليد. قوارير بلاستيكية زرقاء وصفراء وخضراء
فاتحة مرشوقة فى الجليد، وأيضاً الغصون السفلى من شجرة
صفصاف. الشارع على الضفة الأخرى مغلق أمام المرور؛ لهذا لا أرى
سيارات. قالت لنا السمسارة إن الإنسان لا يؤجر شقة فحسب، بل حياة
أخرى: الجيران، المرور، المنظر.

أضغط جبتهى على الزجاج كى أرى الشارع أمام البيت. الشارع
خالٍ. ليس سوى زوج من طيور العقق يقفز أمامى على شجرة
الكستناء من فرع إلى آخر. أحاول تركيز فكرى فيما سوف أفعله الأيام
القادمة. يوم السبت الحفلة المسرحية، يوم الأحد يزورنا والد باربارا مع
صديقته الجديدة ويشربان معنا قهوة العصر.

"إما أن تبغى إجازة مرضية، أو تنهضى الآن"، أقول لها. سأسخن
لك ماء، هه؟ باربارا لا ترد. ربما لم تسمعنى على الإطلاق.
هل ستبقى معى؟ تسألنى.

"لابد أن أسافر إلى مدينة إيرفورت".

ليس هذا ما أقصده، ترد على. هل ستبقى معى فى كل
الأحوال؟

"بابس! وماذا سأفعل غير ذلك؟"

ومن سينتخبك وزوجتك بهذا الشكل؟

يا إلهي. ماذا حدث لك؟ أنت مستيقظة، مستيقظة!

لا تصرخ، تقول باربارا. تتمطع. الذراع الأيسر يصل حتى حافة السرير، الأصابع المتدلّية تلامس السجاد الموكيت. أخيراً أستطيع النظر في عينيها. ترفع باربارا رأسها وتتنظر إلي، ثم تنكمش على نفسها من جديد. لا أدري ماذا أقول لها حتى تقوم وتدخل الحمام، بل لا أعرف أنا نفسي ماذا سأفعل الآن. العقق يطير بعيداً، واحداً تلو الآخر. لبرهة يتأرجح الغصن الذي كانا جالسين عليه، ثم يبقى كل شيء ساكناً، كما في صورة فوتوغرافية.

الفصل التاسع عشر

معجزة

إنريكو فريديريش يتلقى زجاجة مارتيني هدية.
يحكى لباتريك عن ظهور ليديا فجأة، واختفائها
فجأة. أثناء ذلك ينافس نفسه في الشرب حتى يقع
سكران طينة. باتريك يصمت وفي النهاية يسأله
سؤالاً شائكاً.

"لابد أن المرأتين تقابلتا من قبل"، يقول إنريكو وهو يفك الورق
المغلف لزجاجة المارتيني، ثم يفرد الورق ويطبقه، ويسحب الدرج الأسفل
الذي يضع فيه الأكياس البلاستيكية. "أنت صورت فرانك ألف مرة. طبعاً
تعرفه". يصطدم الورق بالحافة العليا. يضغط إنريكو على الورق ويغلق
الدرج. قبل انتخابات مجلس الولاية تمشى في السوق ووزع ورداً. ألق
عن التدخين، لكنه لا يستطيع الاستغناء عن مضغ اللبان. تمتد يد
إنريكو إلى الفتاحة. يمسك بمنشفة موعين. "كناك"، يقول فاتحاً
الزجاجة. "أعشق هذا الصوت. تلج؟"

"لا"، يقول باتريك. لامساً الثلجة بظهر الكرسي راح يقرأ البشخيطات التي تملأ ورق الحائط كله. إنريكو ملاً الكأسين حتى منتصفهما.

"ليديا تتحدث عن نوع من الطيور لا يحتاج من ألاسكا إلى هاواي سوى خمسين ساعة. تسمح لي". إنريكو يشير إلى الثلجة. "اعتقدت في البداية أن باربارا عضو في جمعية صداقة، ما كان يُسمى في الماضي رابطة ثقافية أو "أورانيا" أو شيئاً من هذا القبيل. كن يجمعن فئران مدبية البوز، فئران ميتة. الله أعلم ماذا كن يردن إثباته".

يتكى باتريك إلى الوراء مرة أخرى.

"هي عادة"، يأتي صوت إنريكو من عند الحوض. يخبط قالب مكعبات الثلج على الحافة الداخلية، ثم يقلبه على أحد الأطباق. "ولكن ليس أكثر من اثنين". معظم القوالب تقع على الأطباق المتسخة.

يجمع إنريكو القوالب ويكومها على الطبق ويمنع سقوطها بيده إلى أن يضع الطبق على منتصف المائدة الخشبية. "كل هذه الأطباق والمواعين ورثتها عن جدتي".

يملاً باتريك كأسه بالمياه المعدنية، ويقول: "في صحتك".

"في صحتك"، يرد إنريكو متناولاً قوالب ثلج.

"وهذا؟" يسأل باتريك.

"زوجلن من الجوارب السوداء، فرشاة أسنان، مقص ومبرد أظفار، أربعة مناديل ورقية، تذكرة سفر مستعملة، وماركان وخمسة فنكات".

ينقر بظفره على كأس البطولة الزجاجي بينهما. لم تنسَ أكثر من هذه الأشياء". أرسل إنريكو بصره عبر باتريك إلى المنزل المقابل حيث اشتعل الضوء في نافذتين.

"كان فرانك يريد أن يقرع الأنخاب في صحة رفع الكفة بينهما والتخاطب بـ أنت لا حضرتك. ربما اعتقد أن ليديا كانت خجولة لأنه نائب يجلس في برلمان الولاية في إيرفورت. في صحتك مرة أخرى يا صاحبي. اقرع الكأسين!"

يمد باتريك يده.

"كان ينظر إلى ذراعيها. كلما قصت شيئاً كان يسترق النظر إلى ذراعيها. كانت ترتدى الفستان الأسود، الواسع من ...". يصف ربع دائرة تحت الإبط. "فيما بعد عندما ذهب إلى التواليت قال: يا عيني على رجليها! قال ذلك هامساً". استدار إنريكو إلى الباب. "هيا يا كيتي، تعال، ماذا هناك؟ إنه يقبع الآن هناك ويتفرج. أطلقت عليه - هه! اجلس! أسميته كيتي. يشخر عندما ينام، ولكن لا تصدر عنه أصوات في اليقظة". يداعب القط تحت الذقن. لون فرائه رمادي مختلط بحمرة. هل تلاحظ أن النهار يطول؟"

يهز باتريك رأسه. يمر بلسانه على أسنانه خلف الشفاه المزمومة. يتأمل من جديد ورق الحائط بالشخبطات. يصب إنريكو في كأسه من جديد ويمسك بالزجاجة عالياً. يمد باتريك له كأسه المليئة حتى منتصفها.

"فى صحتك"، يقول إنريكو. "تخيل التالى: ليديا تقف هنا وتقلب كل شىء، ثم يتصل فرانك ويعرض على هذه الوظيفة. على أن أكتب فقط ما أفكر فيه، كتابة شخصية. هذا هو المهم، قال لها على التليفون. هه، كيتى!"

يحرك إنريكو أنفه يساراً ويميناً. "تعلمنا تحية الإسكيمو". يتشممه القط ثم يشيح بوجهه.

"سألته كم سأكسب من هذه الوظيفة، سألته أمام ليديا وبابس كى يكون كل شىء واضحاً. أخبرنى. عندئذٍ قلت: أترون، أنا رجل بجد، أستطيع أن أكسب نقوداً كثيرة. عندها قبلتني ليديا".

بمجرد أن تتوقف المداعبة والتمسيد يضغط القط على اليد المرتاحة على عنقه، أو يمد كفه ناحية ذراع إنريكو.

"وهكذا، كما كانت ليديا واقفة هناك، هكذا انصرفت. كانت واقفة هناك مع الحقيقية، ذلك الشىء الأخضر الذى كان على بولاب غرفة النوم لديكم. كنا نريد أن نقسم الإيجار، مؤقتاً. هذا ما كان. عملت شايأ. اشتريت أصصاً أكبر للنباتات، ورشاش النباتات والنخلة. أقول نخلة، لكن لها اسماً آخر صحيحاً، ومن أجل ساق النبات هذه كان على أن أنزل خصيصاً إلى القبو وأحضر إطاراً خشبياً أسندُ النبات عليه وأثبته. كانت تعرف كمية الماء التى يحتاجها كل نبات، وكم مرة. كل يومين كانت تدير الأصص. هل أشعل الضوء؟ إنريكو يقبل القط بين الأذنين. تخيل يا صاحبي لو كانت ليديا ردت على التليفون. ليس من الحتمى أن الأمر

كان سيتغير، ولكن لو كانت هي على الخط. لا أعرف، ولكن ماذا كنت ستقول؟ ضحك إنريكو وشرب كأسه حتى الثمالة.

"كان الأمر سيكون أفضل كثيراً. أقصد، لا علاقة للأمر بك، أنا أقصد الموقف في حد ذاته! تخيل الموقف! عبثي تماماً. أعذرنى يا صاحبي، ولكن ليس لي ذنب في الموضوع". بيد يفتح الزجاجاة ثم يرفعها. "أم أنتى فى رأيك لى ذنب فى الموضوع؟ ألا تريد؟" يصب إنريكو لنفسه. القط يقبع الآن ساكناً على ذراعه الأيسر. "كانت الحياة جميلة هنا، انسجام كامل. باب الشقة المزعج جاء واحد وأصلحه، ثم أعقبه السباك وأخرج الهواء من الدفاية. فجأة أصبح كل شيء على ما يرام. أنا أكتب، ليديا تقرأ، وكيلى يترك كفاً من كفوفه يتدلى على المسند مطلقاً شخيره. ومن المطبخ ينبعث شذا الكعك. لا أحتاج إلى أن أحكى لك، معجزة حقيقية، هكذا اعتقدت. هل أقول لك شيئاً آخر؟ لا تفهمنى خطأ يا صاحبي. ليديا كانت أول شخص، أول شخص على الإطلاق، يستحسن ما أفعله. انتظرت ذلك طويلاً، أن يقول لى شخص: هذا حسن، أو هذا سيئ. ليس هذا اتهاماً لك، ولكننى بحاجة إلى إنسان يقول لى: ما تكتبه جيد". يمسح إنريكو بكفه المسطح على ورق الحائط الملئ بالشخبطة. "كلها أفكار"، يقول. "وعندما أتى فرانك ومعه بابس - لابد أن المرأتين تقابلتا من قبل. كلاهما كثير الأسفار، لأن فرانك - كقائد شباب - نتاح أمامه فرص عديدة، هناك برنامج خاص للنواب الشبان، يسافرون إلى بلاد عديدة، حتى أستراليا. سألته عن الهدف من وراء ذلك. يعتقد أنه يستفيد من ذلك، أن الرؤية تتغير عندما ينظر المرء

إلى الصورة بأكملها من الجانب الآخر، آسيا واليابان، وهذا الكلام. حكى أشياء لا حصر لها. يعتقد يوماً أنني من الممكن أن أستفيد من حكاياته، لكتابة قصص أو ما أشبهه، هكذا يتخيل فرانك الأمور". يمر إنريكو بظفر إبهامه على الحز الطولى المحفور فى كأسه، ثم يديره إلى الحز التالى ويكرر الحركة.

فى أستراليا ابتلع أحد نواب البرلمان الشبان أثناء تناول الطعام الحشو، حشو أحد أسنانه. لمدة ثلاثة أيام لم يذهب إلى التواليت لأنه كان يخشى أن ينكش فى خرائه بحثاً عن الحشو. وذات يوم كانوا يسافرون بالأتوبيس فى منطقة جرداء تربتها حمراء لا ينمو فوقها سوى بعض الأعشاب. نزل، وجعل السائق يواصل رحلته. عندما عادوا لإحضاره، كان ينكش بالفعل فيما أخرجه. قصص كثيرة مثل هذه كان فرانك يحكيها. أو معلم الفصل الذى كان يكسر أجنحة الملائكة المعلقة على شجرة عيد الميلاد قبل مجيء العيد، لأنه كان مادياً ويرى فى الملائكة استفزازاً للعقل. لابد أن المرأتين تقابلتا من قبل. إذ إنهما تشاجرتا عندما كان فرانك فى التواليت. اعتقدا أنني لن ألاحظ شيئاً. خمنت أن الغيرة هى السبب، لكنها لم تكن. ليديا قالت إنها تفهم بابس. بالطبع لم تقل بابس، ولكن الدكتورة هولتشيك. بقيت طوال الوقت تخاطبها بـ"حضرتك". قالت ليديا إنها تفهم بابس، لكنها لا تستطيع أن تدعى أنها كانت تبحث عن غرير، بالتأكيد لم تبحث عن غرير. ولكن إذا دهس إنسان أحداً وقتله، إذا لم يكن هناك على أى حال ما يمكن إنقاذه، فعلى الإنسان ألا يدمر حياته أيضاً. ليديا قالت إنها تفهم بابس. عندئذ بدأت

بابس فى الصراخ متهمة ليديا بالكذب". وضحك إنريكو ضحكة صبيانية. "ليديا كذابة، كذابة. وعندما دخل فرانك عاد كل شىء إلى ما كان عليه. لم تنطقا بكلمة. هل أشعل الضوء؟ ماذا حدث؟ أنت غاضب يا صاحبي؟" تطلع إنريكو فى وجه باتريك الذى كان يرتشف من المارتينى، ثم صب لنفسه. "أحياناً يتتبع الرجل ببصره امرأة، لأنه رأى ساقها أو وجهها من الجانب أو شعرها، ولكن عندما تستدير المرأة أو تتحدث ... أما ليديا، الرجل يحب أن ينظر إلى كل شىء فيها، وكلما أطال النظر كان ذلك أفضل. يا أخى، قل شيئاً! أى رجل سيفرح عندما تقب امرأة مثلها أمامه فجأة، أليس كذلك؟"

أفرغ الكأس فى جوفه بدون تلج أو ماء.

"أستطيع تخيل حالتك الآن يا صاحبي، ولكن لا يحق لك أن تغضب منى. هه! ليديا هربت منك. وجاءت إلى. هذا صحيح. السؤال هو: هل كان صحيحاً أن تهجرك وتأتى إلى؟ أجبنى؟" ومد إنريكو رأسه إلى الأمام قائلاً: "أليس هذا ما حدث؟ نعم أم لا؟"

يضع إنريكو الكأس الفارغة على شفتيه، ثم يرفعه ببطء إلى أن تتساقط عدة قطرات فى فمه المفتوح عن آخره.

"أنت تفكر أنى لازم أشرب. إذا لم أشرب لن أتحدث، هه؟ إذا كان هناك شىء لازم أعمله فهو الكتابة، الكتابة يا صاحبي، وإذا أردت كانت ليديا بقيت هنا". أحاط الكأس بكلتا يديه ومط شفتيه. "هل تريد أن أقول لك لماذا ذهبت؟ أنا أعرف، أعرف جيداً".

استدار القط على حجره. انحنى إنريكو إلى الأمام حتى لمس بأنفه
بين الأذنين.

"إنها لم تشعر بها، بالمعجزة، هذا هو السبب، والمشكلة".

قفز القط من حجر إنريكو إلى الأرض وظل راقداً بجانب الباب
الموارب. شبك ذراعيه على المائدة ناقلاً بصره من كوع إلى آخر. بكل
بساطة لم تشعر بها. زم شفتيه وهز رأسه ببطء. لم أعد الزجاجاة إلى
مكانها. تركتها. تحت حامل المناشف. مسحت الحمام ووضعت شيئاً من
منظف "مايستر بروبر" في الدلو. كنت أريد أن أسكب كل ما تبقى في
الزجاجاة ولم ألاحظ أن الكثير ما زال بها. نسيتهما. الواحد لا يراها
عندما يقف أمام الحوض، لا يرى الزجاجاة، فالمناشف تحجبها".

"لا أفهم حرفاً"، قال باتريك وهو يهز بقايا المارتيني في كأسه
بحركة دائرية.

"نظفنا معاً، بسبب زيارة فرانك، ليديا المطبخ، وأنا الحمام. عندما
يقف الواحد عند الحوض ويغسل يديه، لا يرى الزجاجاة". باتريك يقترب
منه. "هذا يهيك سماعه يا صاحبي، مضبوط؟" يصب إنريكو في كأسه.

وقفت في الحمام أمام الحوض. كل أشياءها اختفت، فرشاة
الأسنان، الكريم، السيراي. كانت ما زالت في البانيو. بعد الحمام
وضعت كل شيء في الشنطة، حتى المنشفة المبلولة. لم أسألها إلا: هل
لا بد أن يكون ذلك الآن؟ هل لا بد أن تنصرفي في منتصف الليل؟ تركت
ورقة مكتوباً عليها متى وكيف أسقى الزهور، ووضعت المفاتيح على

الورقة، وفتحت الثلاجة: الفلفل الرومى هنا، والسّمك الملفوف المُخلل ...
هى هى هى ... بالسكر "ضحك إنريكو بصبيانية. من بين الأسنان
أصدر لعابه هسيساً. "بالسكر ومنزوعة الجلد ... هى هى هى. تركت
الماء يتساب على يدي، كى أهدئ نفسى، بينما كانت هى واقفة متكئةً
على إطار الباب. أغلقت الحنفية وجففت يدي، ببطء، ببطء وعناية، كأنتى
جراح. ليس من اللازم أن أشرب. إذا كنت لا أريد، لا أشرب. عندما
وضعتها على الحامل بجانب المنشفة الأخرى، ركزت تفكيرى، ومع ذلك
لم تكن المنشفتان فى وضع سيمترى، نزلت فوق زجاجة التنظيف تماماً،
فأوقعتها. ثم، حدث ما حدث يا صاحبى. "تثاغب إنريكو. "الآن أنت
تصغى، أذتك كبرت فجأة". بكلتا يديه يرسم أذنًا كبيرة فى الهواء. "كان
الأمر غريباً، غير معتاد إطلاقاً. ولا حتى ساحر كان يستطيع الخروج
من المأزق، ليس دائماً، لأن الأمر يتوقف على الحظ". شرب إنريكو
جرعة. "انحنيت، ورفعتها، المنشفة يا صاحبى، وهكذا اعتادت زجاجة
المنظف مرة أخرى، ولكنها ظلت تتأرجح. وقفت بهدوء. ببطء رفعت
المنشفة إلى أعلى، وسحبتهما كما يسحب الساحر المنديل من قبعته.
لم تعد زجاجة المنظف تهتز. أردت أن أقول شيئاً، شيئاً يبعث على الأمل،
لأن ما حدث علامة طيبة، بالنسبة إلى ليديا وإلى، معجزة، ما حدث يغير
معنى كل شيء". تناول إنريكو الكأس مرة أخرى ومر بظفر إبهامه على
طول الحز المحفور. "هل رأيت ذلك؟ سألتها، ولكن لا إجابة، تيار هوائى
فقط، الأكرة تتحرك، بهدوء، كما تغلق الأبواب دائماً، ثم باب الشقة،
تراك، وبعد ذلك سمعت وقع خطواتها على الرصيف. راحت الرغاوى
تنفثى، الرغاوى التى لم تنزل مع الماء، أنت تعلم ما أقصده. كانت تريد

دائماً رغاوى كثيرة. عليك أن تنتظر جيداً، عندما تنتفخ الفقاعات. فى كل لحظة تنفجر مئات من الفقاعات، تسيك، تسيك، تسيك، قال إنريكو. "هذا هو آخر ما سمعته من ليديا". شرب الكأس حتى آخر نقطة ووضعها بقسوة على المائدة.

عندما رفع رأسه مرة ثانية لم يتعرف سوى على استدارة الكتف الأيسر لدى باتريك ومنبت ذراعه الذى تميزت حدوده أمام النوافذ المقابلة المضاء والضوء الباهر من أعمدة الأنارة. رأى خيال النباتات والمسند الخشبي فى أصيص الزهور وعلى يمينه منظر الرشاشة الجانبى.

حاول أن يميز بين الأشياء على المائدة: كأس البطولة الزجاجية التى ربحتها ليديا بدت وكأئها كأس آيس كريم، وفرشاة الأسنان فيه بدت كملعقة الآيس البلاستيكية، الحز الطولى فى كأسه كأنه ترس أو عجلة روليت، وإبهامه هو السن. السطور المكتوبة على ورق الحائط التحمت وتشابكت وتحولت إلى حبال سميقة، إلى متاهة.

لاحظ إنريكو أن الدنيا أظلمت فجأة، ولكن السبب هو - هكذا فكر - أن باتريك يحول بينى وبين الشباك، إنه يكبر أمامى ويتضخم. هذا الاستنتاج برهن له على أن عقله لا يزال يعمل بدقة، وأنه ما زال بكل خفة يستطيع إيجاد علاقة بين الأشياء، لا يزال يستطيع أن يكتب عن كل شىء، عليه فقط أن يريد. بجانب كرسيه رأى القط الذى لم ين يلعق أحد كفوفه، ثم يمسح بكفه على رأسه. إنه يريد وصف هذا أيضاً، كيف ينظف قط نفسه، ويريد أن يصف شخصاً يقف عند متبع الضوء فيقال

له: تزحزح قليلاً، أنت تحجب الشمس. راح إنريكو يضحك بصبيانية دون أن يصدر عنه صوت. تحسس جيوبه باحثاً عن قلم. لا يحتاج إلا قلمًا وورقًا. كان يريد أن يكتب عن كل شيء، عن العالم كله. تزحزح جانباً، هذا ما سيكتبه، لا يريد أكثر من هذا. إذا كنت أستطيع الضحك هكذا، قال إنريكو لنفسه، فيمكنني أن أكتب: لا تحجب عني الشمس. لو كان لدى قلم وورق لكتبت الآن. سمع إنريكو اسمه يتردد، وسمع اسم ليديا. اختفت عجلة الروليت من تحت ظفر إبهامه. لو كان ثمة مكان على ورق الحائط ... لم يعرف أى سؤال استدعى الكلمات التي راح شخص يصرخ بها في أذنه، وهل هو عطر ماء الحلاقة أم أنه النفس الذي كان يلامس وجهه. بالطبع نمت مع ليديا. كل شخص يجيء عليه الوقت ويغلبه النوم فينام، حتى ليديا، وأنا أيضاً، من غير نوم يموت الإنسان، قلت لنفسى، ولكن لا بد أن أكتب، ما يهمنى في المقام الأول أن أكتب، وحتى عندما شعر إنريكو بهذا الألم في الرقبة وعندما اصطدمت جبهته بالمائدة، حتى عندئذٍ لم يستطع أن يتوقف عن وصف العالم. إنه ببساطة لا يستطيع أن يتوقف عن الكتابة.

الفصل العشرون

أطفال

إدجار كرونر يحكى عن رحلة مع داني على طريق قديم للسيارات. المرأة تقود السيارة، أو عندما يحب الاثنان القيادة. حكايات حقيقية وأخرى مُخلقة. الحب الحقيقي يستطيع الانتظار.

لم تتخل داني عن مكانها أمام عجلة القيادة. جلست من البداية وحتى النهاية أمام عجلة القيادة، وحتى أثناء تموين السيارة بالبنزين أخذت تلعب بعض تمرينات ثنى الركبة بون أن تترك مكانها أمام باب السائق المفتوح. فى الأسبوع الماضى قصت شعرها قصيراً جداً بون أن تسألنى عن رأى فى ذلك. كانت متوترة لأنها لم تجد عملاً، وأيضاً بسبب تينو الذى يزداد التعامل معه صعوبة يوماً بعد يوم. عندما ودعته راح يصرخ بهستيرية ويركلها بقدمه. لم يرد أن يقضى عند أبيه أسبوعين فحسب. تبخرت كل مدخراتى بعد أن اشتريت المطبخ الجديد من "إيكيا". فى كل شهر نحتال بكل الحيل حتى نصل إلى نهايته، ورغم كل

ذلك لم ترد أن تستغنى عن سيارتها البليموث القديمة، هذا الطراز الذى يتيح للسائق أن يجلس على كنبه عريضة فى الأمام، وحيث يجد حاملاً يضع عليه علبة المشروبات الغازية، لم ترد أن تستغنى عن "جيمى الابن" فى مقابل "جيمى"، السكودا القديمة.

دانى ليست سائقة سيئة، سريعة بعض الشيء ربما، غالباً ما يصيبني الغثيان عندما أجلس بجوار السائق، وهذا الجزء من الطريق السريع القديم كان جحيماً، خبطة بين كل لوحين من الألواح التى تغطى الطريق، تعذيب أصلى. وكأنتى أرى فيلماً تعليمياً: العجلات ترتطم بحافة الألواح المطلية بالزفت، الارتطام يصل إلى المقعد ثم إلى العمود الفقرى. الخطبات تؤلم المأ فظيماً فى فقرات الرقبة على وجه الخصوص، ومباشرة تاتى الخطبة التالية من العجلتين الخلفيتين، والنتيجة: تتلف بعض الأعصاب، ويقصر المرء ثلاثة سنتيمترات، بالإضافة إلى الخطبات، ضايقتنى أن دانى ما زالت تتناول حبوب منع الحمل، مع أننا اتفقنا على إنجاب طفل. قالت إنها ما زالت صغيرة إلى حد ما بسنواتها الـ ٢٤ أو الـ ٢٥. أجبتها قائلاً: "كما تريد يا دانى." ماذا أقول لها إذا كانت قررت أن تؤجل الموضوع؟ هناك دائماً أسباب، ليست هذه هى النقطة، ولكن دانى بدأت مرة أخرى تقول إن من الأفضل أن نبقى بلا أطفال، "من يعرف يا إدى إذا ظللنا نحب بعضنا بعد عامين؟"

بعدها بكت واعتذرت، فاحتضنتها وسألتها: "عن أى شيء

تعذرين؟"

كانت تفرط في قراءة الكتب النفسية، هذه هي المشكلة، في البداية كانت كتب ميلر، ثم ك.ج. يونج. دائماً لديها مثال جديد، مثال ينطبق على الحالة فعلاً، كما تقول، قلت لها إنها تضيع وقتها فحسب بهذه الخزعبلات، ولكن الكلام لا يفيد، لابد أن تقتنع هي بذلك.

أنحني إلى الأمام . لبرهة أعتقد أن طائفة تصحبنا من جهة اليسار، ثم يتضح أنها مجرد وساخة على الزجاج، في تلك اللحظة تسألني: "هل تعرف آخر أخبار لوكاس؟"

داني شهدت تعميد لوكاس وأخيه التوأم، اختارها توم وبيلي لتكون إشبينة ابنتهما لوكاس، أما آخر أخباره فهو أنه قام بتسمير دبه القماش على السرير. عندما رآته بيلي صفعته ، لأول مرة، في اليوم التالي حاول لوكاس الإمساك بالبيغاء، لكنه استطاع الهروب، والآن كتبوا أوراقاً ملونة وثبتوها على أشجار القرية كلها، وفيها يتساعلون: من رأى هربرت، البيغاء ذا الريش الأصفر المائل للاخضرار، مرة أخرى شرحت بيلي للأطفال قصة المسيح، أما توم فإنه يبني معهم بيتاً للعصافير دقوا فيه كل مخزونهم من المسامير.

لأن داني لم تبتسم على الإطلاق توقعت أن تبدأ مرة أخرى في الحديث عن ك.ج. يونج أو ميلر، قلت إن بيت العصافير فكرة جيدة، ضغطت على الولاة المثبتة في السيارة ثم راحت تشرح لي أهمية السنوات الأولى في عمر الطفل، فالأخطاء التي تحدث عندئذ لا يمكن إصلاحها إلا بجهد هائل - هذا إذا تم إصلاحها على الإطلاق. هناك معلمون عديدون يستنفسون أعمارهم في التربية والتعليم بلا طائل،

كان هؤلاء المعلمون سירתاحون كثيراً لو أن مزيداً من الآباء كانوا آباء أفضل، أسألها من تقصد بهذا الكلام، إن ما يهمها - تقول - أن نفعل كل شيء بوعي تام، إذا أنجبنا طفلاً في يوم ما، أمر بيدي على فخذها في الجزء الذي ينتهي فيه بنظائرها القصير، وضعت داني يدها على يدي. عندئذ تقول إن أخطاء كثيرة ارتكبت في حق تينو، "لأنهم دلوه حتى أفسدوه"، أرد عليها. "لا، ليس لهذا السبب." إلا أننا لم نواصل التحدث حول هذا الموضوع.

بالرغم من أن داني قد هدأت السرعة إلا أن الخبطات تزداد سوءاً، لا حول ولا قوة للمرء أمامها . تفاحة صغيرة تتدحرج بين قدمي من حيث لا أعلم ، عندما التقطتها كان ملمسها يشبه التفاح المشوي في الفرن، متغضنة ودافئة، ثم انزلت أوراق السيارة وبرزت من مكانها تحت حاجب الشمس، أقول لها إن عليها أن تتجاوز هذا الغبي أمامنا ثم تلزم الحارة اليسرى، ولكن على اليسار كانت السيارات تزدهم خلفنا مضيئة أنوارها الجانبية، وجدنا أنفسنا مجبرين على العودة إلى الحارة المليئة بالمطبات، وضعت التفاحة المشوية على حامل علب المرطبات.

أصابع داني تعبت بعبء "لاكي بسترايك"، ثم قربتها من فمها ونجحت في تصيد سيجارة بشفتيها، سألتني والفلتر بين الأسنان إذا كنت أريد أن أدخن أنا أيضاً، وأنزلت زجاج شباكها قليلاً، "لا أشعر بأنني على ما يرام"، قلت لها.

"لقد تخيرنا يوماً ما يعلم به إلا ربنا!" قالت وهي تمر بإيهاها تحت حزام الأمان، ثم مطته وتركته يعود إلى وضعه، أعتقد أنها لم تدرك في

تلك اللحظة كم أحب هذا المنظر، أخذت أتأمل يدها اليمنى التي أمسكت بها السيجارة، كان يمكن رؤية العروق في ظهر يدها، لكن ليس بوضوح كبير، أما الزغب الأشقر على ساعدها فلا يلاحظه المرء إلا عندما تلوحها الشمس:

طلبت منها مرة أخرى أن تبقى على الحارة اليسرى بقدر الإمكان، وأن تقف عند محطة البنزين القادمة، أبطأت السرعة، تهيأ لي أننا السيارة الوحيدة التي تسير ببطء نون أن تتجاوز السيارات الأخرى، ولكن قبل أن نصل إلى محطة بنزين فإن الأمر لا يستحق أن نتجاوز أحداً، دهست داني السيجارة وأنزلت زجاج الشباك عن آخره، ثم تركت يدها اليسرى متدلّية وكأنها تتأمل أظفارها في المرآة العاكسة، على الأقل الآن كان يمكن لهذه الإجازة أن تصبح جميلة، الألواح على الطريق ستنتهي في لحظة ما، كما أن هدفنا قد اقترب، اعتقدت أنني سأقود السيارة بعد محطة الوقود، وعندما أسوق بنفسى لا أصاب بالغثيان. عندئذٍ ستقترب داني منى، وتخلع صندلها الجلدى وتضغط بأصابع قدميها على الزجاج الأمامى مقربةً ساقها اليسرى كي أمسدها، لدى الأمل فى أن تعثر على عمل فى أكتوبر أو نوفمبر، قلت لها: بدلاً من أن نغير الواقى من الصدمات، فمن الأفضل أن نشترى سيارة جديدة. وجدت نفسى أتفرج على داني وهى تمر على محطة وقود نون أن تتوقف، عندما مررنا عليها قالت إن المرء ما زال يدفع فى السيارات الألمانية ثمن حمام السباحة للعمال، أما السيارات الفرنسية والإيطالية فإنها لا تصلح لشيء، واليابانية لا طراز ولا شخصية لها. فجأة رفعت قدمها من على نواصة البنزين، فاندفعت إلى الوراء، ثم مرةً أخرى حدث ذلك عندما خفّضت السرعة.

قلت لها: "حمام السباحة - كلمة أربطها أكثر بأمريكا." أغاظتني الطريقة التي مطت بها شفيتها السفلى، وكيف وضعت علبة الفانتا على الحامل مائلة وكأنها فارغة. مسحت بظهر يدها على فمها، وضغطت بالعلبة على رقبتها، ثم دحرجتها على فتحة الصدر، وأمسكت بها في النهاية على الكتف. "هذا لا يغير من الوضع شيئاً"، تكلمت داني بخفة مبالغ فيها، قلت لنفسى إن الجالس بجوار السائق يجد نفسه دائماً في موقف سخيف، كما أن تهدئة السرعة فجأة تضر السيارة بالتأكيد. إنها تطيل أيضاً في إعطاء الإشارات الضوئية. أما محطة البنزين القادمة فتبعد كما يبدو ٦٤ كيلومتراً. الزجاج الأمامى المبقع بأجزاء الحشرات المتناثرة يحتاج إلى غسيل. شعرت بالغثيان. الحارة اليمنى كارثة. أردت أن أفعل شيئاً، أن أقول شيئاً، ولكن نون أن أسألها إذا كانت ربما لا تمنع فى أن أتولى أنا القيادة، لم يكن الوضع يبعث على المرح بأى حال من الأحوال. رحلت أتخيل موقفاً كالتالى: أن أرتكبُ حماقة وأحكى لها شيئاً يثير استفزازها على الفور، فإذا شرعت فى الحديث عن نظريات ك.ج. يونج، عن "المطابقة والسببية". كنت أنوى أن أحسم الأمر بصورة نهائية وأقول لها إننى أعتبر ذلك كلاماً فارغاً، وإننى لن أصغى فيما بعد لمثل هذا الهراء. أردت أن أنصحها بأن تهتم بالموسيقى. إنها على كل حال شىء حقيقى، أو بالفلك.

سألتها: "هل حكيت لك عن رحلتى بالقطار؟" من الطريقة التي قالت بها: لا، لاحظت أنها متعجبة، لأننى قمت بالرحلة قبل ما يقرب من أسبوع. على كل حال بدأت أحكى عن ولد وبنيت لم يتوقفا عن العدو فى

الممر جيئةً وذهاباً. قامت الأمان بوضع حيوانين من القماش - بنجوين وظيفدعة ضخمة - على المقعدين المقابلين لي على الجانب الآخر، ثم عادت المرأتان إلى مكانهما في نهاية العربة، وجدت نفسي أفكر رغماً عنى في التوأم توم وبيلي، وكيف يتصرفان حتى أضيف إلى الموقف كل التوابل اللازمة.

"طوال الوقت لم يتوقف الطفلان عن الصراخ"، أكملت حكايتي. "حاول رجل نو رأس أصلع وصوت عالٍ أن يهدئهما. زوجته كانت مستغرقة في النوم، أو تظاهرت على الأقل بذلك. بعد وقت قصير غادرا العربة، ثم تبعهما آخرون عندما بدأ الطفلان يفتحان غطاء صندوق الزبالة ويغلقانه، مما أصدر صريراً فظيماً. لم يظل جالساً إلا رجل عجوز بدين راح يسب الطفلين، فتوقفوا برهة، ثم واصلوا الدوشة والهيصة. سار العجوز في الممر هاراً رأسه حتى وصل إلى المرأتين."

"كم يبلغ عمرهما؟"، سألت داني. قلت لها إنه يصعب على دائماً أن أقدر عمر الأطفال، ربما في العام الدراسي الأول. "قصدت المرأتين"، أضافت داني، "حوالي ٢٥"، أجبتها، ثم صمت لبرهة.

كانت سيارتنا تخرج من مطب لتدخل في آخر. كنا نسير خلف شاحنة قلاب عملاقة لفنا عادمها بغلالة حجبت عنا الرؤية.

"ثم لعب الطفلان لعبة الهجوم" - هكذا أطلقا عليها، قلت مواصلاً الحكاية. "كان على البنت أن تجرى في الممر، والولد يجرى ورائها ويمسك بها، ثم يطيح بها أرضاً. بعد ذلك يتبادلان الأتوار، وعندما كان الدور على الولد وقف العجوز بينهما. قال الولد إنه يريد عندما يكبر أن

يدخل الجيش حتى يخنق أعداءه. كان ينطق بمثل هذا الكلام بينما راح العجوز يسب ويلعن ويقول إنه لن يفعل في الجيش أبداً ما يريده، بل على العكس، في الجيش تحديداً يسود النظام.

أمسك بالصبي من ذراعه وهزه، ثم سمعت العجوز يسأله: "ماذا تريد أن تفعل في يوغسلافيا؟" هنا توقفت مرة أخرى عن الكلام. وجهت داني إلى نظرة قصيرة، لأول مرة خلال الرحلة كلها، "ماذا تريد أن تفعل هناك، سأل العجوز. راح الولد يكرر: أخنق أعدائي!"

"وبعدين؟"، سألت داني.

"تركه العجوز يجرى".

"وأنت؟" تجاوزت داني الشاحنة القلابية ثم رجعت إلى الحارة اليمنى ومعها عادت المطبات، مع أننا نسير على سرعة ٦٠ على أقصى حد.

عندما أدركت ما يدور في رأسها قلت لها: "الصبي عنده بست أو سبع سنوات ..."

"ومسموح له كل شيء ...؟"

"داني ..."، صحت ولم أعرف ما أقوله. لقد تحولت بالموضوع إلى منحي آخر تماماً.

"غير معقول"، قالت هامسة، وزفرت ببطء من خلال أسنانها فأصدرت فحياً. عدلت من وضع مسند الظهر عندي لمجرد أن أفعل شيئاً. "لم يخطئ الولد في كلامه"، قلت لها. "وطالما لا تريد أحد أن يفعل

شيئاً، فستستمر المذابح لتنظيف البلد كلها وتنقيتها عرقياً. ليس من المعقول أن نتفرج على ما يحدث. " كم من مرة شرحت لها رأيي في هذا الموضوع، وكنت أعتقد أن ما أقوله يبدو معقولاً. أردت أن أطلب منها أن تقف أو تسير في الحارة اليسرى لأنني أشعر بغثيان فظيع. بدلاً من هذا كانت سيارة وراء الأخرى تتجاوزنا، وأخيراً لاحت لنا التفريفة التي تنتظرها.

داني تسير الآن على طريق كالحرير، وضعت يدي على ركبتها وسألتها إذا كانت تريد سيجارة. لم تنبس بكلمة. رأيت على ظهر يدي آثار الحرق الذي نجم وأنا أخرج الخبز من الفرن، لم يتبق منه سوى نقطة حمراء. بالتأكيد ستضع داني يدها في لحظة ما على يدي. طائرات شراعية تحلق الآن فوق الحقول.

أجمل شيء أستطيع تذكره هو أنني نظرت فجأة إلى النعل الداخلي اللامع لضندلها الجلدي، ثم رأيت على نواصة البنزين قدمها الحافية وأصابعها المطلية. لوهلة اعتقدت أن هذا يفسر سبب تقدمنا الآن بسرعة وبلا عوائق.

عندما بدأنا نتحدث مرة أخرى، كانت كل كلمة تتسبب في شجار. قالت إنها لا تستطيع التعرف على، إنها لا تصدق أبداً أن شيئاً كهذا يمكن أن يصدر من فمي. لقد عقدت الدهشة لسانها. اعتقدت أنها ستجهش الآن في البكاء والعيويل، إلا أنها أضافت بمرارة: "هل تُعيد على ما قلت؟" قلت لها إنها تأخذ الأمور مأخذاً سهلاً، سهلاً جداً. نظرت داني

بعناد إلى الأمام. قالت إنها كانت لفترة طويلة تفكر مثلي، لكن هذا خطأ كبير. سنة ٨٩ لم تكن ستتكم هكذا أبداً، أبداً! مراراً وتكراراً كانت ترفع يدها عن عجلة القيادة ثم تعيدها وكأنها لاعبة جمباز أو حاملة أثقال، مكررةً أنها لا تستطيع أن تصدق أن الذي يطلق الكلام هكذا على عواهنه هو أنا.

زودنا السيارة بالوقود، وراحت داني تلعب تمارين الركبة بينما قمت أنا بالمهام الأخرى. أثناء العشاء كنا نقرأ الجريدة أو نحملق في قطعة الزبد الموضوعة بيننا. في الصباح التالي رجعت إلى البيت.

بقيت الأربعة عشر يوماً وحدي في البيت الصيفي على بحيرة شارموتسل، على أية حال لم يكن بإمكاننا أن نستعيد ما دفعناه. بمجرد استيقاظي من النوم كنت أرتب سريري وأنظف الغرفة على الفور حتى لا يتسخ شيء. لم أغانر البيت إلا للسباحة، بل واشترت مرتين زهوراً لأنني وجدت زهرية في نولاب المطبخ.

حاولت أن أفكر بهدوء في علاقتي بداني وتينو، ولكن ما خطر على بالي كنت أعرفه من زمان. إنني أرى أنه من الطبيعي أن يرغب الإنسان في طفل من صلبه، ولكن ليس معنى ذلك أنني لن أعتني بتينو. حتى اليوم الأخير كنت أعتقد أن داني ستأتي على الأقل لتوصلني.

في البداية انتقلت مع تيري وتينو إلى أبيه، يعني إلى زوج أختها. ظلت أمل لمدة طويلة أنها ستتصل بي في عيد ميلادي. على الأقل من أجل أشياء كثيرة في الشقة: جهاز الـوكمان والكتب وسي دي المغنية ماريا كالاس والوحش الرمادي، كرسيها المبطن المفضل - وكل الأشياء

التي اشتريناها معاً - طقم المطبخ والحصير والأبجورتين وكرسی البحر، لم أكن أستطيع أن أتصل بها وأقول: "ألو داني، اليوم عيد ميلادي. ألا تريدان أن تهنئيني؟"

شعرت بالغضب تجاه بيلى وتوم لأنني كنت يوماً أتخيل أنهما نصحاها أن تفارقني. بعد نصف عام، في أواخر يناير، فصلت من عملي. لم يتخيل أحد في الصحيفة أن الفصل يمكن أن يطولني، أنا فقط كنت أعرف أنهم يقصدونني في المقام الأول عندما تحدثوا عن "أننا لا بد أن نصبح قادرين على المنافسة". كافة قرارات الفصل - حتى فصل مراسل صحفي خارجي سيئ مثلي - لم تتخذ من أجل صالح أغلبية العاملين فحسب، بل أيضاً لصالح اقتصاد البلد كله، أي لصالح أنا أيضاً في نهاية الأمر.

لم يكن ينقص إلا هذا الجزء حتى تكتمل الصورة البائسة التي كنت أراها منذ رحيل داني؛ لذا كان منطقياً أن أوفر الجهد والتعب، وألا أرفع قضية أمام محكمة شؤون العمال.

في البداية لم أجد الأمر سيئاً، أن تنتقضي فترة البحث عن عمل بما فيها من فقدان ماء الوجه. كنت قد سئمت الوجوه العكرة المتهكمة التي كانت تعرفني من قبل. لم أحزن إلا من أجل بيت. العمل معه كان في بعض الأحيان لطيفاً ومسلماً.

أردت أن أستفيد من الوقت فبدأت في قراءة كتاب شتوريج "الموجز في تاريخ فلسفات العالم"، إلا أنني تعثرت في القراءة قبل أن أصل إلى أفلاطون. عندئذٍ قررت أن أقرأ رواية روبرت موزيل "رجل بلا سمات" -

الأجزاء الأربعة اقتنيتها منذ فترة طويلة - لكنني فقدت الرغبة بعد ثمانين صفحة. مع نادي اللياقة البدنية أبرمت عقداً لمدة نصف عام بمبلغ ٤٤٩ ماركاً، إلا أنني لم أذهب بعد الأسبوع الثاني، بل لقد توقفت حتى عن استذكار الحصة اليومية من المفردات الأساسية للغة الإنجليزية من كتاب لانجنشايث الملقى بجانب سريري. لم يعد يخطر على بالي أى شيء يمكن أن أتحدث عنه. عندما ألقى نظرة إلى الوراء لا أعرف ماذا كنت أفعل خلال ثلاثة أرباع ذلك العام، غير أنني أشتريت مكنسة وأننى كنت أتقابل أحياناً مع أوتته، لم أستطع السيطرة على أمورى، لئن أن أعلم لماذا.

كنت أعتقد أنني الوحيد الذى يلاحظ أن الأرض تدور. لم يفهم أحد عن أى شيء أتحدث، مع أنني منذ وقت طويل وأنا أتأمل فى هذا التعبير. الأرض تدور، ولا يستطيع المرء سوى انتظار أن تواصل دورانها، وفى تلك الأثناء يتغير المنظور، أى أن المرء يرى الأشياء أحياناً بطريقة مغايرة، إلا أنني لسبب لا أعلمه كنت أرى دائماً الأشياء نفسها.

وفجأة حصلت على عمل كنت قد تقدمت إليه برسالة عادية من تلك الرسائل التى ينساها المرء بمجرد إرسالها. فريدريش شولتسه، برلين مارينورف، شركة النقل الدولية - لديهم فروع جديدة فى كريميتشاو وجوتيبورن. مرتين فى الأسبوع أسافر الآن إلى فرنسا ومعى خل ومسطردة من مدينة ألتنبورج لسلسلة أسواق ليدل. يتيح لى عملى وقتاً كافياً كي أحلم بامرأة اسمها داني لم تقص شعرها، تعيش الآن مع زميل سابق لى، مصور من صحيفة باير هجرته زوجته، رأته مرة عند توم وبيلى. لا يناسب داني.

ربما كان لابد أن يحدث كل شيء على هذا النحو. أريد فقط أن تلاحظ داني في يوم ما أن مكانها ظل شاغراً، أنني أحبها فعلاً، هي ولا أحد غيرها، حتى وإن لم أعرف في بعض الأحيان ماذا ينبغي أن نفعل معاً، أو عن أي شيء سنتحدث. أنا على كل حال أعتبر ذلك شيئاً ليس شاذاً: أن أحب شخصاً واحداً فقط، وألا أحب غيره، حتى وإن كان المرء لا يعيش مع هذا الشخص، بل ولا يقابله.

قبل عدة أسابيع رأيت سيارتها "جيمي الصغير" في موقف سيارات المركز التجاري "كاوفلاند". لم يكن هناك أحد فنظرت داخل السيارة، لم يتغير شيء، وكأنتي سأركبها الآن، فقط التفاحة لم تكن موجودة.

أتخيل ماذا كان سيحدث لو أنني كنت السائق، ولو أنني لم أخترع حكاية الطفلين تلك ... كانت داني ستقترب مني، وستضع رأسها على كتفي، وتخلع صندلها، وترفع قدمها وتضع كعبها على أقصى يمين التابلوه. كان شعرها سيسقط على ذراعي، بينما كانت أصابع قدميها المطلية ستضغط على الزجاج الأمامي. كانت ستتعس لأنها منهكة تماماً، وفي المساء كنت سأقود السيارة حتى شاطئ البحيرة، وهناك أقبلها على عينيها هامساً: داني، انظري أين نحن الآن.

الفصل الحادي والعشرون

إبر

مارتين مويرر يستقبل في شقته الجديدة أول زائر.
من سييتزوج فضيلة؟ أسماك في الزجاج
والسلطانية. سير حياة. تنظيف سطح بلقونة.
من تنتظر؟

فيني، فيدي، فيتشي، يقول طاهر^(١) راجعاً برأسه إلى الوراء
وهو يضحك. يظل واقفاً على آخر درجة من السلم، ويعطى زجاجة المياه
المعدنية الكبيرة لمارتين الذي يسند ظهره باب الشقة ليظل مفتوحاً.
"من أين جئت؟ العزال كان من أسبوع."
شوف!، يقول طاهر.

(١) طاهر هو أحد اللاجئين المسلمين من اليوسنة والهرسك الذين هربوا إلى ألمانيا
منتصف التسعينيات بعد تفكك يوغسلافيا واندلاع الحرب الأهلية هناك، وهو يحاول أن
يتحدث ألمانية سليمة، لكنه يخطئ. (المترجم)

لا، اثنان؟ وواحدة أخرى! راح مارتين يتأمل الأسماك من الشق
الفاصل بين الزجاجتين.

قال طاهر: إذا تركتهم فى الزجاج سيكبون جداً ... nobody ...
لن يعرف أحد كيف دخلوا فيها.

يرتدى طاهر قميصاً باهت اللون على صدره تمساح صغير،
وينظرون أسود يلمع عند حواف الجيوب، وقفازاً قديماً وعلى الزراع
جاكته.

طوالى يا طاهر، على طول. مارتين يغلق باب الشقة.
هل تعجبك؟ هات، يقول طاهر. يذهب بالزجاجة إلى الأرفف على
الحائط، ويزيح السيارات الصغيرة والأحجار، ثم يسحب إلى الأمام
زجاجة على شكل سفينة. عندما تكبر الأسماك لابد أن تفعل هكذا.

الزجاجة ... الزجاجة يا طاهر، وليس الزجاج.

يضع طاهر الزجاجة بالعرض على الرف. يلمس الغطاء المعدنى
الأزرق فليز زجاجة أخرى.

وماذا أعطيها لتأكل؟

يستدير طاهر ويترك سبابته تقفز على ظهر يده. ما اسم هذا؟

آه، قال مارتين، براغيث، لغاية يوم الاثنين؟ هل محل الأسماك ...

كلاهما يرتعبان. تتدحرج الزجاجة على الرف الأسفل وتقع
بلا صوت تقريباً على السجادة.

"ما حصلش حاجة"، يقول طاهر وينحنى على الزجاجاة .
"ما حصلش حاجة".

كان مارتين يقف على ورق الصحف بجوار حذائه الرياضى مرتدياً
جورياً وينطلون جينز يصل حتى أسفل الركبة. عند الشباك أمسك
بفرشاة مسطحة، وراح يغسلها فى برطمان مملوء حتى منتصفه ضاغطاً
بالفرشاة على قاع البرطمان.

"يمكنك أن تساعدنى. كنت أريد أن أعرفكما ببعض، أنت وشتويير.
لديه امكانيات أكثر بكثير، بكثير!"

أمسك طاهر بالزجاجاة بين إصبعين مؤرجحاً إياها، ثم قال: "كان
لازم ألعب شطرنج".

"كنت ستكسب هنا أكثر من ١٥ ماركاً - كم يتقاضى الواحد الآن
مقابل لعب الشطرنج؟ أخى، بت، كان هنا أيضاً، هو الوحيد الذى لديه
أشياء تتاسبك".

"إيه ده؟" يسأل طاهر.

"محلول بديل للترينتين".

"لا. تيك تيك تيك. clock .. أأ .. ساعة؟"

"فظيع، مش كده؟ كأنها قنبلة زمنية. اعتقدت أنك الكهربائى".

"أنا مش كهربائى".

ليس أنت! أنا أنتظر الكهربائي، الذي سيعمل لي هذا، واعتقدت
آه، آه، يقول طاهر هازاً رأسه.

صوت كائننا في محطة محولات كهربائية. يصدر مارتين أزيزاً
ويحاول أن يغطي على الصوت. وفوق ذلك هذه التكات. إذا كانت هذه
هي التكنولوجيا الحديثة ... إذا لم يصلحوها لن تدفع، **no money**، بكل
بساطة. يجفف مارتين الفرشاة في لباس متهرى. هذه الشقة كانت
شقة البواب، ليس إلا. عليك أن ترى المنظر عندهم تحت. مبنية على طراز
اليوجندستيل، طابقان، فخامة لا توضع. كان كل هذا روضة
أطفال، لكن سوء الإدارة أفسدها، وهنا على السطح شقة البواب،
لها مدخل خاص.

يلقى طاهر الجاكيت على كتفه ويمسكه بإصبعه. يتبعه إلى الممر.

لَتَيْنُو، إذا جاء مرة. الباب مدهون أيضاً. يضغط مارتين بأنامله
على الأكرة. الستارة محشورة بين المصراعين. صغيرة قليلاً،
ولكن ماشى الحال. يفتح الشباك ويهدم الستارة، ثم يخرج ويفتح الباب
المقابل.

أنام هنا، لا شيء تتفرج عليه. لا يتكلم شتويير عن هذا الموضوع،
ولكنه بالتأكيد دفع ما لا يقل عن مليون لهنئين بالدورين. مقايض النوافذ،
كلها مصنوعة خصيصاً، جميلة، مش كده؟ كان شتويير يخشى يوماً أن
يقوم البواب العجوز في يوم ما بتفجير هذا كله، لم يكن يسمح لأي أحد
بالدخول عنده. أتعرف كيف كانت هذه الشقة تبدو قبل ستة أسابيع؟ لن

تستطيع أن تتصور ذلك. انظر هنا. في الحمام يغلق مارتين غطاء التواليت. لم يكن بالإمكان وضع بانيو أكبر، ولكن المهم أن هناك بانيو. أضغط هناك، ضوء إضافي. والمرأة! قمت باختيارها بنفسى ووضعت له الفاتورة في صندوق البريد. لابد أن يدفع أجرتى أنا أيضاً، والآن أفضل شيء .. هل تغلق الباب؟

في المطبخ يغلق مارتين باب البلكونة على الآخر، ثم يزيح بقدمه إسفيناً خشبياً تحت للباب. عندما ينتهى العمل هنا... بلكونة مع شقة، وليس العكس. تفضل يا سيدى! يأخذ الزجاجاة من طاهر. حتى لا تلقيها على رأس أحد، يقول ويضعها على المائدة.

تجتم على مارتين أن يتناول من الدولاب السلطانيات البلاستيك الثلاث كي يصل إلى أكبرها. وضع فيها ماءً بارداً ثم راح يهزها. ألقى الماء ثم فتح غطاء زجاجة الماء المعدنية. صاح قائلاً: لا تسمع هنا إلا صوت العصافير. أشجار السنوبر نادرة في هذه المنطقة. الطحالب أيضاً. السنوبر والطحالب. يمسك مارتين بالسلطانية فى وضع مائل وكأنه يملأ كأس بيرة. ينساب الماء إلى حواف السلطانية ببطء يرفع الزجاجاة إلى أعلى.

كنت أعتقد أن فضيلة عندك، ربما. طاهر يبقى واقفاً عند باب البلكونة.

فضيلة؟ إنها خطيبك أنت. مارتين ينزل الزجاجاة. أنا لا أعرفها على الإطلاق. كيف لها أن تعرف أن

"أنا أحكى كثيراً عنك." يطوح طاهر رأسه إلى الوراء ويضحك.
"نتكلم كثيراً عنكم يا بني آدم."

"عنك، إذا كنت تقصدني. عنك، عنكما، عنكم." يُنزل مارتين سمكة
من الزجاجاة ثم يدير غطاءها ويحكم إغلاقها. "على الزجاجاة رهن،
٢٥ فنكاً."

"نحن نتكلم عن فضيلة وأنت - ليه لأ؟" يعلق طاهر الجاكتة على
مستند الكرسي. من المحفظة يخرج صورة بالألوان، ثم يمسح بيده على
المائدة ويضعها أمام مارتين.

شابة حافية ترتكز على حائط مطلي، ترتدى بنطلون جينز باهتاً
وقميصاً من الفلانل، وشعرها مقصوص على موضة الأمير إيزنهترس.
عظام وجنتي فضيلة مقلقة للنظر، ونظرتها جادة.

"هل تشبه؟"

"من؟"

"أسألك أنت يا بني آدم!"

"حسب تسريحة الشعر والطول"، يرد مارتين، "تشبه المغنية
الفرنسية ماري ماتيو."

"لا، جوليت بينوش. لا تضع ألواناً حتى تنتظر جميلة."

"حتى تبدو جميلة."

شاي ف طولها؟ صغيرة، هكذا! يصنع طاهر بأصابعه مسافة
قدرها عشرة سنتيمترات. هكذا! واتسعت أصابعه وكانت مؤشراً.
ليس أكثر.

قدم فضيلة اليمنى موضوعة على اليسرى، ركبتيها مثنية.

حذاء صغير جداً، مثل جوليت بينوش.

هل عند الصغيرة حذاء؟

لا أعرف، ويضحك طاهر.

اعتقدت أن فضيلة في برلين؟

يتأمل طاهر الصورة. تسكن شارع لايبنتسج. ماما في برلين.

المرّة الأخيرة كان العكس. يفتح مارتين باب الدولاب. وأبوك؟

يضحك طاهر ضحكة قصيرة.

هل هو أيضاً هنا؟

تبحوه.

أبوك؟ كيف؟

طاهر يضحك، ويضع قبضته على سرتة، ثم يسحبها حتى نقتنه،

قائلاً: شقوا بطنه.

"أنا قصدت ... لم أقصد ... أنا أسف." يزيح مارتين علبة بها شرائح خبز محمص، وكيساً به مكرونة وآخر به حبوب موزلي وثمار توت مجففة. "أين حدث ذلك؟"

"في المستشفى، في بريتشكو."

"سنذهب فيما بعد لنأكل شيئاً، موافق يا طاهر؟ أم تريد شيئاً الآن؟" يشير مارتين إلى علبة مرسوم عليها بؤدنج بالشيكولاتة، وعليها كريمة صفراء.

"من غير طبيخ!"

طاهر يهز رأسه.

"أنت معزوم. أنت أول ضيف يزورني هنا. سنذهب، موافق؟"

"موافق"، جاوبه طاهر.

"أنت جوعان؟"

"آه."

"عندما أنتهى من كل شىء هنا سأعمل حفلة، عندئذٍ ستجنىء ومعك فضيلة، موافق؟ هل ما زال الريحان صالحاً؟"

مارتين ينقر على الكيس من الأسفل.

يصطدم طاهر برجل المائدة، تهتز المياه وتصل حتى الحافة. "ليه مش جواز مع فضيلة - ليه لأ؟"

كلتا السمكتين البرتقالييتين تلمسان بفمهما قاع السلطانية. السمكة الزرقاء تسبح ببطء. يفرم مارتين أوراق الريحان. "إذن أنت لا تبحث عن فضيلة؟" قال ناظرًا له.

"أنا أبحث عن فضيلة. فضيلة ... بقبضته اليسرى يحاول طاهر الإمساك بناموسة. ببطء يسحب أصابعه على كفه الأخرى:

"لا شيء"، يقول مارتين.

تتفرج أصابع طاهر ويشير إلى البقعة بين الوسطى والبنصر. يلقي بالناموسة في السلطانية. "كنت أعتقد أنكما مخطوبان؟ أنت قلت إنكما مخطوبان، والآن تسألني إذا كنت أريد الزواج منها!" يضع مارتين كيس الريحان في الثلاجة. "هل تعتقد فعلاً أنها ستأتى اليوم؟ أن فضيلة ستأتى إلى هنا؟"

"أعتقد."

"من أين حصلت عليها، الأسماك؟"

يضع طاهر الصورة في محفظته. "واحد كسر حوض سمك، خناقة كبيرة بين الكل. كل واحد أخذ ... هذه ... يحرك أصابعه.

"... هذه ما زالت تعيش، وتلعب في الماء."

"أيوه، تلعب في الماء."

"كسر حوض سمك؟"

آه. يدس طاهر المحفظة في جيب الجاكيت. فتات من الريحان يلتصق بحافة السلطانية.

تسأجن من هذه التكات من صندوق المنصهر. أم أنه يهياً لى فقط يا طاهر؟ كم الساعة الآن؟ يشير مارتين إلى معصمه.

يمسك طاهر بمعصمه الأيسر ويدير الساعة إلى أن يرى الميناء. عقرب الثوانى ينط ثم يرجع إلى مكانه.

قال مارتين: أنت بحاجة إلى بطارية جديدة. تحتاج بطارية. هل تساعدنى فى البلكونة؟ هناك خطورة إذا فعلت هذا وحدى. أريد أن أكنس المظلة فوق البلكونة.

هل هذا هو أنت؟ يأخذ طاهر صورة من على الصندوق الذى يحفظ فيه الخبز.

عرفتنى؟ إلى أقصى اليمين، هذا الذى يقرفص، كان عمري عشرين سنة. يدور مارتين حول المائدة. هذا، قابلته أثناء العزال. وهذا، ينقر عليه، نسى الصورة عندى، ديمتريوس، يونانى. يسحب مارتين من الثلاجة زجاجتى "كلاوستالر" (*). دعك من كل الذين فى الصورة، كلهم، ولا واحد فيهم أصبح شيئاً.

ماذا لم يصبح شيئاً؟

(* كلاوستالر: ماركة بيرة خالية من الكحول. (المترجم)

واحد باحث في الفن، والآخر باحث في تاريخ الفن. تشرب كلاوستالر؟ منذ ثلاث أو أربع سنوات ظهر فجأة، ديمتريوس، بدون أن يتصل بي قبلها أو يخبرني بمجيئه. دق الجرس، فتحت، ورجع هو برأسه بين كتفيه. هكذا كان يبتسم يوماً، برأس مُلقاة إلى الوراء. "مارتين يقلده. "كان يحمل حقيبة ضخمة، وعلى بسطة السلم وضع شنطتين كبيرتين. "ممسكاً بزجاجة كلاوستالر في كل يد رسم مارتين نواثر كبيرة في الهواء أمام وجه طاهر قبل أن يضع الزجاجة على المائدة. "هذه هي حلقتنا الدراسية عندما كنا نجمع محصول التفاح. ديمتريوس له أصابع مثل عازف الجيتار أو الكمان، الأنامل متصلبة. كان يقرض أظفاره. "مارتين يعرض على أظفاره. "يقرض، فاهم؟ كان يتحدث الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والإيطالية وبعد عام في معهد هيردر في لايبسج الألمانية أيضاً، وطبعاً اليونانية، وكان يتحدث الروسية أيضاً، وكما هو الحال عند الشيوعيين - أبوه كان معتقلاً سياسياً في جزيرة ماكرونيزوس. آخر مرة رأيته سنة ٨٨، سنة البكالوريوس. آنذاك كان ينوى الزواج، فتاة دانمركية، ومعها يعود إلى الوطن، إلى اليونان. كان يريد التفرج هنا في متحف المدينة على الرومان القدماء، مثل جيدو دا سينا وبوتيشلي، إلى آخره. ثم طلب منى كوب ماء. في السابق كان يطلب نصف كوب. في صحتك يا طاهر."

"ليه؟"

"في صحتك. لأنه كان يريد أن يعانى، من أجل الشيوعية، من أجل العلم، من أجل ... "مارتين يشرب. "ببساطة من أجل كل شيء. الحقيقة والشنط كانت محشوة عن آخرها بالمواد، على حد تعبيره. قال إنه يريد

إرشاد الرفاق الثوريين، في كل مكان، وحيثما كانوا. لم يكن يعرف هنا أحداً غيري. قلت له إن قيام ثورة في ألمانيا أمر لا اعتبره محتملاً ولا مرغوباً فيه، عندئذ راح يعانى مرة أخرى وقال: كثيرون يفكرون مثلك، ولكن هذا ليس صحيحاً. في اليوم التالي ذهبنا إلى المتحف، ثم إلى المحطة. كنا نتبادل حمل الحقيقة. كان من الممكن أن تكون قبلة بداخلها. لم أسمع عنه بعد ذلك شيئاً على الإطلاق. لا تعجبك البيرة؟

وهذا؟

تجاسوسنا. ظهر هنا بعد أسبوعين من جنازة أندريا، زوجتى، لكى يسأل عن حالى. فى لايبتيسج لم نكن نتكلم مع بعضنا فى الفترة الأخيرة. حتى اليوم لا أعرف لماذا تركته يبيت هنا. ليس هنا، فى الشقة القديمة فى ليرشنيبرج. آنذاك انفعلت لأنه لم يكلف نفسه حتى عناء نزع الملاءة عن السرير. كما أنه لم يغتسل. فى الحقيقة كنت غاضباً من نفسى لأننى قمت بخدمته. لست سريع التصرف. كنت أريد ألا أراه ثانية أبداً، أبداً، وإذا حدث ذلك، كنت أنوى أن أقف أمامه قائلاً: هنا مكان لأحدنا فقط، إما أنا أو أنت. أخذت أتمرن على هذا حتى أعد نفسى لتلك اللحظة. "مارتين يشرب من الزجاجاة.

هل عندك؟

"هذا غادر لايبتيسج من زمان".

"مارتين الآن يسوع المسيح، ويحب الكل".

وطاهر يصوم لله وتفوح من فمه عفونة".

رائحتى كانت عفنة؟

نعم. لهذا قدمت لك أقراص نعناع. للهواء فقط. يحرك يده أمام فمه ثم يشير إلى بطنه. ليس من أجل هذا. هل تفضل المياه المعدنية على البيرة؟

وهذا، هنا؟

هذا فقد وظيفته وبدأ يشرب، أو فقدتها لأنه يشرب. طلق امرأته قبل ذلك. العام الماضي تقابلنا في برلين. لم يتغير، أقصد أن ما قاله هو ما كان يقوله فيما قبل، أيضاً لم يقرأ غير ما اعتاد على قراءته، لكنه أصبح يشرب يومياً. "برلين باردة زى الرصاص"، هكذا كان يردد: "زى الرصاص" - تعبير يعنى أن الجو بارد جداً. رمموا البيت الذى يسكن فيه، شارع كناك، بيت خلفى لا يطل على الشارع. كل شىء جديد، حتى المواسير. كانت هناك حفر فى الأرضية فى كل مكان، حفر كبيرة؛ ولأنه سكير فقد وقع مرة فى إحدى هذه الحفر، ووجد نفسه فى الطابق الأسفل حيث كاد يتجمد من البرد. المستأجرون الآخرون كانوا قد تركوا البيت منذ وقت طويل. ناس مثلنا لا يشرفون أحداً، فعلاً. يسير مرتين إلى الحوض ويغسل زجاجته. "هذه الواقفة بجانبى أقت برسالة الدكتوراه فى صفيحة الزبالة ولم تتمها. كانت أميرة جماعتنا. حتى فى بيت الطلبة كانت تمسح فمها أثناء الطعام بمنديل من القماش وليس مثلنا فى مناديل ورقية. الأساتذة الجدد جاؤا بمعارفهم إلى الجامعة. تعمل الآن مرشدة سياحية فى إيرفورت، وهذه الجميلة، السمراء، هذه الآن مطلقة وعندها طفلان، وتعيش مع أمها فى قرية بالقرب من تمبلين، أما الآخرون فلا أعرف عنهم شيئاً. هيا، لا تعذب نفسك." مرتين يأخذ

من أمامه زجاجة الكلاوستال ويغلقها ضاغطاً على السدادة الفلينية.
"هؤلاء أيضاً لا يأكلون بشهية"، قال منحنيًا على السلطانية. "لابد أن
يتعودوا أولاً على البيئة الجديدة."

أحضر مارتين حذاءه الرياضي، ثم جلس في المطبخ على كرسي
منخفض وشد لسان الحذاء وفك الرباط قليلاً.

كان من بين أساتذة ومدرسي الجامعة من يهتم فعلاً بأمرنا،
أو على الأقل بالدراسة. هؤلاء كانوا يريدون إنقاذ ما يمكن إنقاذه
ويريدون أن يتواصلوا معنا. كانوا مثلنا، لم يعرفوا اليونان أو مدينة
هيلدسهايم إلا من الصور. "يثنى مارتين قدمه واضعاً كعبه على حافة
الكرسي المنخفض، ثم عقد رباط الحذاء عقدين. "من أجلهم أشعر فعلاً
بالأسف لأننا لم نفلح. *I feel sorry for them*، فاهم؟"

يعيد طاهر الصورة إلى مكانها فوق صندوق الخبز.

"والآن، هل تساعدني؟" يذهب مارتين بالكرسي إلى البلكونة. يشير
إلى أعلى. "هذا مصنوع من البلاستيك المتموج، إذا كان هذا اسمه.
يصبح شفافاً عندما يكون نظيفاً. الوساخة متجمعة في التجويفات.
غصون شجر، أوراق إبرية، وقذارة. كل هذا ينزل من شجرة الصنوبر.
عندما أرى ما يجمعه شتويبر من طحالب كل يوم - إنه يفتخر افتخاراً
نظيماً بالطحالب. لم ينظف أحد هنا منذ سنوات طويلة. عليك أن
سندني، فقط تسندني." يهز مارتين السياج الحديدي المحيط بالبلكونة
بث ما زالت حوامل أصص الزهور مثبتة عليه، ثم يجر الكرسي ناحيته.
...كنى من هنا. "يمسك بحزامه. "الأفضل بيدك الاثنتين، هكذا. الأول

هنا ... " يسحب من خلف الدلو الملىء بمشابك الغسيل جاروفاً لعبة ومكنسة يدوية. "الأول هذا، ثم هذا."

يخبط مارتين بكف يده على حوامل المظلة. "المرّة القادمة الدور عليها. أكلها الصداً." يظفر الإبهام يكحت بقايا طلاء أبيض. "تبدأ؟"
طاهر يضحك. يركع مارتين على الكرسي القصير، ثم ينهض ببطء متشبثاً بحامل الأركان. يخطو خطوة نحو السياج الحديدى. "أمسك جيداً يا طاهر!"

يسحب مارتين قدمه الأخرى. "طاهر، هيا، أمسك جيداً!" يبطء بالغ ويظهر منحني يستدير مارتين.

"ماذا حدث؟ أين الجاروف؟"

"إنها تمطر."

"الجاروف!" يمسك مارتين بالذراع بين أسنانه، ثم يمد رأسه فوق المظلة.

"هذا حقل زراعى! كله على بعضه! شوف! مزبلة حقيقية!" صوت مكتوم يصدر عن أول خبطة فى هذه الحديقة الغناء. "حقل زراعى مثمر!"

يتتبع طاهر حركات مارتين. يتطلع إلى عضلات السمانة وإلى الحذاء الرياضى الذى يتجول ببطء على السياج.

يكرر طاهر: "إنها تمطر."

يثب مارتين على أطراف أصابع قدميه. "سأجعلها تمطر زبالة وإبر صنوبر. سترى كيف ستصبح هذه المظلة البلاستيكية منفذة للضوء. هذا

هو ما سيعطى الشقة كلها جمالاً." يده اليمنى تظهر ثانية تحت المظلة
وتضرب عدة مرات فى الهواء. "المقشة!"

يناوله طاهر يد المكنسة.

بعد لحظة يظهر رأس مارتين تحت المظلة البلاستيكية. شعره
مبلول، الوساخة تلتصق بذقنه وأنفه. يقفز إلى أرضية البلکونة. "هه؟ إيه
رأيك؟ الوضع الآن تغير تماماً." آخ، لم أنزل كل شىء؟" يخبط بالجاروف
الصغير من أسفل على السقف. "الآن يمكنك أن تعد الإبر الصنوبرية،
كل واحدة تقع على السقف!"

"الآن الصوت عالٍ جداً".

"عند المطر فقط"، يقول مارتين ماسحاً بكمه جبينه مروراً بالأنف
إلى الذقن. "أحب سماع صوت المطر على السقف. شوف فى غرفة
الجلوس إذا كان المطر دخل من الشباك، فاهم؟"

عندما عاد طاهر كان مارتين قابعاً عند الحائط. فى الحديقة يرمى
شخص بلعب أطفال بين الشجر. صوت نسائى يصيح عدة مرات: "كله
اتسخ! كل لعب الأطفال اتسخت!"

عندئذ ظهر توماس شتويير. يسير بحذر فوق الطحالب ملتقطاً
اللعب. بيد يحمل جراراً بثلاث عجلات، وشاحنة قلابة، باليد الأخرى
يجمع قوالب بلاستيكية مختلفة الأحجام، وفى كل مرة تخبطه العجلة
اليمنى الخلفية للجرار فى كعبه. الصنوت النسائى يعلو ثانية. فجأة
يستدير شتويير.

ولكن ليس على الطحالب! يزأر رافعاً يديه الممدوتين. يسقط منه قالب أحمر. يلتصق قميصه بكتفه. ينحني محاولاً أن يلتقط القالب بأصبع واحد. يعيد الكرة عدة مرات، إلا أنه يفشل. ينهض، ثم يطوح يديه عدة مرات قبل أن يرمى الجرار على سلم الفراندا، ثم يتبعه بالشاحنة. يلقي بكل الأشياء الأخرى إلى أسفل، ثم يمسك بالقوالب ويرميها عبر السياج.

"هو مجنون"، يقول طاهر "مجنون خالص."

من وضع القرفصاء يرمق مارتين السقف حيث يغطي صوت هطول قطرات المطر على كل ما عداه. إبرة من شجرة صنوبر تطل جانباً، مسافة ضئيلة، ثم ترجع إلى الخلف. بين الحين والآخر تقفز إبرة صنوبر تحت المطر، ثم بجانبها إبرة أخرى. بين لحظة وأخرى تتساقط الإبر.

"يا إلهي! صاح مارتين "أترى؟"

غطت الإبر السقف تماماً. أكداس من الإبر تغمره.

"ألا ترى هذا؟ تيك تاك، تيك تاك." يحرك مارتين إبهامه يميناً ويساراً.

"أيوه. كأنها سمكة صغيرة." يستند إلى إطار الباب "متى يجيء كهربائي؟ تنتظر؟"

"لا"، أجابه مارتين بعد برهة "يمكننا أن نذهب الآن." ثم نهض بيضاء مستنداً بظهره إلى الحائط.

الفصل الثانى والعشرون

ما فات مات

حديث فى موقف سيارات المستشفى فى لوزن.
رناتا ومارتين مويرر يحكيان حكاية إرنست مويرر
القصيرة. الدكتورة هوليتشك تسجل ما يقولانه.
مستقبل الحب. زوجة متوفية فى حادث، وصعلوكة
عاشقة.

"كيف؟" تتساعل رناتا مويرر، وتأخذ نفساً وكأنها تريد مواصلة
الحديث، ثم تحبس أنفاسها. بين ركبتيها يداها الملتصقتان. "لا، لم تكن
مفاجأة لى. لقد توقعت ذلك. لا يحتاج المرء إلى أن يكون عرافاً، فعلاً،
ولكن ... نظرت جانباً. "يعنى ... الأمر غريب فعلاً ألا يتحرك أحد قبل
أن تقع الواقعة، أن مثل هذه القوانين ..."
"أعرف"، قالت د. هوليتشك. "ولكن لابد أن نلتزم بالتعليمات، كما
أن ... ما هو البديل فى رأيك؟"

بيتسم مارتين. "لابد أن يقع الطفل في البئر حتى يستطيع أحد انتشاله".

"على كل حال"، تقول ريناتا مويرر، "هذا الدرس حفظناه الآن". رجعت بكتفيها إلى الوراء واعتدلت في جلستها. "ولكنني لم أعرف أى مصيبة يريد أن يفعل. كنت متأكدة من حدوث شيء، مثلما ينتظر المرء كلمة "أمين" من المصلين في الكنسية." شربت جرعة من الماء المعدني ووضعت الكوب أمامها على المكتب. "بل إنني أرى الأمر الآن منطقياً. كان لابد أن يحدث شيء في منتهى السخافة، شيء ليس له علاقة حقيقية به، شيء آخر لا يتناسب مع المخطط، مع النظام، سمه ما شئت، مع القوانين، وإلا فلن يفعل أحد شيئاً؛ لهذا السبب وحده أنا سعيدة أن إرنست فعل تلك الحماقات، وأن أحداً لم يصبه ضرر. كان رجلاً طيباً".

سأل مارتين: "كان رجلاً طيباً؟"

"بالفعل كان طيباً!"

"تقولين كان، إرنست ما زال حياً".

"طيباً ما زال حياً. ومع ذلك يمكنني أن أقول إن إرنست كان رجلاً

طيباً. ما هو الفظيع في ذلك؟"

"لا شيء"، رد مارتين.

"إنسان طيب - كما يقول الروس. هل تفضل ذلك؟ مارتين غير

راضٍ عني في الفترة الأخيرة."

نون أن تستدير سحبت د. هوليتشك الجاكتة التريكو من مسند الكرسى ولبستها فوق معطف الأطباء ذى الكم القصير الذى كانت ترتديه، والذى كان أكبر من مقاسها بنمرة أو نمرتين.

“ فى السابعة والعشرين تزوجت للمرة الثانية، قالت ريناتا مويرر. كان إرنست يحب الأطفال جداً. مارتين كان فى الثامنة وبيت فى السادسة، لم أكن أريد إنجاب أطفال أكثر. وافق على ذلك، رغم أن ابنه من زوجته الأولى كان قد توفى. كان لإرنست شرط واحد فقط، وهو ألا يكون لنا علاقة بزوجى الأول. إذا أرسل لنا هانز جوابات، كنا نعيدها إليه، حتى الطرود. كنت أرى أنتى لا بد أن أفعل ذلك من أجل إرنست. لم يكن مسموحاً له بعلاقات مع ناس من الغرب.”

“زوجك الأول من”

كان يعتقد، قال مارتين، “أنا سننتقل إليه إذا تمكن من الفرار إلى الغرب.”

“من يبتعد عن الأطفال، يكون قد اتخذ قراراً ضدهم - هذا كان رأى إرنست دائماً. فى البداية ظننت أن إرنست يرغب فى فقط لأنه مكلف بهذا، حتى لا تلحق بزوجى فى الغرب، لكننى لم أكن أريد الفرار، لقد كنت معبجة به أيضاً، كما أنه لم يكن مخطئاً تماماً فى رأيه.”

“فى أى شىء لم يكن مخطئاً؟”، سأل مارتين.

“أنت تعرف ما أقصد. ليس من الضرورى أن ...” حملقت فى لوح المائدة أمامها. “المال فى بعض الأحيان أسوأ من الحزب. بالتأكيد

لم يكن العيب في أشخاص مثل إرنست، لا، وإذا أردت أن تغير شيئاً، فلا يمكن أن تنسحب من كل شيء، عليك بالانضمام إلى الحزب. ربما كان سلوكه صحيحاً ... أليس من المسموح أن أقول ذلك؟

والدتك ...

طبعاً، طبعاً، قال مارتين. "لا أقصد أن ... أنا آسف، ولكن ..."

"لا يمكن لناظر مدرسة أن ينسحب وينكفي على حياته الخاصة، لا يمكنه أن يفعل ذلك في أى مكان في العالم. هناك أشياء لا بد أن يقوم بها المرء، حتى ضد إرادته."

"ليس هذا محل خلاف"، يقول مارتين ثم يلتفت إلى د. هوليتشك. "ماذا قصدت عندما قلت إنه الآن ... هل أعطيته ... مهدئاً؟"

"لم تفعل شيئاً حتى الآن، لقد جاء إلينا بحالته هذه الليلة الماضية." أخذت تشد الجاكتة التريكو.

وماذا تعتقدين ...

"لا أستطيع أن أقول أى شيء."

لكن ...

"لا شيء. الدور الآن على طبيب مكتب الصحة ثم يجيء قرار المحكمة الابتدائية، عندئذ سنرى. كل ما أعرفه أنه ليس حالة منفردة. هذا هو كل شيء."

سيظل هنا؟

عدة أيام، بالتأكيد.

أيام؟، تسأل ريناتا مويرر.

وبعد ذلك؟ هل يمكن... وخرس مارتين عندما هزت رأسها بالنفي، ثم قال: فهمت.

كل شيء واضح، قالت ريناتا مويرر. علينا ألا نتظاهر بشيء. أنا أعرف مشكلته، وهذا ما يجعل الأمر صعباً، هذا هو أسوأ ما في الأمر. إننى أعرف تماماً حالته من الداخل، من هنا، أعرف تماماً.

معذرة، قالت د. هوليتشك عندما سمعوا طرقات، ثم فتحت الباب الموارب، تحدثت بصوت خافت وهي توميء برأسها. كان شعرها ذيل الحصان - المربوط بثلاث حلقات من القطيفة على مسافات متساوية - يتأرجح كالبنول على ظهرها.

ما رأيك فى المكان؟ همست ريناتا مويرر.

على الأقل جدوه، أجاب مارتين.

نعم، كل شيء يلمع.

معذرة، قالت د. هوليتشك وهي تجلس. قاطعت كلامك...

عايشت ما حدث خطوة خطوة. ترسم ريناتا مويرر عدة درجات فى الهواء. يوماً بعد يوم، لكننى كنت أعتقد أن الأمر سيتحسن يوماً ما. وأنزلت يدها، لقد تغلب الآخرون أيضاً على أزمتهم.

"كانوا يلعبون به الكرة، ثم يتخلصون منه"، قال مارتين. "كان يتركهم دائماً يفعلون به ذلك. كلما كانوا يريدون شيئاً، لم يكن يقول أبداً: لا".
"كان يقول لا، يا مارتين. لم يكن الأمر هكذا. لو لم يكن يقول لا ..."
"لكنه تركهم يلعبون به الكرة، مرة بعد أخرى."

"عندما بدأت أحداث سور برلين سنة ٨٩ كلفوه أن يكتب رسالة إلى بريد القراء"، قالت ريناتا مويرر.
"وكتب الرفيق مويرر ..."، قال مارتين.

"لم يكتب إلا ما كان يؤمن به. كتب عن المجر سنة ٥٦ وربيع براغ سنة ٦٨ وأن المظاهرات لا تغير شيئاً، وأن على المحرضين ألا يتوقعوا الرأفة، وعندما جابوا أيضاً هذه المنطقة حاملين الشموع واللافتات، اكتشفت أنهم كتبوا على إحداها: لا رأفة مع مويرر. فى الصحيفة لم ينشروا سوى صورة واحدة فيها هذه اللافتة. تملكنى الخوف، لكننى أُعجبت بشجاعته عندما ذهب إلى المدرسة فى اليوم التالى. اعتقدت أنهم سيقفون يوماً ما أمام باب بيتنا، عندما سألتنى مارتين إذا كنت أود أن أسافر معه إلى لايبنتسج، على الأقل لأتفرج على المدينة، طرده إرنست من البيت ومنعه من دخوله مرة أخرى، وماذا يفعل مارتين، ماذا يفعل مع أخيه بت؟ أهدونا رحلة بالأتوبيس إلى إيطاليا. فى فبراير ٩٠ سافرنا بطريقة غير شرعية إلى إيطاليا."

"بمناسبة عيد زواجهما العشرين. خمسة أيام، فنيسيا، فلورانس، أسيزى"، قال مارتين. "حتى يغيرا الجو، ويخرجا من دائرة أفكارهما".

”وبعدين؟“ سألت د. هوليتشك عندما توقفا عن الحديث.

”هذا لا بد أن تحكيه أنت يا ماما.“

”لولا رحلة إيطاليا، ولولا رسالة بريد القراء، كان الأمر سيكون مختلفاً. على الأقل هذا ما أظنه أحياناً. ذات يوم فصل زوجي معلماً لأن تلميذاً سخر من الحزب الحاكم وكتب على كراسية الواجبات: البولشفية تأتي من الشرق. اتهموا المعلم أنه كان على علم بذلك - في نفس الكراسية كان التلميذ قد نقل الدعوة إلى آخر اجتماع لأولياء الأمور. كان ذلك في عام ٧٨، أو في هذه الحدود. آنذاك عقد الحزب الديمقراطي المسيحي (*) اجتماعاً في دريسدن، وكان مكتوباً على لافتاته: من الشرق يأتي النور، أو السلام، ستيان، عندئذ كلفوا إرنست أن يفعل شيئاً، التكليف جاءه من فوق، من القمة! لم يكن زوجي بالشخص المهيج أو المحرض، وهذا المدعو شويرت بالذات .. يسافر معنا إلى إيطاليا.“

”زيوس؟“ سألت د. هوليتشك، وهي ترمش بعينيها.

”رنا تا مويرر تومي برأسها.“

”آه. أليس هو الذي مات من سينة أو سنتين؟“، سألت د. هوليتشك.

(*) المقصود هنا الحزب الديمقراطي المسيحي في ألمانيا الشرقية الذي تأسس عام ١٩٤٥ وكان متضوياً تحت لواء حزب الاتحاد الاشتراكي الحاكم، بعد التحولات التي حدثت في الكتلة الشرقية عام ١٩٨٩ وبعد انهيار سور برلين أقام هذا الحزب علاقات وثيقة مع نظيره في ألمانيا الغربية الذي كان يترأسه آنذاك المستشار هيلموت كول، وفي عام ١٩٩٠ قاد كول شطرى البلاد إلى الوحدة، عندئذ اتحد الحزبان في شرق ألمانيا وغربها. (المترجم).

آنذاك لم يتضرر من القرار. كان ...

كيف لم يتضرر يا ماما؟ ثلاث سنوات في منجم فحم. لصالح
الاقتصاد القومي!

هناك من يفعل هذا طيلة عمره ... بعد ذلك حولوه إلى المتحف،
ليعمل مسئولاً تربوياً. كان يتمنى ذلك دائماً، أنت نفسك قلت هذا.
مارتين كان يعرفه.

كنت أراه بين الحين والآخر، كنت أصادفه في كل مكان، وعند
افتتاح أى شيء. في هذه البلدة الصغيرة يعرف كل شخص الآخر.

معذرة، ولكن ماذا حدث مع زيوس، مع السيد شوبرت؟

هزت ريناتا مويرر رأسها.

قبل الوصول إلى أسيزي، قال مارتين، تعطل الأتوبيس، عندئذ
فقد زيوس صوابه. كان يعتبر جيوتو(*) أعظم فنان، ثم، قبل أسيزي،
يعنى على بعد فرقة كعب، ثم يرجعون! فقد عقله. هذا ما أسميه صدمة
ثقافية. هذا أمر موجود، أليس كذلك؟ عقلية ألمانيا الشرقية، وكأته لن
يستطيع طول حياته أن يسافر مرة ثانية إلى هناك.

لم يترك مناسبة إلا وراح يؤنب إرنست، أمام الجميع. كان الأمر
عبثياً تماماً. حكّت ريناتا مويرر بحذر شفقتها العليا الملتهبة. أما أسوأ

(*) المقصود هو الرسام الإيطالي جيوتو دي بوندونا Giotto di Bondone (1266-1337)، ومن أهم أعماله لوحات الفريسكو في أسيزي. (المترجم)

شيء فهو أن تينو، حفيده، رفضه تماماً. كان إرنست يعشق حفيده. تينو صعب، صعب جداً.

ابنى، قال مارتين.

أم تينو لقيت مصرعها، فى أكتوبر، ٩٢، ومنذ ذلك الوقت - وتينو لا يتحدث إلا مع الأطفال، مع الأطفال ومع خالته. لا يرد على أحد آخر، ولا حتى على مارتين. لما يدخل الآن - ربنا يستر.

بالدراجة؟ هل ... هل زوجتك توفيت ...؟

هل تتذكرين؟، سألت ريناتا مويرر. كتبت الصحيفة عن الحادثة وهروب السائق.

كانت قد تعلمت لتوها ركوب الدراجة، قال مارتين.

مارتين يلوم نفسه على ...

ماما ...

... عندما يحدث كسر فى فقرات العنق، يموت المرء على الفور! ولكن مارتين ما زال يظن أن إنقاذها كان ممكناً ...

إذا كان ما حدث لزوجتك كسر فى فقرات العنق، فإن الإنسان يموت فعلاً على الفور، بين لحظة وأخرى.

أسمعت، على الفور.

إذا كنت لا تزال تفكر فى الأمر ...، قالت د. هوليتشك وهى تعبت، بزرار فى الجاكتة، ثم ضغطت بيدها على فتحة المعطف عند الصدر،

وانكأت على المائدة، وتناولت من فوق مجلة نظارة بلا إطار ووضعتها على أنفها، فتحت صفحة من كشكولها وشرعت تكتب.

مارتين أهدى تينو كلباً، من فصيلة "صياد الثعلب"، قالت ريناتا مويرر. "اعتقد إرنست أننا نريد أن نهيج الولد على جدة، ومن أجل ذلك فقط اشترينا الكلب، لأن عتده حساسية من شعر الكلاب".

د. هوليتشك تكتب.

"أحكي بالترتيب يا ماما. حدث ذلك بعد فترة!"

"أنهالت الصحيفة عليه بالسباب"، قالت ريناتا مويرر. "من المؤكد أن زيوس كان وراء الموضوع. نبشوا في حكاية زيوس القديمة، ولكنهم صوروا الموضوع وكأن الحزب لم يكن له وجود، وكان إرنست فعل كل هذا بإرادته وبقراره. نُشر هذا الكلام عام ٩٠، في الأسبوع الذي يسبق عيد القيامة، عندئذ شكوا لجنة لتحري الحقائق، وكان عليه أن يجيب على أسئلتها. أعضاء اللجنة كانوا من أكبر اللصوص. واحد وراء الآخر وجد نفسه مجبراً على تقديم استقالته. جاءتنا جوابات من غير إمضاء، أما أسوأ شيء فكانت جوابات التضامن، أيضاً من غير إمضاء".

"لقد ارتكب خطأ"، قال مارتين. "قدم استقالته بنفسه. بعد نشر المقالة كتب استقالته، وكان يأمل بالطبع - هكذا أظن - أن يعترض أحد ويقول الحقيقة، ولكن لم يتحرك أحد، طبيعي، فقد إرنست للحظة السيطرة على نفسه. لو طرح مسألة الثقة - كان كسب الموضوع، أنا شبه متأكد، ثم اعتقد الجميع أنه كان من الشتازي، وإلا فلماذا قدم

استقالته، طواعية؟ في طرفة عين أصبح يجلس في بيته عاطلاً عن العمل. تحاشاه الجميع، ثم خرج من الحزب أيضاً لأنهم لم يفتحوا فمهم. منطقي تماماً، فهم لن يدينوا أنفسهم. ما كان عليه إلا الانتظار. مجلس النظار الجديد كان سيطرده، أو كانوا سيحيلونه على المعاش المبكر. إرنست أقسد كل شيء بنفسه.

أبدأ، هذا غير صحيح يا مارتين. أنت تعرف ماذا حدث بعد المقالة، لقد هددوك أنت نفسك بالضرب. كيف تقول هذا الكلام؟ كانوا سيقضون تماماً على إرنست، ويبيحون دمه. لم يكن أحد سيتدخل. كلهم صمتوا.

هل دافع عن نفسه؟ هل قام زوجك بأي خطوات؟

ماذا علي سبيل المثال؟ لقد حدث كل شيء بسرعة، ثم فجأة انتهى الأمر، فجأة لم يعد الموضوع يهم أحداً. أصبح المهّم هو المال والعمل والشقة وكارت الائتمان، وأن يفهم المرء في القوانين وملء الاستمارات. غير ذلك لا يهم أحداً، على الإطلاق. هذا ما أتى على البقية الباقية فيه. هذا وتينو.

ثم راحت ريناتا مويرر تتمخبط.

أتريدين جرعة ماء؟، مبالتها د. هولتشيك. وأنت؟

نور أن تضع القلم الجاف من يدها تفتح الزجاجاة باليد اليسرى وتملاً الكوبين بالتناوب إلى أن فرغت الزجاجاة.

شكراً، قالت ريناتا مويرر. بعد فصلي من شركة تكستوما اشتغلت عند رجل كان حتى النهاية ... من الأفضل ألا أقول ماذا كان ... كان من كوادر الحزب الاشتراكي، والآن يملك مكتباً للاستشارات الضرائبية والمحاسبات. لا يملك المكتب وحده، لكنه الرئيس، إنه ذكي، يركع حتى يلمس جبينه الأرض كي لا يفوت أصغر الفرص، مبدؤه المثل القائل: القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود! السيد نويجباور كان يتجاهل الأمر عندما يتحدثون عن المحسوية لأنه وظفتني - فأتنا في الأصل متخصصة إحصائيات، وظفتني وتجاهل كل شيء، إلى أن بدأ إرنست يبتزّه. أعد إرنست رسالةً باسمه، وباسم نويجباور وآخرين، لقد كان يعرفهم كلهم. طلب منهم جميعاً أن يوقعوا، ويبعثوا بنسخة إلى كل صحيفة. عرفت بالأمر من نويجباور، لم أفهم في البداية أي شيء يريد نويجباور مني، أي شيء يتوجب علي أن أمنع حدوثه؟ كان الأمر محرراً لأنه كان قد عرض علينا بيته الريفى فى منطقة جبال الهارتس، لنقضى فيه الصيف كله، مجاناً. فكرت أنها فرصة كي يخرج إرنست، فهو لم يكن يغادر المنزل. هناك كان يتبعنى كظلى. سافرنا معاً. كان على الرجوع، وفى اليوم التالى كان يقف أمام باب الشقة، صارخاً ومشتكياً ومدعياً أنني أهنته وأردت إبعاده عنى. بعد ذلك فسخ عقد استئجار الحديقة الذى كان مكتوباً باسمه. علينا أن نترك الطبيعة فى حالها، وألا نتدخل فى أمرها، هكذا قال. أخذت أبكى وأنوح، من أجل الفراولة، كانت الحديقة واحدة، عندئذ تأكدت أن برجاً من أبراج عقله طار. كنت أعتقد أن الزمن كفىل بشفاء الجروح.

اسمحي لى أن أقاطعك، قالت د. هولتشيك. ألم تنشر الصحف
آنذاك شيئاً عن الموضوع؟

ولماذا ينشرون؟ عندما اعتنى آخر رؤساء منظمة الشبيبة الحرة
- لأنه كان يمرر المناقصات إلى شركات المقاولات - لم يحدث أى شىء،
لأنه يعرف حتى الشيطان، كلهم رجال أعمال ناجحون يوفرون فرص
عمل للشعب، ويجلبون إعلانات للصحف، فلماذا تفتح الصحف فمها؟ ما
فات مات!

وبعد برهة واصلت رناتا مويرر كلامها قائلة: "توجبواور كان يريد
أن يعرف إذا كنت أنوى أن أرفع قضية فى حالة فصلى من العمل
لأسباب إدارية. هكذا حصلت على الأقل على تعويض البطالة. إرنست
استقبلنى فى المنزل بكأس شمبانيا. فى تلك اللحظة أردت طلب الطلاق.
بعد شهرين وجدت وظيفة أخرى، بالقرب من شتوتجارت. إرنست
وصفنى بـ "الخائنة". لم يقصد ذلك بالمعنى السياسى. كان يتصل يومياً،
مرتين، ثلاث مرات - ٦٠٠ مارك، ٧٠٠ مارك فاتورة التليفون فى الشهر،
مجنون تماماً، مع أنه كان يستطيع الحصول على عمل. جمعية مساعدة
التلاميذ الخاصة كانت تريد أن توظفه. دروسه كانت دائماً تمتاز
بالجودة والكفاءة، ولكنه اعتبر كتابة الرسائل للبحث عن عمل أمراً منافياً
لكرامته. فجأة أصبح لا يتكلم إلا عن الكرامة والكبرياء. كل استثمارات
مكتب الشئون الاجتماعية كنت أنا التى أملؤها، كل عام. إنهم يجعلونك
تتعرين أمامهم، قبل أن يدفعوا لك معونة اجتماعية! كانوا مثلاً يريدون
أن يعرفوا: كم يكسب والده - الذى مات فى الحرب والذى لم يره فى
حياته أبداً! إنهم فى النهاية يعرفون عنك أكثر من المخابرات."

تماماً، تدخل مارتين، فقط لأن مكاتبيهم الآن في المبنى الذي كان مقر ...

آه، هذا سبب إضافي. إنهم يجلسون الآن في فيلا الشتاوى. ثم أمراضه، الروماتيزم، الزن في الأذن، الحمى. عندما وقف أمام الطبيب راح ينظر إلى من غير كلام، نظرة رجل جريح يتألم. سرطان، هكذا فكرت، أو مرض كهذا. طبيعى جداً أن هواجسه أكلته، ثم قال إرنست: الصحة تمام. حتى الرئة. شعر بالإهانة عندما أردت أن أرسله إلى طبيب الأمراض العصبية. حملت ريناتا مويرر في المنديل الورقى بين يديها. تلعب الشطرنج معاً، قال مارتين، مرة في الإسبوع. لا يريد إلا لعب الشطرنج، لا شىء غير ذلك.

بنون أن تتحدثوا؟

عن التوافق. لا أريد أن أقلب عليه المواجه، ولا أن يقلب هو على مواجهى، مع أنه ليس عندى مواجه. فقط عندما أردت أن أتعمد. كان التعميد والكنيسة بالنسبة له شيئاً مثل "الحزب الديمقراطى المسيحى"، وكأنى سأنتضم إلى الحزب - إلى الذين دخلوا التاريخ منتصرين، على حد تعبيره.

لم تسأله أبداً؟

عن أى شىء؟

أى ذنب ارتكبه؟، سألت ريناتا مويرر. على الدرج في مكتب العمل، حيث شيدوا شبكة - هناك شال أحمر، جتى يراه كل شخص

ولا يحاول مجرد محاولة أن يقدم على الانتحار- هناك تقابلا بالصدفة، هو وشوبرت. كنت أرافق إرنست كثيراً عندما كان يتحتم عليه أن يذهب إلى مكتب العمل. إلى مكتب الشئون الاجتماعية لم يكن يذهب أبداً وحده، كان لابد أن أذهب معه.

"زوجك تحدث مع شوبرت؟"

"لم يكن ذلك ممكناً. شوبرت هرب. كان يريد أن يعترفوا به ملاحقاً سياسياً، وأن يمنحوه لقباً وشهادة رسمية، لم تكن نعلم ذلك. لم يعد يريد التحدث مع أحد. كان المرء يستغرب عندما يقابل أشخاصاً لم يكن يتوقع أن يقابلهم في مكتب العمل. عندما أسمع كلمة "الشبكة الاجتماعية" أفكر دائماً في سلم مكتب العمل."

"الشبكة المعلقة"، يقول مارتين.

"بعد ذلك ذهبنا إلى "فولكس شتات" لنشرب قهوة ونأكل جاتوه بالفراولة أو بالتوت. "فولكس شتات" كان هو الترف الوحيد الذي تبقى لنا، وبعدها نعود مباشرة إلى المنزل، ورغم ذلك بدأ إرنست يكتب مواعيده في مفكرة. كان يريد أن يعرف - قبلها بشهور - إذا كان لدينا موعد. كنت أجلس معه كما أجلس مع طفل يريد أن يشرح لي جدول الحصص. إذا سألته عن شيء كان يحضر مفكرته ثم ينظر فيها ويقول: "ماشى"، ثم بعد ذلك يكتب الساعة والعنوان والاسم كاملاً، حتى لو كان سيذهب إلى مارتين. مرة سألت إرنست إذا كان هناك شيء يتذكره بسرور بعد ٨٩، تطلع في قائلاً: في حياتي لم أتذكر بسرور شيئاً

عشته وحدي - هكذا، كأنه لم يكن لي وللأطفال وجود، كأنه أمضى حياته وحيداً".

"هل يجب أن يتفرج على التلفزيون؟ هل يقرأ، أو يتمشى؟
أو ماذا يفعل؟"

في السابق كان يجب أن يقرأ للأطفال من قصة فلادا، مثلاً "حكايات الأطفال الأشقياء"، أو "فريدولين، الضفدع الوقح". بمناسبة عيد ميلاده أهديته ببغاعين، كان ينوي أن يعلمهما الكلام. ربما كانا أكبر عمراً من أن يستطيعا التعلم، لكنه أخذ ذلك على محمل شخصي. إنه يأخذ عموماً كل شيء على محمل شخصي. مرة لم تتفتح زهور التيوليب التي أحضرتها معي، عندئذ اشترت سراً زهوراً جديدة حتى لا يظن أن الخطأ خطؤه، كما أنه أصبح حنبلياً، ما نكاد نفرغ من تناول العشاء حتى يعد المائدة للفقار، ويا ويلى إذا لم أغسل على الفور الكوب الذي أستعمله، ثم الأصوات التي يصدرها عند المضغ ... أو من أنفه. في السابق لم يكن كذلك ... ثم ترميم البيت، ربما كان الترميم هو الذي أتى على البقية الباقية لديه، وضعنا ملاءات على كل شيء. كانت الغرف تبدو مثل مكتب لنين. أطلق إرنست النكات على ذلك، في الأيام الأولى كان يقف في السكة فحسب، وعندما مر الوقت الذي قدره للانتهاء من أعمال الترميم، بدأ يشتكى. كان إرنست يطلب من الصنایعية أن يخلعوا أحذيتهم، وكل خمس دقائق يمسح وراعهم، في نهاية الأمر لم يعد يفتح باب الشقة لأحد أبداً، كانوا قد انتهوا من كل شيء إلا ثلاثة شبابيك عندنا. كان على أن أخذ إجازة كي يستطيعوا الدخول إلى شقتنا. بعد

الترميم أصبح يدعى أن المستأجرين الجدد يستخدمون مساحة الأقدام أمام شقتنا. كان يقبع أمام العين السحرية ويفتح الباب فجأة بمجرد مرور أحد. كان الأطفال يرمون الزباله أو الفئران الميتة عبر الشبايبك أو على البلكونه - كانوا يخافون منه".

رن التليفون. كررت د. هوليتشك عدة مرات: "نعم، طيب"، ثم قالت بعد أن وضعت السماعة: "أنا أسفة".

"الناس الساكنون فوقنا ليسوا أشراراً"، قالت ريناتا مويرر، "هم فقط طوال الوقت فى الشقة، شباب. مرة دعونى للدخول. لم تكن الموسيقى عالية، لكن الأصوات العميقة، "الباص"، توحى بذلك. إذا وضع أحدنا يده على مائدة الطعام فإن الآخرين يشعرون بذلك. إرنست كان يجلس طوال النهار فى جحرة، وينفعل كالحيوان الهائج". ثم يفيض الكيل. المرء ليس بحاجة إلى أن يكون عرافاً لفهم ذلك".

"أنا لا أعرف إلا تقرير الشرطة"، قالت د. هوليتشك. "اقتحموا الشقة. خمسة رجال يرتدون صدريات واقية من الرصاص إلى آخره، اقتحام بكل معنى الكلمة".

"لأنهم لا يستطيعون أن يفرقوا بين مسدس الغاز والمسدس الحقيقى"، قال مارتين.

"ألم يتصل بك أحد؟"

"بعد ذلك"، قال مارتين.

"وأنت؟"

رناتا مويرر تهز رأسها نافية.

لم تتصل الشرطة بك؟

لا، أجابت رناتا مويرر.

ماذا كتبوا فيه، في التقرير؟، بسأل مارتين.

أطلق في الدرج طلقة من مسدس الغاز، ثم راح يهدد أنه سوف يدافع عن راحة باله بالقوة إذا لزم الأمر، ثم تقوقع في ركن، قالت د. هوليتشك. لم يقاوم لحسن الحظ.

لا أستطيع أن أتنازل عن كل شيء من أجله، لابد أن أعمل على الأقل ٧ سنوات، وربما ١٢، إلى أن يكون من حقي الحصول على معاش. إذا تركت عملي في شتوتجارت فمعنى ذلك أنني أقول لإرنست: عندك حق. لا أستطيع أن أقدم استقالتي من أجله. هذا بالضبط ما يريد. لابد أن يلاحظ أن الأمور لا يمكن أن تسير هكذا. ليس هناك بنى آدم واحد يتصرف مثله، ولا بنى آدم واحد. أنا زوجته، لا مربية أطفال. إذا لم يستطع أن يفهم هذا فساطلب الطلاق.

أنت قلت، يا مدام رناتا، إنك تفهمينه؟

طبعاً أفهمه. من أجل كل ذلك أفهمه، ولكن لابد للحياة أن تسير.

يعنى، قالت د. هوليتشك، عندما يخرج من هنا ...

متى؟، سألت رناتا مويرر.

... عندئذٍ سيعيش وحده خمسة أيام في الأسبوع أثناء عملي، على الأقل في البداية؟

رِناتا مويرر تحمق من جديد في المنديل الورقي بون أن تنطق.
طيب، قالت د. هوليتشك.

يمكنه أن يأتي إليّ، قال مارتين.

لا، لا يا مارتين. من الغباء أن تفعل هذا. صدقتي، لن تساعدك بهذه الطريقة، لا بد أن تجد عملاً. ليس من المعقول أن تقبع في المنزل لتحرس إرنست، كما أنه لن يوافق، وإذا حدث ذلك، فلن يجيء تينو لزيارتك أبداً.

كثيرون يعيشون وحدهم، قالت د. هوليتشك. ليس معنى هذا أن لا أحد يهتم بهم، لن تتركوه وحده.

لم أقل سوى إن إرنست يمكنه أن يعيش معي إذا أراد.

طيب، قالت د. هوليتشك وهي وتكتب.

مارتين ...

كل شيء هنا، قال مشيراً إلى الشنطة. صابون، ملابس، برنس الحمام، ومحفظته، وأشياء أخرى من هذا القبيل.

لا أحزمة ولا مقص ولا مبرد ولا مطواه ولا موس حلاقة؟

هو وحده في الغرفة؟

لا.

"لا يجب أن يعرف أنني كنت هنا. الزهور أحضرتها مارتين."
التليفون يرن. "لن تقولي له أنني كنت هنا؟"

"لن أفعل إذا كنت لا تريدين".

"ومتى يمكن التحدث معه؟"، سأل مارتين، واضعاً ماكينة الحلاقة
وكيساً به مستلزمات السفر على المائدة.

"ربما غداً، أو بعد غد، ولكن اتصلاً بي بالتليفون قبل ذلك".

مارتين يوميء كرمش ورق الزهور الذي كان بجواره. ما زال
التليفون يرن.

لم ينهض مارتين ولا أمه، لذا قالت د. هوليتشك: "طيب"، وقامت.
شدت ستارة كانت تغطي حوضاً، وغسلت يديها، وجففتها طويلاً
ثم رشت بعضاً من رذاذ عطر على حلمة أنفها.

على أرضية الممر كان حذاء مارتين يصدر صريراً، أما خطوات
المرأتين فلم تكن تُسمع. حول الموائد الصغيرة جلس مرضى يرتدون
ملابس عادية، وفي أقدامهم أحذية منزلية أو رياضية، بينهم ممرض
يمعطف أبيض يلعب معهم "السلم والتعبان". بكتفها دفعت د. هوليتشك
باب القسم وبقيت واقفة أمامه.

"إلى اللقاء قريباً"، قالت مُفسحةً الطريق أمامهما.

"شكراً"، قالت ريناتا مويرر مادةً يدها. صافحتها د. هوليتشك أولاً،
ثم صافحت مارتين، وقالت: "على أن أطلع إلى فوق". وأسرعت ترتقي

الدرج ويدها في جيب المعطف. تردد صدى كعبها لدى اصطدامه
بالدرجات الحجرية، انغلق باب القسم بتكة خفيفة.

لم يكن من الضروري أن تقول ذلك يا مارتين، حكاية الذين دخلوا
التاريخ منتصرين. زوجها نائب في برلمان الولاية ...

جنباً إلى جنب سارا في حديقة المستشفى في اتجاه المدخل الرئيسي.

المرضى هنا إما عواجيز، أو شباب، قالت ريناتا مويرر.

البيغاءان يتحدثان طوال اليوم، قال مارتين. صباح الخير
يا ريناتا - بالهناء والشفاء يا ريناتا.

بجد؟

صباح الخير، تصبحى على خير، أحلام سعيدة. نعمل إيه
النهارده؟ ريناتا، ريناتا، ريناتا. طوال النهار على هذا المنوال.

غريبة، قالت ثم ظلت واقفة. وغير ذلك؟ أخرجت من كيس نقودها
قرطاً أحمر في لون الياقوت، وثبتته في حلمة أذنها الملتهبة.

لابد أن تسمعيهما بنفسك، قال مارتين الذي كان قد كور ورق
الزهور حتى أضحى في حجم البيضة. مرت بهما سيدة تحمل شنطة
مخططة بالأحمر والأسود.

قال مارتين : "الأتوبيس سيجيء في السادسة إلا الربع، ليس من
الضرورى أن تمشى بسرعة." رمى بالكرة الورقية عالياً ثم تلقفها
باليد الأخرى.

"هل تحتقرنى؟"، سألته دون أن تنتظر إليه. "أصبحت قاسياً - بسبب ..؟" راحت تعبت بخصلة من شعرها.

"لأنك لونتها؟"

"لأننى لم أحك لـ د. هوليتشك عن ... بسبب ... الحلق منه."

"لائق عليك. ما اسم العاشق المجهول؟"

"من؟ - هوبرتوس؟"

"هل تريدان فعلاً طلب الطلاق؟"

لدى دائماً الشعور بأنى أفعل شيئاً خاطئاً. عندما تراقبنى هكذا أفقد الثقة فى نفسى. هل تعتقد أننى أثير السخرية؟"

"لا تجرى. الأتوبيس لن يجىء قبل أربعين دقيقة."

"مارتين؟" تتأبط ذراعه وتحاول أن تسير على خطوته. "أريد أن أسألك شيئاً يا مارتين." ونظرت إليه. "هل أنت .. من مثلى الجنس؟ لا تضحك! أعتقد أن السؤال مسموح. لماذا لا تبحث عن امرأة؟ أنت الرجل الوحيد الذى أعرفه الذى لا يحاول حتى، ودانى ..."

"دانى؟"

"لقد اعتقدت فعلاً أنها هربت من إيجار هذا ... لم تفعل ذلك إلا لتسكن عندك. أنا متأكدة تماماً، ولهذا قصت شعرها، لأنها ظنت أن هذا سيعجبك، أيضاً هذه المرأة فى المعطف الشفاف، هوليتشك، لم تنزل

عينها عنك، هل لاحظت كيف احمر وجهها وعيناها، عندما حكيت عن
حادثة أندريا؟ ألم تلاحظ ذلك؟ ليس من الطبيعي أن شخصاً مثلك ...
أخوك بت مختلف عنك في هذه النقطة."

ضحك مارتين. ضغطت على ذراعه، وقالت: "بت يحاول على الأقل ،
ولكنك لا تفعل شيئاً على الإطلاق، مع أنه ليس هناك أجمل من الحب،
على الإطلاق!"
"أعرف."

"هل تعتبرني عبيطة؟ لا أتحمل هذا الحلق المعدني. يردد دائماً:
الحب نعمة من السماء. هل توافق على هذا الرأي، هه؟"
"من ... أه ..."

"أترك إرنست حيث هو يا مارتين. أنت لا تعرف العباء الذي ستلقيه
على كاهلك، أية امرأة سترضى بك عندئذ؟ من يقيد نفسه هكذا؟ توقف
قليلاً عن الضحك!" تأبطت ذراعه قائلة: "وهل سينام في حجرة تينو، أم
أين؟ لسنا قبيلة من العصر الحجري." تنكئ برأسها على كتف مارتين.
"ربما أتزوج عن قريب"، قال مارتين عندما خرجا من البوابة.

"هل هذه نكتة؟"

"لا. ممكن نجلس هناك." وأشار مارتين إلى محطة الأتوبيس ذات
المظلة على الجانب الآخر من المدخل. يعبران الشارع.

يعنى ..."، قالت ريناتا مويرر وشدته بعيداً.

"إلى أين؟"

تركت ذراعها، ظل واقفاً عند المحطة، ورجعت هي إلى الشارع.

"أعتقد أن الأتوبيس لن يأتى إلا قبل"

"ماما!"، صاح مارتين عندما شرعت تشير بذراع مفرودة، فرملت

السيارة الأودي الحمراء ذات الأربعة أبواب، وقبل أن تتوقف زادت من سرعتها ومرقت أمامهما.

"دعك من هذا، سنتتظر." انحنى مارتين لالتقاط الكرة الورقية التي

وقعت أمام قدميه.

"أتراهن؟"، صاحت ريناتا مويرر نون الالتفات إلى ابنها. "تراهن أن

السيارة القادمة ستتوقف؟" سارت ببطء إلى الأمام، ملوحة بذراعها،

مثبتةً عينيها على سيارة زرقاء قادمة، ثم همست: "من فضلك، من

فضلك!"

الفصل الثالث والعشرون

نهاية الإرسال

كريستيان باير يقسم إن هني فهمت خطته خطأ.
تحول فجائي. رجل أعمال معذب، وموظف فاسد.
فقط لعدم وجود الإيصالات. أغمض عينيك -
ربما تستمتع بذلك. رحلة بالقطار في هدوء الليل.

"ليس صحيحاً"، قال باير. "هذا ببساطة ليس صحيحاً، هني، من فضلك!" ألقى بمعطفه على الأريكة.

"هني، كفى بكاء من فضلك. لا داعي لذلك، إطلاقاً." خلع الجاكتة واستدار إليها. ظلت واقفة بمعطفها الأسود عند باب غرفة الجلوس، قدمها ملتصقتان، وإحدى يديها أمام فمها.

"لا أستطيع سوى القول إن هذا ليس صحيحاً، وإنك فهمتني خطأ تماماً، هذا هو كل شيء. وخلص، الموضوع انتهى."
ما زالت شنطة يدها تتدلى من مرفقها الأيسر.

تغير صحيح! كم مرة ينبغي على أن أقول لك هذا لتصديقني.
المفروض أن أكون أنا الغاضب، ينبغي على أنا أن أحاسبك لأنك
تتهميني بذلك، هكذا بالعكس. لماذا لا تصدقيني؟

رغم أن هنى تضغط بيدها على فمها، فإن نحيبها يعلو أكثر فأكثر.
رجعت عدة خطوات إلى الوراء، واستدارت فوقعت شنتطتها على السجادة
فى المدخل، هرعت إلى الحمام وركلت الباب ثم أقفلته بالمفتاح.

سمع باير خرير الماء المنساب فى الحوض، ثم صوت السيْفون.
التقط شنتطة يدها، ثم أزاح جانباً التليفون والأباجورة الصغيرة على
المنضدة قصيرة القوائم، ووضع الشنتطة.

أحضر السجائر والكبريت من الجاكته. قبل أن يجلس أزاح
بإصبعه المنفضة على المنضدة الزجاجية مقرباً إياها ناحية الأريكة.

تساعل باير أى كرافتة يرتدى اليوم. إنه لا يتذكر أحياناً اسماً
أو يوماً من أيام الأسبوع السابق. وكان شخصاً آخر يجلس مكانه فى
غرفة رئيس التحرير. تحسست أصابعه الربطة، ثم مرت على القماش
حتى نهاية الكرافتة ورفعها قليلاً، لم يكن يحب الكرافتة الزرقاء ذات
المكعبات الصفراء، لكنه لا يستطيع أن يلبس كل يوم نفس الكرافتة.

راح يفكر فى هنى، فى فكها المرتعش وصرختها التى بدأت مثل
تنهيدة، أو آهة. دق على العلبة المارلبورو لايتس، أمسك بعود الكبريت
عالياً، مرتكزاً بكوعه على ركبته شرع يدخن.

تناول باير جهاز التحكم عن بعد. مؤشرا داو جونز وداكس ارتفعا مجدداً. كل دولار أصبح الآن أعلى بنحو ٤٠ فنكاً عما دفعه أثناء رحلة نيويورك. حشر البيجارة في تجويف بالمنفضة ثم نهض. قرفص أمام باب الحمام ناظراً عبر ثقب الباب. لم ير غير بقعة مضاعة، ولا شيء سواها، لا شيء يتحرك.

هني، نادى عليها. هني؟ ما زال الماء ينساب في الحوض. لابد أنها فتحت الصنبور عن آخره، انتظر برأس منكس ثم عاد إلى الأريكة، سحب نفساً آخر من البيجارة ثم أطفأها واتكأ إلى الوراء ونراعه مفرودتان بينما استند رأسه على حافة مسند الظهر، ارتجف بسبب برودة الكسوة الجلدية على قفاه، بل إن قشعريرة انتابت فخذه.

حملق باير في سقف الغرفة والتذكارات على الرف العلوي من الفتريئة. تأمل طويلاً الدن الخشبي منتفخ البطن الذي اقتناه في بلوديو، وحاول أن يستكمل في خياله نقشات الزهور المحفورة بدوائر متموجة. بجانبه جرة من رومانيا ملونة بالأزرق والأبيض، كان يجب أن توضع في المطبخ، إلا أنه لم يجد لها مكاناً على الدولاب المعلق على الحائط هناك. الشمعدان النحاسي تلقاه هدية من أولاد الجارة بعد وفاتها - كتعبير عن الشكر على زهابه ليلاً بالسيارة إلى صيدلية الإسعاف. عندما استلم الشمعدان كانت شموعه السبع الحمراء قد احترقت حتى منتصفها ومغطاة بطبقة من الغبار. إلى اليمين مزهرية بيضاء كروية الشكل على حافتها فانوس رقيق من الورق الملون، ثم كأس بيرة كبير بغطاء وقاعدة من القصدير، وأخيراً مكبر الصوت الأيمن. أغمض باير عينيه. بكعبه

خلع حذاءه الأيسر، كان يريد أن يخلع الأيمن أيضاً لكنه خشى أن يتسخ جوربه عند الكعب.

فزع باير، انفتح باب الحمام، لم يعرف كم من الوقت ساد الهدوء. تحمل هني الآن معطفها على ذراعها، وبإصبعين الحذاء. بجانب المدخل فتحت بإبهامها الدرج الأسفل ووضعت داخله الحذاء، ثم راحت بعناية تقرد معطفها على إحدى الشماعات.

"هني"، نادى باير. وقف على عتبة باب غرفة الجلوس ويده ما زالت تمسك بجهاز التحكم عن بعد، لم تتحرك سوى أصابع قدمه اليسرى في الجورب الأزرق. أقبلت هني ناحيته ووقفت أمامه، احتضنها هامساً: "حبيبتي. روحى وقلبي". استندت عليه حتى أنه وجد نفسه يرجع خطوة إلى الوراء. كان التليفزيون قد انطفأ.

"طبعاً لابد أن يصيبنا ما أصاب الآخرين"، قالت هني. "ظللنا حتى الآن بعيدين عن الضرر، هذا هو كل شيء. كنا ببساطة محظوظين، محظوظين جداً...". ضمها إليه.

"الحقيقة، الحظ كان معنا طوال الوقت"، قالت هني عندما تماكنت نفسها واستطاعت أن تتحدث. "اعتقدنا أن هذا لم يعد له وجود، على الأقل هنا، اعتقدنا أن هذا أمر قد زال بلا رجعة، كالإقطاع، ولكن الحقيقة هي أننا كنا بعيدين عن الخطر".

"لا تأخذي في بالك"، قال باير وقبل جبهتها. سار إلى الأريكة. جهاز التحكم عن بعد ملقى الآن على السجادة.

"تعالى". وأمسك بمعصم هني. تركته يجلسها بالجانب على حجره.
"من الجنون ألا تفعل ذلك. ليس هناك وجه للمقارنة." وأحاطت
بعنقه.

"اهدئي ولا تتكلمي!"

"لا أعرف لماذا انفعلت هكذا. إذا فتحت التليفزيون تجد كل مساء
حكاية كهذه، فعلاً، ربما ليس كل مساء، ولكن تقريباً كل مساء."
"ماذا تقولين؟ اهدئي!" رمق باير أظفار قدمي هني المطلية
بالأبيض. من الإصبع الأوسط في قدمها اليمنى برز كالمو صغير.

"رأيت مرة فيلماً رائعاً عن ذلك، فيلماً أمريكياً، في عز أيام ألمانيا
الشرقية. رجل وامرأة، طالبان في سن الشباب، كانا يضاربان في
البورصة على لحم الخنازير. في البداية كان الفشل بالطبع من نصيبهم.
وجد نفسه مرغماً على العمل سائق تاكسي، كانت هي في المنزل
واعتقدت أن عليها أن تفعل شيئاً، لهذا بدأت تفعل ذلك. المضحك أنه
أوصل إليها ذات مرة زبوناً، ثم قال لنفسه، ما دمت هنا فلأرى ماذا
تفعل زوجتي! كان هذا هو المضحك في الأمر، وفي نهاية الفيلم اكتشفا
أن المضاربة على لحم الخنزير كانت هي الشيء الصحيح، فيلم كوميدى
يفطس من الضحك." اتكأت جانباً ثم شددت إلى أسفل خيطاً متديلاً من
الأبجورة، فأضاعها. "أتعرف في أى شيء أفكر عندما تسوء حالتى؟
عندما ذهبنا قبل عيد الميلاد إلى أحد المتاجر الكبيرة، هناك جلس
شحرور على صناديق الخضار، ثم جاء هؤلاء الرجال بالعصا التي تنتهى

بشبكة وحاولوا اصطياده. "مرت بأصابع منفرجة على رأسه، فأوقفت شعره. "قلت لنفسى: لماذا لا يفعل أحد شيئاً؟ سيطاردون الشحرور المسكين إلى أن يموت من الرعب أو الإنهاك! تركنا عربة التسوق، وذهبت أنت إلى مكتب المدير الذى لم يكن يعرف على الإطلاق ما يحدث، وعندما سألك عما ينبغى عمله، قلت له: الأمر بسيط - أطفئوا كل الأنوار ما عدا نور المدخل، وافتحوا الأبواب!"

"لكنه لم يفعل شيئاً." مسح باير على خصلة من شعرها خلف الأذن. "لا أعرف أحداً يدق باب مدير متجر من أجل طائر، لهذا أحبك. وعندما أتخيل أن شغلك كله قد أصبح الآن هباءً ... هل تعرف متى كانت آخر مرة جلست فى البيت وقضيت أمسية جميلة؟ أنت تقريباً نسيت مثل هذه الأشياء."

"سيتغير الوضع الآن يا هنى. صدقيني. لا أقول هذا على سبيل التهئة".

"هل تعرف فى أى شىء فكرت؟ من لديه سلطة، يبتز الآخرين. شخص مثل هذا يرى كل ما يحدث أمراً عادياً تماماً."

ثبت خصلة شعرها خلف أذنها، وباليدي الأخرى راح يمسك فخذها. ألقته هنى بالكرافطة فوق كتفه، ثم ضغطت بالتعاقب على أزرار قميصه. "هو يضع إمضاءه، وبعد أن يمضى، ينصرف، أليس كذلك؟ عندئذٍ ينتهى الأمر. عندئذٍ ينتهى الأمر إلى الأبد، أليس كذلك؟"

"انسى ذلك يا هنى، انسى الموضوع كله."

"هو وحده. هو وحده، أليس كذلك؟"

"طبعاً."

"لا أحد غيره يجب أن يوقع؟"

"لا أحد غيره."

"أتري! عندئذٍ سيكون هو في أيدينا، في الحقيقة إنه في أيدينا نحن."

"هني، ليس الذنب ذنبى، لو لم يتذكر حسابات عام ٩١. الآن لم يعد ذلك مسموحاً له. أنا وثقت في الناس، لأنتى لا أفهم شيئاً فى الحسابات، أتفهمين؟ لم يحدث شىء، شىء مخالف للقانون، لم يحدث اختلاس، ولكن لا أحد يصدق. فى هذه الفوضى لا يصدقنى أحد، أن كل شىء كان على ما يرام. لا يصدقنى أحد لأن الإيصالات غير موجودة. الأدلة ضاعت، هذا هو كل شىء."

"أعرف. لست بحاجة لتبرير موقفك."

"إنه الشعور بالعجز يا هني. لم يكن لى أن أبدأ بالأمر، هذا هو الخطأ الذى ارتكبته، أنتى بدأت بالأمر. ما كان لى أبدأ أن أفعل شيئاً كهذا. لقد عرضت عليه ما لا أيضاً."

"اللاعبون لابد أن يلعبوا لعبتهم"، قالت. "أرى كل ما تفعله من أجلى. أنت تفعل كل شىء من أجلنا. من غيرك ..."

"هني"، قال واتكأ إلى الوراء. شعر باير أن عينيه تدمعان.

"خلاص"، قالت. "لقد شرحت لى ذلك من قبل. قلت لى إنك تشعر كإنك ذبابة، ذبابة بين الشباك والستارة. آنذاك اعتبرت التشبيه غريباً. قلت إن الذبابة لن تنقذها سوى الصدفة، لن ينقذها سوى شىء مخالف لمنطقها، لأن منطقها يقول لها إنها تستطيع المرور من الزجاج، ولهذا لا تتوقف، حتى تموت. هل تذكر؟"

"نعم، لن يتوقف الأمر، سيكون بمقدور الجميع أن يتفرجوا عليك." "مرة أردت أن أفزع ذبابة، وتعجبت أنها لا تتحرك، لا أعرف لماذا يرقد الذباب الميت دائماً على ظهره. تلك الذبابة كانت راقدة على بطنها، يعنى كانت واقفة تستند على قرون استشعارها، عندئذ تذكرت تشبيهك." "أود أن أطير معك يا هنى، إلى أى مكان دافئ. أسبوع على الأقل. هل نفعل ذلك؟" اعتدل فى جلسته.

"متى سيعود؟"

"إنه هنا، عاد يوم الاثنين - سيظل حتى الجمعة، فندق بارك، غرفة ٢١٢."

"ومتى نطير؟"

"غداً، يوم الجمعة، يوم السبت، نذهب إلى المطار، ونأخذ الرحلة التى نحصل عليها!"

"يوم السبت؟"

"إذا كنت تريدين." داعب عنقها.

"نعم"، قالت هني. "عندما ينتهي الموضوع، سأغمض عيني وأفكر فيك." استقامت في جلستها.

"ربما أستمتع بالأمر - إذا فكرت فيك أثناء ذلك."

ابتسمت وانزلت من على حجره. "غرفة ٢١٢؟"

"نعم"، قال، "فندق بارك".

"وما اسمه؟"

"غرفة ٢١٢".

"سأعود حالاً"، قالت وهي تشد حيط الأباجورة مرة أخرى، وعادت إلى الحمام.

انحنى باير وخلق حذاءه الأيمن، والتقط جهاز التحكم عن بعد. بلا صوت راح يتفرج على فرقة تعزف آلات النفخ. يرتدى الرجال بنطلونات تصل إلى تحت الركبة، أما الجمهور فيجلس إلى موائد طويلة، وعندما تمر الكاميرا يرفعون كئوس البيرة في الهواء ويهتفون: "في صحتك!" امرأتان بعيون واسعة تتبادلان الابتسامات أثناء الغناء.

سار باير إلى الدولاب وأمسك بزجاجة البراندى بين إبهامه وسبابته، ثم انتشل بالخنصر كأس الكونياك. أثناء السير ملأ لنفسه كأساً، وتجرعها مرة واحدة، ثم زفر بصوت عالٍ، أحضر كأساً أخرى وملأ كليهما حتى المنتصف، بعد ذلك حمل حذاءه ومعطفه إلى ركن تعليق الملابس عند المدخل.

عندما عاد إلى غرفة الجلوس فك عقدة الكرافتة قليلاً، وسحبها من

بين رأسه. خلع البنطلون وثناه ووضع فوق مسند الكرسي. أخفى الجوارب خلف أرجل البنطلون. علق القميص والفانلة الداخلية على المسند.

ألقى باير نظرة قصيرة على الكسوت، ثم قلعه. بقدمه اليمنى طوحه عالياً في اتجاهه كأنه كرة، ثم خبأه بين القميص والفانلة. أطفأ النور في حجرة الجلوس ووضع ساعته على المائدة.

برودة الكسوة الجلدية هيجته. تأمل عضوه في الضوء المتغير الذي كان ينفذ من الشباك، وبحذر تحسس خصيتيه.

راح باير ينتقل من قناة إلى أخرى حتى عاد إلى الموسيقى الشعبية، فأعاد الكرة، على قناة "ألمانيا الوسطى" مباراة كرة قدم بالأبيض والأسود، شغل زر الصوت، ولاحظ كيف تتكاثر خطوط درجة الصوت الخضراء، لكنه لم يسمع شيئاً. أخذ سيجارة، إلا أنه لم يشعلها، بل طوح يده وخرجها على المائدة الزجاجية.

"رولاند بوكه"، قال شخص بصوت عال جداً، "اليوم كعادته شعلة نشاط." الآن سمع باير أيضاً الأصوات الأخرى في الاستاد. شورتات اللاعبين كانت قصيرة وضيقة جداً، أما الجمهور فلا يكاد يرى في الظلام. "عشاق الرياضة أمام شاشة التليفزيون، تقترب الآن هنا في الاستاد الرئيسي من نهاية الشوط الأول." تعرف باير على صوت هاينتس فلوريان أورتل. بحروف بيضاء على الحافة السفلية من الشاشة قرأ: "ألمانيا الشرقية وإنجلترا، صفر / صفر." من فوق الكرسي تناول

باير البطانية التي تتلفح بها هتّى مساءً أمام الشاشة، ونفضها، ثم ألقى بها على كتفه وهو راقد.

رن جرس التليفون، ركع باير على الأريكة، فى يده اليمنى طرف البطانية وفى اليسرى السماعة. "باير، مساء الخير"، قال بشكل ألى. فى الخلفية سمع موسيقى جيتار. قال مرة أخرى: "آلو؟"، إلا أن السماعة وضعت على الطرف الآخر. كان قد تام حوالى ساعتين.

على الشاشة كان يورجن فروريب ينحنى على المكتب، وقد بسط ذراعيه. سدد نظراته إلى شابة رفعت رأسها ببطء وقالت شيئاً.

أشعل باير النور. شنطة هتّى لم تكن موجودة. سار عارياً فى غرف الشقة. ما زال الغطاء الكبير مثنى الطرف فوق السرير، والبيجاما على الوسادة. باب الحمام موارب. فتش عنها فى كل مكان حتى فى غرفة تخزين المواد الغذائية.

أفرغ باير إحدى الكأسين فى جوفه. قدماه فى برودة الثلج، مرة أخرى راح يتنقل بين القنوات. بحث عن الصورة الضوئية المنقطة التي كانت تظهر دائماً بعد نهاية الإرسال وتثير الغرفة كلها. لبرهة أخذ يتفرج على رحلة بالقطار عبر مراعى صيفية. لابد أن الكاميرا مثبتة على القاطرة، انتظر أن يحدث شيء، ثم بدل القناة إلى أن وصل مرة أخرى إلى رحلة القطار التي توصلت عبر سهل ذى أشجار قليلة، لا بيوت، ولا ناس. الصوت الوحيد الذى سمنعه كان يشبه الطقطقة، خافت ومكتوم، وكأنهم يدحرجون طبلًا ضخماً. لم يظهر شيء من القاطرة. بضعة فلنكات ملقاة على طريق القطار.

أفرغ باير الكأس الثانية أيضاً، ثم تمطى تحت الغطاء محاولاً نظره بعيداً عن التليفزيون. ما زال المكان دافئاً حيث كان راقداً، لكنه كان يشعر على الفور بالبرد إذا حاول أن يستدير على بطنه أو على ظهره، اعتقد أنه يسمع لهات القاطرة البخارية، والصوت الرتيب لارتطام العجلات بالقضبان.

فجأة انتابت باير الرغبة في أن يرى المنظر الطبيعي الذي يمر به القطار الآن. أراد أن يستدير لينظر من الشباك عندما خطر على باله أنه في نصف الليل، أي أن الظلام دامس. عطس، فرفع البطانية لأعلى ومسح بها على أنفه، بين الحين والآخر كان يحرك أصابع قدميه. فيما عدا ذلك لم يحرك ساكناً.

الفصل الرابع والعشرون

بدر

بت مويرر يحكى عن حفلة الشركة. هو وبيتر
برترام يختلسان النظر إلى هنى من تحت الجيبة.
خطط للعودة إلى المنزل. ماريانا شوبرت المنقذة
الشهمة. ولادة فارس، وبداية عشق، ومحاولة فاشلة
للانعتاق.

كوتسنسكى صاحب صحيفة الإعلانات التى أعمل لها أجر غرفة
الاحتفالات العائلية فى مطعم "توسكانا"، وهناك قام بدور الديسك جوكى
مرة أخرى. زوجته - التى ظهرت وهى ترتدى فستاناً أبيض ذا خيوط
فضية براقّة - كانت ترقص منذ البداية وغالباً بدون مرافق، ملامح
وجهها كانت أثناء ذلك تشبه ملامح عازف جيتار منفرد. كانت تتراقص
رافعةً ذراعيها إلى أعلى بحركات ثعبانية، لتمر بأصابعها المنفرجة بين
خصلات شعرها.

صعب علينا تجاهل محاولات كوتسنسكى لإشاعة المرح، وهكذا رحنا نرقص رقصة البطة التى عزفها لنا أيضاً العام الماضى عدة مرات. السيدات الخمس من أقسام الصف والتضيد والاستقبال كن قد أتين على ثلاث زجاجات خمر، وطلبن بعد ذلك زجاجتين باتيدا بو كوكو ثم اختفين.

برترام جاء متأخراً جداً فحيوه فى الميكروفون كرقم ١٢ . عندما نادى كوتسنسكى علينا لنرقص رقصة البولونيز، وعندما جرت زوجته فى دائرة وهى تحاكي بذراعيها القاطرة البخارية، أظهر برترام شجاعة فائقة وهرع إلى التواليت، لم أفهم لماذا فصلوا إدى وعينوا برترام، المدرس العاطل عن العمل. التقطية الرأسية بين حاجبيه جعلته يظهر فى كل وقت وكأنه يركز فى شىء. يعامله كوتسنسكى كما يعامل البيض النيبى.

حاولت أن أرتشف كأساً حتى أجرب النوم فى هذه الليلة البدر، كلما تأخر. الوقت كان ذلك أفضل، قلت لنفسى. كوتسنسكى كان قد أرانا عدة مرات وبجدية بالغة كيف يرتشف المرء عرق التكييا بطريقة صحيحة، وفى أثناء ذلك كان يلحق إبهامه من كل النواحي، بعد فترة صافح كلاً منا وترك زوجته توصله بالسيارة إلى المنزل.

بعد منتصف الليل بحوالى نصف ساعة لم يعد هناك سوى برترام وأنا مع زجاجة كالفانوس تكاد تكون ملآنة، لم أعد أتذكر من طلبها. انتقلنا إلى الأمام، إلى المطعم حيث تناولت الغداء مراراً. بعد نصف ساعة كان آخر الرواد قد انصرفوا من هناك أيضاً، وحدها السيدة

الجالسة إلى المائدة لشخصين ظلت في مكانها القريب من باب المطبخ. كانت رشيقة وأنيقة الملبس، ترتدى جيبية قصيرة سوداء وجاكته. ظلت تحملق في كأس نبيذ فارغة وقد اتكأت على ذراعيها. شنطة يدها معلقة على ظهر الكرسي.

عندما عاد برترام من التواليت ذهب إليها وتحدث معها مشيراً مرتين إلى. لم تكد ترفع رأسها.

"تبكى وتنتحب"، قال وهو يجلس جانبي حتى تبقى في مجال بصره. في كأس كونياك كبير لها بريق أزرق قدم فرانكو لها جرعة كبيرة من الكرابا، ثم عاد بالكأس الفارغة على الصينية وهو يغمز لنا.

أخذ برترام يعلق على كوتسنسكى وزوجته. حتى أغير الموضوع سألته عن صيد الأسماك. برترام يستقل كل يوم جمعة القطار الليلي كي يصل في الصباح الباكر إلى نهر الراين أو النيكر أو إلى القناة الهولندية، إلى أماكن تصب فيها المياه الباردة للمفاعلات الذرية. في منتصف الحكاية قال: "هل تعجبك الموزة؟"

"ربما"، أجبته فأوماً برأسه وواصل حديثه. برترام شرح لي كيفية صيد سمك الشبوط، وتحدث عن الديدان، وعن الصراع المباشر مع السمك، عن الحركات العنيفة وعن التميرين، وعن الدوامات. لم يصمت إلا عندما نهضت المرأة. كانت، ربما، في منتصف العقد الثالث من عمرها، تأرجحت في مشيتها بكعبها العالي إلى التليفون، لابد أنها شربت عدة كئوس. تحت الجاكته لم تكن ترتدى سوى بلوزة حريرية.

والسماعة فى يدها أدخلت قطعة نقدية من فئة العشرة فنكات، ثم أدارت القرص، لكنها أعادت السماعة لئون أن تتحدث. ربما أخطأت الرقم. على كل حال كان الجهاز قد ابتلع العملة، مرة أخرى التقطت قطع نقدية من كيس نقودها الصغير. أثناء ذلك وقعت على الأرض قطعة من فئة نصف مارك أو مارك. لم تهتم بها وطلبت الرقم. فى هذه المرة تحدثت، ولكن بسبب الموسيقى - فرانكو يعشق موسيقى الجيتار ويفضلها على أى شىء فى العالم - ولأنها كانت تعطينا ظهرها، لم نفهم كلمة مما قالت. بعد أن علقنا السماعة انحنى تلتقط العملة من أمام حذائها، لئون أن تتنى ركبتيها.

"يا وعدى!"، قال برترام. حملقنا معاً فى الكيلوت البنفسجى.
"يا وعدى!"، قال مكرراً عندما استقام عودها. "غضة وبضة، مش كده؟"
تبعها فرانكو على مسافة قصيرة بزجاجة كرابا إلى المائدة، وانتظر إلى أن جلست، ثم ملأ الكأس المنتفخة حتى ربيعها.

بيد أمسكت بفرانكو، وبإبهام وسبابة الأخرى أشارت له أن يصب أكثر، لكنه توقف عند الحد المقرر. أفرغت الكأس بسرعة البرق، قبل أن يصب كأساً أخرى وضع علامة على الورقة المقوية الموضوعية تحت الكأس.

"تشرب المحيط"، قال برترام، "المحيط".

رفع فرانكو الزجاجات ثم وضع خطأ آخر.

قال برترام: "بت". وشرع يشرح خطته. تكلم بكل هدوء ناظراً في عيني مباشرة. لم أجب ولم أوميء، لكنني استحسنت خطته، أو على الأقل وجدتها معقولة. بين الحين والآخر كان يردد: "إذا نفعت كان بها، وإذا لم تنفع .. خلاص". ثم أضاف: "سنستمتع نحن الثلاثة بالأمر، متعة بريئة يا بت، وسترى، ولكن إذا لم تكن تريد ...". وقال: "إنها لا تشرب، إنها تسكر ... طيبة".

بدأ مفعول الخمر يظهر لدينا. سمعت برترام يتحدث ورحت أشاهد فرانكو والمرأة التي ترتدى كيلوتا بنفسجياً، شريطاً بنفسجياً تحت الجيبة. وضع برترام يده على كأسه عندما أردت أن أصب له. ببساطة كنا في موقف غبي وسخيف.

"قينيئو"، صاح فرانكو. التفتت المرأة إليه ثم نهضت؛ بعبارة أدق: ارتكزت على المائدة وهي تقوم. مشيت الخطوات الأولى بثبات بعض الشيء، ثم اصطدمت بكرسي، وأطاحت بأخر جانبه، فتوقفت. تلفتت حولها ثم شدت جيبتها لأسفل وترنحت في اتجاه التليفون.

"أتري الشفتين؟"، سأل برترام. "شفاه قوية. مط شفتيه وكأنه يقلد قم الشبوط، ثم لوح لها. "لن تتنكر"، قال، "ولا حتى هذه الحركة.

وضعت السماعة فوق الجهاز ووضعت عدة ماركات في الفتحة. تحدثنا مرة مع بعضنا، قال برترام، "قبل بسنوات، عندما كانت مديرة متحف العلوم الطبيعية".

سألته: "وماذا إذا طلبت تاكسيًا؟"

أشرق وجه برترام وهو ينظر إلى، إلا أن ذلك لم يفرد التقطية
بين حاجبيه.

إنن نقوم نحن بدور التاكسي. وضع يده فوق ساعدي ضاعطاً عليه.
أتعرف كيف كانوا يفعلونها في الماضي، أيام الحرب؟ يرفعون
الفيستان حتى يغطي الرأس، ثم يجلس أحدهم على رأس المرأة، على
الرأس. قبل أن يسحب يده، ضغط على ساعدي مرة أخرى.

راحت تنتظر والسماعة على أننها، ونراعتها الأيسر في وسطها،
ثم في اللحظة التالية وضعت السماعة بعنف. تساقطت العملات المعدنية
المتبقية وتجمعت بالأسفل.

أثناء سيرها كانت تستخدم ظهر الكراسي كدرايزين، لكنها فقدت
توازنها فجأة، فانهارت على مقعد يبعد عن مكانها بمائتين حيث لم تكن
الأطباق والكؤوس قد رُفعت بعد.

أوقف فرانكو الموسيقى. انهمك في الحساب. لم تصدر أصوات
إلا من المطبخ. "تشطيب"، همس برترام وأزاح الكأس تجاهي. قسمت
الكالفانوس المتبقى على كأسينا. كريم جداً كوتسنسكي، قال لايد من
الاعتراف بذلك!

ثم حدث التالي بسرعة فائقة: وضعت هني رأسها على المائدة. أتى
فرانكو بالفاتورة والورقة التي سجل عليها الطلبات، ثم انحنى عليها ونقر
على كتفها متحدثاً إليها. رفعت مرفقيها وكأنها تريد أن تدافع
عن نفسها.

صاح برترام: "فرانكو!"، ونهض ساحباً محفظته من جيب البنطلون. في اللحظة نفسها ظهرت ماريانا شوبرت. لم أكن رأيتها منذ فترة طويلة.

"خلاص، شطبنا"، صاح فرانكو، "المطعم مغلق!"

جلس برترام. مرت ماريانا بمائدتنا وحيث برترام قائلة: "مساء الخير يا بيتر"، ثم أومأت إليّ.

"سأفعل أنا"، قالت لفرانكو متناولة الفاتورة وورقة الطلبات.

"الآن فهمت كل شيء!"، همس برترام. "ماريانا المسترجلة وهنّي صديقة باير. كيف يخطر هذا على بال؟"

سألته: "باير، صاحبنا؟"

بالضبط، عشيقته وماريانا. هل تفهم الآن لماذا يحصل باير على كل إعلانات متجر «جنة الأثاث»؟ أنا أعرف زوج ماريانا، واعتقدت أنني عن طريقه وعن طريقها أستطيع أن أضع قدمًا في «الجنة». إنهم منجم فلوس! ولكن إذا كانت له هذه العلاقات ... قلن تحصل على شيء حتى لو شفت حلما أذنك.

"هل حصلت عليها أم لا؟"، سألت هنّي بصوت عالٍ.

لم أستطع فهم إجابة ماريانا.

"أنت قلت ستحصلين على رخصة!" بدت هنّي فجأة متفعلة.

على الساقين، عليك أن تقولى. لماذا لم تقولى: على الساقين؟ هكذا أنت! (*)

ركضت ماريانا مروراً بمائدتنا.

كرابا وأماريتو وكونياك؟، سأل فرانكو. أعطته بون الخزينة وورقة بخمسين، ثم استندت على طاولة البار وكيس النقود بين يديها المبسوطتين.

لا أعرف لماذا بقينا. لم ننطق بكلمة، والزجاجة كانت أيضاً فارغة، وهكذا ظللنا جالسين هناك بون أن نفعل شيئاً. فكرت فى جمع العملات المتبقية فى جهاز التليفون وإرجاعها إليها على المائدة.

سقط رأس هنى إلى الأمام ففزعت وتحركت حركة فجائية أطاحت بكأس. اصطدمت الكأس بمنقضة وتدحرجت عائداً، ثم سقطت واستقرت على جنبها فوق السجادة. وضعت فوق الأخرى ووسدت رأسها فوقهما وقد ابتعد المرفقان عن جذعها.

آية مساعدة؟، صاح برترام. هزت ماريانا كتفيها. إلا أن فرانكو كان أسرع. بدا الأمر فى البداية وكأن فرانكو انحنى لالتقاط الكأس، إلا أنه أمسك بهنى من تحت الركبتين، ممرراً ذراعه تحت إبطها الأيسر،

(*) إشارة إلى اختبار الحصول على رخصة حمل السلاح، حيث يسأل مقدم الطلب إلى أى جهة سيصوب سلاحه فى حالة الخطر، وذلك للتأكد من أنه لن يصوب ناحية القلب أو الرأس، بل على الساقين مثلاً. (المترجم)

ثم - فى هذه اللحظة وقع كرسى على ظهره - رفعها. حاولت ماريانا أن تسند رأس هنى المتدلية إلى الخلف. كنتُ قد نهضتُ ونظرتُ تحت مائدتها لأرى إذا كان قد وقع منها شىء، ثم أخذتُ شنطة يدها. حمل برترام معطفها وخرجنا جميعاً.

كان من الواضح أن فرانكو لديه خبرة فى هذه الأمور. بكل سهولة استطاع أن يضع هنى فوق المقعد الأمامى بجوار السائق. كانت ماريانا قد أرجعت ظهر الكرسى إلى الوراء. بحرص وعناية فردَ برترام المعطف على هنى.

"هل ستحتاجين إلى مساعدة، عند النزول؟"، سألتُ ماريانا وأنا أعطيها شنطة اليد.

"هل أنت متجه أيضاً إلى شمال المدينة؟"

"نعم"، قلت وأنا أفكر: هل بإمكان برترام كشف كذبي؟

"إذن لستما فى حاجة إلى"، قال على الفور ضاغطاً على يدي. ثم قال: "سلاماً يا ماريانا".

"هل نوصلك؟"، سألت.

"كيف إذن؟"، صاح برترام ملوحاً مرة أخرى أثناء السير.

قلت: "باى فرانكو".

قادت ماريانا السيارة بحذر وبيطاء بالغ عند الملفات. منذ مدة طويلة لم أحشر نفسى على الأريكة الخلفية فى سيارة. جبين هنى كان يقترب

شيئاً فشيئاً تجاه ركبتى اليمنى، رحت أرقب ماريانا فى المرآة العاكسة.
ذات مرة تقابلت نظراتنا، لكننا لم نقل شيئاً.

حاملاً هُنّى على ذراعى ظللت واقفاً أمام المدخل إلى أن وجدت
ماريانا ثغرة أوقفت فيها السيارة. تخيلت المنظر عندما يتجه شخص ليلاً
إلى الشباك، ويرى رجلاً واقفاً يحمل امرأة على ذراعيه. تمنيت أن
تستيقظ هُنّى، وتجد على بابتسامه، ثم تستغرق ثانية فى النوم.

بالمفتاح فى يدها ومعطف هُنّى على كتفها حاولت ماريانا أن تخدم
بوادر سعال أعلن عن ظهورم لديها. "هل ستحمل حتى الدور الثالث؟"
ذراعى شرعاً يفقدان الإحساس. شقة ماريانا كانت تفوح منها رائحة
طيبة. جمعت من على الأريكة مجلة "بورد" ومجلة برامج التلفزيون، ثم
كتاب من مكتبة المدينة الاستعارية. بأخر ما تبقى لدى من قوى ثنيت
ركبتى وأنزلت هُنّى برفق. طلبت منى ماريانا أن أخلع الحذاء. "حذاءها،
وليس حذاءك!" استدركت عندما بدأت أفك رباط حذائى. أمسكت بكاحل
هُنّى وخلعت الفردة الأولى بسهولة. عند الثانية رفعت ساقها سهواً
فلمحت الكيلوت مرة أخرى.

أحضرت ماريانا بطانية وألقته على هُنّى، مثبتة أطرافها تحت
كتفيها وتحت جانبيها، وأيضاً تحت قدميها. ربطت حذائى مرة أخرى.
تنفست هُنّى بصعوبة، وكأنها على وشك أن تشخر، بين شفتيها انفجرت
فقاعة صغيرة.

وضعت ماريانا عند رأسها دلواً بلاستيكياً أزرق به قليل من الماء،
ثم تتحننت وقالت: "تحسباً للظروف!"

جلسنا فى المطبخ. كان الحائط الأيسر مغطى بكروت سياحية.
"كلها من بنتى"، قالت ماريانا. "بالأمس اتصلت كوني من كاراكاس، هل
ستعرف بدون تفكير طويل أن كاراكاس تقع فى فنزويلا؟"
"لا".

"أعتقد أن كوني نفسها لا تعرف أحياناً أين هى".
شربنا شايًا ثم قهوة، لم أستطع أن أقول لها ما المدة التى قضتها
هنا فى المطعم.

"شربت حتى سكرت طيبة، ثم اتصلت بالتليفون مرتين"، قلت.
"مرتين؟ كنت راقدة مستيقظة، وعندما أردت إحضار زجاجة بيرة
رأيت جهاز الرد الآلى يومض. عندئذٍ انطلقت".
"الخمير هو الشيء الوحيد الذى يساعد على النوم عندما يكون القمر
بدرًا"، قلت لها.

"من كان يتنبأ أنك ستجلس هنا فى مطبخى ... والدك أعرفه ...
الرفيق مويرر، حضرة ناظر المدرسة".
"هو الآن فى المصحة، فى نوزن".
"فى نوزن؟ أنا رأيتته شخصياً مرتين أو ثلاث مرات، ولكن هل
تصدقنى عندما أقول لك إنه لا يوجد شخص تحدثت عنه هنا مثلما
تحدثت عن والدك، هنا حول هذه المائدة؟ هل تصدقنى؟"

أومات برأسى، أردت أن أقول لها إن إرنست ليس أبى الحقيقى،
ولكن ربما كانت ستفهم ذلك على نحو خاطئ.

مع القهوة كنا نأكل مخبوزات مملحة تشبه العيدان الرفيعة،
ونتحدث عن المخاوف التى تنتاب الكثيرين، وتمنعهم من الخروج إلى
الشارع فى الظلام - مخاوف تقترب من الهستيرية.

"يكفى أن ينظر الإنسان إلى أبواب الشقق"، قلت، "ليرى أنواع
وأشكال الأقفال التى يركبها الجميع".

"عندما أكون وحدى فى المساء فى متجر الأثاث أشعر أنا أيضاً
منذ مدة بالخوف. لفترة طويلة لم يكن لدى هذا الشعور. من يشعر
بالخوف، لديه ما يخسره، إذن فحالى لا يمكن أن يكون سيئاً بالدرجة
التي أعتقد دائماً، وإلا كنت سأشعر باللامبالاة، هكذا ظلت أفكر فترة
من الزمن، أما الآن فكثيراً ما أفكر أنهم سيهجمون فى اللحظة التالية
وينهبون كل شىء، ولكن ليس معنى هذا أن يصرخوا لى بحمل مسدس."
جاهدت ماريانا لتكبت التثاؤب. "المحلة النفسية - دائماً هناك محلة
نفسية فى مثل هذه الحالات - سألتنى ماذا أفعل عندما يقترب شخص
منى. قلت سأطلق النار. إلى أين، أرادت أن تعرف. قلت لها إنه لا يوجد
إلا مكانان مضمونان، فى القلب أو فى الرأس. أرادت التأكيد فسألتنى:
إنى ستطلق الرصاص؟ طبعاً، أجبتها، ماذا تعتقدين أنت؟ قالت لى
إننى لن أحصل على المسدس، إنها لن توافق على ذلك، لا تستطيع أن
توافق، بسبب اللوائح. شكرتها. كان الرد واضحاً."

تناولت ماريانا آخر قطعتين من العيدان المملحة، عارضةً على واحدًا. الأخرى كانت تخبّفى ببطء ويانتظام فى فمها. كانت تمضغ بعناية، ثم مرت بطرف لسانها على أسنانها.

“آه، شوف من يقف هناك!”، صاحت. كانت هنى تقف فى فتحة الباب وهى تدعك بكعبها الأيمن بسمانة قدمها الأخرى، نصف وجهها كان محمرًا. “هل أيقظناك؟”، سألتها ماريانا.

كانت هنى تريد أن تقول شيئًا، إلا أنها وضعت ساعدها أمام فمها. فى النهاية رفعت رأسها وقالت: “مساء الخير.”

“مساء النور”، أجبت ووقفت. عرفتنا ماريانا ببعضنا البعض.

وهكذا تعرفت إلى هنى، بعد ثلاثة أشهر سألتنى عن رأى فى أن نتزوج، وكان هذا أجمل شيء حدث لى فى كل حياتى حتى تلك اللحظة.

أمى فقدت عقلها بالطبع، ولكن حتى إرنست ومارتين ودانى، بل حتى ساره - ابنة هنى - كان رأيهم كلهم أننا منسجمان.

فى حفل الزفاف سار إرنست فجأة إلى مائدة ماريانا، ثم رقصت ماريانا معه نون أن يتبادلا كلمة واحدة. عندما رافقها عائداً بها إلى مائدتها شكرها بانحناءة، بعد ذلك انصرفت. قبل الحفل كانت قد رفعت التكليف بينى وبينها وتوقفنا عن مخاطبة بعضنا بكلمة “حضرتك”، كما أننا نحصل الآن على إعلان “جنة الأثاث” الذى ينشر على صفحة كاملة. تركت هذه الصفقة الدسمة لبرترام. ماريانا غضبت من أجل ذلك كثيراً.

قالت لى إن برترام حاول كثيراً أن يتقرب إلينا من أجل الصفقة، وإنه من الغباء، من الغباء البالغ، أن أستغنى عن ٨٠٠ مارك عمولة شهرية. لو كانت تعرف ذلك لما بذلت كل هذا الجهد من أجل أن نحصل على الإعلان. ولكن ليس من أجل سواد عيون برترام!، قالت.

أعرف أن ماريانا محقة، حتى لو لم أعترف بذلك. بالطبع لا أريد أن تعرف هنّي شيئاً عن الموضوع كله، وخصوصاً أن استغنائى عن النقود لم يأت بآى نفع، على الإطلاق. كان على أن أعرف أن الأمر لن يسير كما أريد، أننى لن أستطيع أن أعتق نفسى بالمال، أن برترام ليس هو الموضوع. أدركت هذا، على أقصى تقدير، عندما رأيت كيلوت هنى البنفسجى مرة أخرى.

الفصل الخامس والعشرون

يا الله ، ما أجملها !

إيجار كورنر يحكى حكايات، ويدعو جينى ومايك
للمبيت فى موتيل (*). فجأة يريد ترك كل شىء
والرحيل، لكن ما يريده لا يتم. النادلة تذهب إلى
بطل شاب.

"كنت أصور قبل الظهر فى "إجليزيا دى سان كرسطوبال". كان
عجوز رث الهيئة يجلس هناك. إلا أنه نهض وهرب عندما رأى آلة
التصوير التى أحملها. فى الظهيرة كان العجوز نفسه يقف فى "كاله دى
سبستيان" ويشير إلى مكان شاغر يمكننى أن أوقف فيه السيارة.
أعطيته ٣٠٠ بيزو. عندما ركبت سيارتى بعد ساعتين كان يقف هناك
أيضا ممسكاً بعصا بيضاء رفيعة فى يده، أعطيته الفكة التى معى، بعد
العصر كان جالساً على البار فى حانة "دى كولونيال" يحتسى البيرة -

(* موتيل : فندق صغير على الطرق السريعة . (المترجم)

أو هذا الشيء الذي يطلقون عليه بيرة. عندما دخلت كان يبصق على الأرض، ثم أمسك بمنديل ورقي وتمخط فيه ثم ألقاه. أسقط إيدجار منديل السفارة إلى جانب المائدة. هكذا. ثم خطف منديلاً آخر، وكأته فص ملح وذاب. كنا نجلس متقابلين على البار الذي يشبه حدوة الحصان، رسم إيدجار في الهواء زاويتين قائمتين. "حياني العجوز وقال شيئاً، لعابه كان يابساً على حافتي فمه، وأيضاً على شفتيه في الأمام. بدا وكأنه يُقدّر المسافة بيننا. ثم نزل من على كرسي البار، ولكنه، والله الحمد، جلس ثانية وواصل الشرب". نظر إيدجار إلى جيني أولاً حتى إنها حولت عينيها عنه، عندئذ نظر إلى مايك الذي كان يدخن، وفي طبقه لا تزال نصف شريحة اللحم. أدار إيدجار فنجانته من أذنه وكأنه يدير عقرب ساعة.

"وبعدين"، واصل، "بيننا على البار - يعني في رأس الحدوة - كان يجلس رجلان، رأسهما متلاصقان. وفجأة، استطال جذع إيدجار، أمسك أحدهما بالجرسون. مد يده إلى الوراء دون أن يتحرك، ف وقعت يده على جيب بنطلونه. صعق الجرسون ونزل عليه سهم الله، ثم سرعان ما بدأ يتبادلان السباب والصراخ وأنف كل منهما تكاد تلامس أنف الآخر. سكب الرجل قهوته الإسبريسو فوق كيس السكر على طبق الفنجان، ثم جاء ماذا ذراعه ناحيتي، وطلب إسبريسو آخر، ثم أشار بأشمئزاز وخبث فوق خشبة البار. في هذه اللحظة شممت رائحة العجوز. رفع كأسيه في اتجاهي صائحاً: "صباح الخير!" رفع إيدجار فنجانته بكلتا يديه، وكأنه يريد أن يستدفي. "من اليمين واليسار حاصره

جرسونان. بطلق العجوز في بيرته، ثم رفع عينيه وكأنه يفكر بهدوء فيما ينبغي فعله، ثم صاح: "مساء الخير!" نهر الجرسونان العجوز، وبعد أن حدا مكانى بطرف الأعين، انها لا على مؤخرة رأسه بالضرب، بسرعة، مرة، مرتين، ثلاث مرات - لا أعرف إذا كانوا فعلوا ذلك بالكف أم بالقبضة. كان رأس العجوز يندفع إلى الأمام مع كل ضربة، لكنه لم يدافع عن نفسه، واكتفى بالتشبث بكأسه. وضع إيدجار فتجانه الفارغ وانحنى إلى منديل السفر. "هل تريدان طلب شيء آخر؟"

"وبعدين؟"، سألت جيني. أشعل مايك لنفسه سيجارة.

"كانت رائحته فظيعة لا تطاق"، قال إيدجار. "شربت كأسى وانصرفت".

"والعجوز؟"، سألت جيني.

"بالتأكيد رموه أمام الباب". رآح إيدجار يتأمل الاثنين. كان مايك يرسل البصير إلى الخارج، لم يكن من الممكن رؤية الطريق السريع من هنا.

قطع إيدجار قطعة من الخبز الأبيض ومسح بها صلصة الطماطم على حافة الطبق.

"لماذا تحكى لنا ذلك؟"، سأله مايك دون أن ينظر إليه.

"حتى لا أنعس. لأنكما لم تفتحا فمكما".

"ليس صحيحاً"، قال مايك، وإنما لأننى قلت لك إننى أعمل على البار، والجرسون في رأيك شخص معنوم القيمة .. هذا هو السبب".

يا بنى آدم، صاح إيجار. "أنت بارمان!" طبق المنديل وحشى به
الفنجان. النادلة ظلت واقفة والأطباق الفارغة على ذراعها.

"كله تمام يا بريتي، شكراً"، قال إيجار للنادلة.

"شكراً"، قالت جيني، "الأكل كان لذيذاً".

عندما لم يلتفت إليها مايك انصرفت النادلة.

قالت جيني: "أنا أحب العواجيز".

راح إيجار يمضغ وهو يهز رأسه عدة مرات.

"الأمر لديهم واضح تماماً. تسألهم عن شيء فيجيبونك عن آخر،
تسأل مرة أخرى، فيحكون لك شيئاً آخر تماماً، ثم تسأل للمرة الثالثة،
والأخيرة".

سألها إيجار: "ألا تريدان الإجابة الصحيحة على الفور؟"

"لا. أنا أسأل مثلاً عن السبعة، فيجيب العواجيز عن الأربعة،
وعندما أسأل مرة أخرى، يكلمونني عن الستة ثم عن الثلاثة، وعندما
أستسلم يقولون: أربعة زائد ستة ناقص ثلاثة يساوي سبعة، ولكن ليس
هذا تشبيهاً جيداً".

"بلى"، قال إيجار. "أفهم ما تقصدين. تشبيه جيد".

"هل حصل لك شيء مشابه؟"

"لا أعرف إذا كان ذلك ينطبق على ما قلت"، قال إيجار. "مرة حدث
لي شيء مشابه في السينما. كنا قد أتينا متأخرين، ولم يكن هناك

أماكن سوى فى الصف الأول. دخلنا فى الظلام. التصوير فى الفيلم كان من فوق، طائرة تمر فوق غابة موحشة، أغلقت عيني حتى لا أدوخ، عندئذٍ سمعت على يمينى قرقرة عميقة، ضحكة رائعة".

"ماذا هناك يا مايك؟" سألته جينى. ترك مايك ولاعته تسقط فى جيب الصدر، ثم اتكأ إلى الوراء.

"أنا أيضاً تعبان"، قال إيجار ورجع بكرسيه إلى الوراء وكأته على وشك النهوض.

"لا"، قالت جينى، : أريد أن أسمع بقية الحكاية، من فضلك".

نظر إيجار إلى مايك. "طيب، سينما، الصف الأول، ضحك بجانبى ..".

قالت جينى: "ضحكة رائعة".

"بالضبط. ودائماً فى مواضع لم يضحك فيها أحد. كانت تضع ساقاً فوق الأخرى، وتؤرجح قدمها اليمنى. أحياناً كنت أرى سمانة قدمها وكاحلها. كنت أنظر إليها من طرف عيني وأترقب صدور الضحكة، وهذه الساق المتأرجحة، كأنها دعوة. لامس كوعى كوعها، فلم تشعر على الإطلاق. قلت لنفسى ليس على إلا أن أحيطها بذراعى، وسوف تتكى على الفور على كتفى، وكأن هذا شىء بديهى تماماً، وكأن هذا هو المفروض أن يحدث، وفى نفس الوقت أردت أن أمر بيدي على سمانتها. كان على أن أتحكم فى نفسى، أتحكم بقوة فى نفسى. كنا

نجلس متلاصقين. أخذت أقول لنفسى: "يا الله، ما أجملها!" بعد كل ضحكة كنت أريد أن أقبلها.

"وبعدين، هل فعلت؟"

"لم أعرف من يجلس بجانبها. رجل - نعم، ولكن هل هما معاً؟ لم أعرف. لم أعرف إلا أنني لا بد أن أكلّمها، حتى لو تركت صديقتى بسببها."

"لم تكن وحدها؟"، سألت جينى. وضعت النادلة منفضة نظيفة على المائدة، ضغط مايك على سيجارته.

"لا، لم تكن وحدها. كانت مع شلة كبيرة". وتوقف إدمار عن الكلام.

"وبعدين؟"

هز رأسه قائلاً: "لم يكن من الممكن أن أرى ذلك. كانت عبيطة. المجموعة كلها كانت من العبط."

"حظك زفت!"، قالت جينى.

"أحببت مجنونة".

"غير معقول".

"أما أسوأ ما فى الأمر فهو أنني كنت أشتهيها بالرغم من ذلك".

"ماذا؟"

"كنت واقعاً في حبها، المسهم كان قد نفذ". اتكأ إيجار واضعاً أصابعه على حافة المائدة. ابتسمت جيني. مايك كان قد أخرج ولاعته من جيبه مرة أخرى وراح يلهو بها.

على الموائد حولهم لم يعد يجلس سوى سائقين فرادى، أو ثنائيات صامتة. على الموائد الأمامية، بين الخزينة والمدخل، علت أصوات.

"لازم نمشى الآن، فعلاً"، قال إيجار واضعاً مفتاح الغرفة بين جيني ومايك. "أذهباً أنتما، سأدفع الحساب."

"كله تمام يا مايكى؟" تناولت جيني المفتاح وبهضت قائلة: "شكراً".

تمعن مايك في العلاقة المعدنية الثقيلة في يدها وعليها رقم ٧ البارز. دون أن ينظر إلى إيجار زحزح كرسيه إلى الخوراء وتبعها.

"من أين أتيت بهؤلاء العيال؟ هل أشيل كل يوم؟"

هز إيجار رأسه موافقاً. "لم يعودوا شيئاً أجابها. ولكنهم يتصرفون كالعيال، أليس كذلك؟"

"أنت علفت الغروسة منه" قالت النادلة، "بحكاياتك المرعبة".

"بريتى، لا تبالغي".

"أنت ترى. أتلقت الليلة عليه".

"لا أريد شيئاً من البنت، أنت تعرفين ذلك. أحضرى اثنين قهوة ودعك من الحمقى فى الأمام".

"الأمر لا يهمنى على الإطلاق يا إدى، يمكنك أن تفعل ما تريد، وأنت تفعل ما تريد". رفعت كل شيء من على المائدة وكرمشت المناديل الورقية.

"الاثنان كالماء والنار. هي من برلين الشرقية، وهو من شتوتجارت. لا أعرف لماذا تشاجرا. هل يصعب عليك الشاب؟"

"أتريد أن تقول لي"، واستدارت نصف استدارة، "إن كل الشبان لابد أن يمروا بموقف كهذا؟"

"أنا أستلطف الاثنتين، بأمانة. أشعر بالفرحة عندما ألتقطهم من الطريق، ولأننى لست واقفاً على الطريق مثلهم بشنطة الظهر فى انتظار توصيلة، أحياناً أشعر فعلاً بالفرحة من أجل ذلك".

"الحساب كله مع بعض؟"

"مع بعض". تتبعتها بنظره وهى تمر بالخزينة، ثم وهى تبطئ خطواتها أمام الباب الأوتوماتيكي، إلى أن دخلت المطبخ من اليمين. تناول مسواكاً، وكسره، ثم كسر النصفين. أظفار يديه نظيفة. راح ينظر إلى الموائد أمام البار. كانت امرأة قد استدارت بكرسيها، وراحت تتحدث بصوت عالٍ مع رجال من المائدة المجاورة. جاءت بریت بفنجان قهوة كبير.

"أنت زعلان؟" رمى إيجار ببقايا المسواك فى المنفضة. وضعت بریت القهوة أمام إيجار، وكنست المفرش، ثم دست الفرشاة الصغيرة فى جيب المنزلة.

"كانا يريدان السفر إلى فرنسا. ثم سُرقتَ فلوسهما، والآن هما على الحديدة، أو على الأقل هذا ما يقولانه".

"أنت تنام في سيارتك القديمة وتدفع لهما ثمن غرفة؟"

"هل هذا عيب أو حرام؟"

"على الأقل غير معتاد".

"وبعدين؟"

"أنت دائماً كريم خصوصاً عندما تفتح الشبابات قلوبهن لك".

"بريتي!" قال إيجار واضعاً ورقة بمائة على المائدة. "قولى لهما في

الصباح الباكر إن كل شيء على ما يرام، ماشى؟ سأدفع الفطار".

"ماذا؟"

"سأسافر إلى هرايسهاوزن، ولا أحد يعرف، ربما يتساقط ثلج

كثيف ولا أستطيع العودة".

"ومسموح لك؟"

"ما زال أمامي أكثر من ساعة".

"لن يجيئنا إلى الفطور إذا لم يكن معهما فلوس".

"أريد أن أنطلق الآن يا بريتي، هذا أفضل على ما أعتقد".

صاحت: "يا ربنا!"

"ماله ربنا؟"

"لا تتصرف هكذا كالأطفال. وكما ترى ليس عندي وردية فطار."

"سأفعل الآن، وإذا لم يجيئنا، تحتفظين بالفلوس لى، ماشى يا بريتى؟"

"وإذا سرقا شيئاً؟"

"بطلى تخاريف!"

"أنا أسأل فقط."

"أبرياء سذج ..."

"ليسا بريئين يا إدى، هما الاثنان."

"هل تكفى؟" ونقر على الورقتين المائيتين.

"الماكينة مضرية عن العمل". جلست أمامه وجمعت الطلبات ثم

قطعت الورقة من الدفتر.

"من يجلس هناك فى الأمام؟"، سأل إدجار.

"زبائن زفت اليوم."

"كالخنازير."

"آه"، قالت وراحت تبحث فى محافظتها عن فكة. "يا خنازير

العالم (*)"

(*) إشارة ساخرة إلى عبارة ماركس الشهيرة: "يا عمال العالم اتحدوا!"

(المترجم)

"خلاص. إذا لم يظهر، قيدي الباقي في رصيدي، ماشي؟"

"طفل عنيد"، قالت وهي تلوح بدفتر الفواتير أمام أنفه.

"وارمي هؤلاء الخنازير بره".

"من، أنا؟ طالما ماكينة القهوة شغالة...".

"قهوة؟ إنهم سكرانين".

أرجعت بریت زجاجة الخل إلى مكانها فوق المائدة بجانب التوابل.

"واحلق ذقنك يا إدي".

"إذا كنت تريدني"، صاح خلفها، فتح العلبتين البلاستيكيتين

الصغيرتين وسكب الحليب في القهوة، ثم دس محفظته في الصديري.

في نورة المياه غسل وجهه طويلاً. تأمل في المرآة كيف يسيل الماء

من ذقنه، أثناء التجفيف أخذ يدير رأسه يميناً ويساراً.

ارتشف القهوة ونظر إلى الرجلين، وقفاً أمام بعضهما البعض

كأنهما لاعبا كرة قدم، وراحا يتبادلان الصراخ، بالألمانية، إلا أنه لم يفهم

شيئاً. عند المدخل عاد زوجان عجوزان مرة أخرى، تحسس إ دچار

مفتاح السيارة في محفظته، الزبائن الذين يجلسون إلى الموائد المظلة

على النوافذ كانوا يقومون وينصرفون دون أن يلاحظهم أحد. عدد

المنصرفين يتزايد من وقت لآخر.

تعرف إ دچار على الشاب بشعره الكثيف الأشقر المائل إلى الحمرة،

وأيضاً بسبب حركة كتفه. حشر نفسه بين الرجلين، وكأنه يريد الوصول

إلى إيجار من أقصر طريق، إلا أنه لم يستطع التقدم، ظل واقفاً بين الرجلين، وقعت شنطة الظهر ومفتاح الغرفة على الأرض.

عندئذٍ تراجع الرجلان. ساد الهدوء في المطعم. ببطء شديد رفع مايك يده اليسرى، وضعها أمام عينيه مثل كتاب ثم أخذ يرمش، وكأنه لا يستطيع القراءة بسبب العتمة، بلا حراك تأمل كفه الذي نزف منه الدم ماراً بساعده ومرفقه حتى تساقط على الأرض. كان الرجلان قد اختفيا.

اقتربت بریت منه وأمسكت بكتف مايك، ثم انحنت وتفحصت وجهه. التقطت النادلة الأخرى مفتاح الغرفة من الأرض. حملا مايك إلى أقرب مائدة، ثم أجلساه على كرسي. أقبلت امرأة من البار. دخل الرجل العجوز وزوجته مرة أخرى ووقفاً أمام مايك. أحضروا صندوق إسعافات أولية من المطبخ. تزايد عدد الناس الواقفين حوله وراحوا يتحدثون إليه وكأنه يحتاج إلى تهدئة. عبر روعسهم لمح إيجار وجه الشاب الشاحب.

"أنت غبي"، صاح إيجار بعدما نفذ إلى داخل الدائرة. "أنت عبيط وغبي!" انزلق مايك على كرسيه وفرد ساقيه، ثم ابتسم له. ربطوا يده. أكثر من مرة داعبته بریت في شعره. وضعوا شنطة الظهر المعلق بها كيس النوم بجانب كرسيه.

"أنت فعلاً عبيط وغبي!"، قال إيجار وهو يأتي بإشارة ذات معنى.

نون أن يفقد إيجار من مجال بصره تحسس مايك المائدة بيده غير المربوطة حتى عثر على المفتاح، ثم ألقى به بين قدمي إيجار، وضحك، ضحك فجأة ضحكة عالية مجلجلة جعلت إيجار يتراجع، بينما كانت علاقة المفتاح المعدني وعليها الرقم ٧ في الوسط بينهما تماماً.

الفصل السادس والعشرون

طفل يومض

برلين، مساء يوم أحد في شهر أغسطس. تحكى
ليديا - وهي تاكل أرزاً بلبن - عن جينى ومايك
وجان وألكس. مسن يجلس على البلكونة. مصباح
إشارات التحذير على النافذة. من وماذا وإلى أين؟

عندما ملأت طبقى من الأرز باللبن كان لا يزال دافئاً. فى المنتصف
صنعت حفرة صغيرة ملأتها بقطع اليوسفى من اللعبة المعدنية. تجمع
العصير على شكل دائرة رقيقة على حافة الطبق. أرش الطبق كله
بالتساوى بالسكر والقرفة. وأمسك بالمعلقة عمودياً حتى لا ينسكب شىء.
على حافة الشباك توقف مصباح إشارات التحذير عن الإضاءة.
المصباح يتأثر على الفور بالضوء أو بالعتمة. زجاج المصباح أصفر،
تقريباً برتقالى، فوقه مثلث معدنى يستخدم كعلاقة. على الإطار الأصفر
مكتوب بخط أسود: SIGNALITE.

شباك المطبخ يطل على الحوش. إلى يساري، في الجناح الجانبي، ما زال العجوز يجلس على بلكوتته. في العصارى يتشمس، أثناء ذلك غالباً ما يستمع إلى موسيقى موتسارت أو فاجنر، وأيضاً إلى موسيقيين آخرين تبدو أعمالهم مألوفة لدى، لكنني لا أستطيع تحديدها بالضبط. عندما يفتح العجوز باب البلكوتة تظهر أولاً أصابع يده اليسرى المرتعشة التي تستند إلى إطار الباب. باليمنى يتكى على عصا. قدماه والجزء السفلى من فخذه لونها أزرق محمر من الورم. يسير وكأن قدميه محشورتان في حذاء ثقيل رهيب، لذا يختبر في كل خطوة إذا كانت الأرض ستتحمله. يستغرق الأمر وقتاً طويلاً إلى أن يجلس العجوز واضعاً كلتا يديه على رأس العصا، أو يداً على كل فخذ. كل نصف ساعة تقريباً يزحزح كرسيه وفق اتجاه أشعة الشمس، حوالى الساعة الرابعة يكون قد استدار كليةً إلى. يرتدى كلسوناً أبيض تحت برنس الحمام ونظارة داكنة. خصلات شعره التي تحيط بصلعته تصل إلى الياقة. لقد استغرق في النوم، على ما يبدو، أثناء كونشيرتو الأبوا. تقترب الساعة الآن من السادسة مساءً.

بسبب هذا الخر أشعر بالتعب طوال اليوم. في الليل أرقد على سريري مستيقظة، ولا حتى النسيم الرقيق يساعده على النوم.

صباح اليوم كان رجلان يركلان علبة معدنية فيما بينهما، وأمام بيتنا تحديداً، حوالى الساعة الخامسة. بعد ذلك الغربان التي بدأت تتسامر. أقسم بربى أنها كانت فعلاً تتسامر. ومسك الختام كان رنين جرس التليفون، في مكان ما مجاور، فالشبايبك كلها مفتوحة. عندما

استغرقت فى النوم أخيراً دق يان الجرس. كان أتيا من "تريزور". أراد الحرس والتادلات هناك أن يذهبوا إلى بيوتهم فى الصباح. ليس هناك وردية صباحية بسبب موسم الإجازات؛ لذلك كان لابد أن يغلقوا. أراد يان أن يفرجنى على المصباح الذى سرقه هو وألكس من ورشة البناء فى شارع بوتسوف. طوال الليل كانا ينطان ويقفزان فى المرقص الشبيه بالخدق حاملين مصباح الإشارات التحذيرية. لا أعرف ما حدث بعد ذلك. لم يقل يان سوى أن كل شىء انتهى مع ألكس وأنه لا يريد سماع اسمه، ثم سألتنى إذا كان من الممكن أن يسكن عندى، فقط لبضعة أيام. ولكننى لا أريد أن أخوض فى هذا الموضوع من أصله.

حوالى الحادية عشرة كانت جينى ومعها مايك يقفان أمام الباب، لم يكن قد مر أسبوع على سفرهما إلى فرنسا. يد مايك اليسرى مربوطة وتستند على رباط مشدود حول العنق. مفتاحهما لدى. يتقاسمان مع ألكس ويان شقة ذات غرفتين ونصف فى الطابق الأسفل. فى العصر جاءت جينى وحدها، كانت قد اختفت قبل نصف ساعة، ولا أعرف هل ينبغى على أن أكون غاضبة أو زعلانة، أم أعتبر ذلك علامة على حيرتها، أو ربما على ثقته بى. فيما مضى كنت أضحك على شىء كهذا.

طبعاً تسرنى زيارتهما. نظرياً من الممكن أن أكون أمهما. على نحو ما نكون أحياناً عائلة، لكنهما لا يلاحظان متى بيدان فى إرهابى. يعتقدان أن عليهما أن يعتنيا بأمرى لأننى أعيش وحيدة؛ لهذا طبعوا إعلاناً باسمى فى صحيفة "تسيتى" فى باب "البحث عن أصدقاء". منذ

أن رأوا صورة لباتريك عندي يلحون على كى أكتب له. شرحت لهم مراراً أن باتريك كان من الأسباب التي جعلتني لا أطيق ألتنبرج. فاض بي الكيل وطفح بعد الأمسية التي قضيتها مع هوليتشك. هي وسرها المفضوح. كما أن هروبي - كما أقول دائماً - هو الخطوة الأولى لإدخال النظام في حياتي؛ هذا النظام لن أتخلى عنه هكذا برعونة، حتى لو كانت جيني والأولاد الثلاثة يتصرفون معي وكأن الوحدة هي أسوأ شيء في الحياة. كنت أعتقد أن الشباب يفكر بطريقة أخرى، بالإضافة إلى ذلك فإن باتريك لديه الآن زوجة أخرى، كما أنه عثر على عمل جديد، ولكن ليس لكل هذا وزن عندهم.

على كل حال كانت جيني جائعة. فتحت الثلاجة وصاحت: "متى ستأكلين كل هذا؟" راحت تتفحص محتويات الرف واضعةً يدها عليه.

"أسخن لك المكرونة، لازانيا بالخضار، من الغداء؟"

من الفريزر أخرجت كيساً به خضار على طريقة ناسي-جورنج، وراحت تقلبه عدة مرات إلى أن عثرت على طريقة التحضير. البلوزة الزرقاء الفاتحة الخالية من الأكمام - التي لم تعد تصلح لي - كانت واسعة عليها. "يمكن إعدادها في الطاسة أيضاً"، قالت جيني. "هل تأكلين معي؟"

فسألتها: "وماذا لا تريدين اللازانيا بالخضار؟"

كانت جيني قد رفعت علبة، وصاحت: "يوسف أفندي! تسمحين لي؟ ما زالت هناك علبة". حشرت كيس الناسي-جورنج في الفريزر مرة

أخرى. "لا تضع أمي معلبات في الثلاجة لأنها تستهلك كهرباء كثيرة"،
قالت وانحنت، ثم أخرجت برطمان المربى لترى ما وراءه. "الله، رز بلبن!"
بكلتا يديها رفعت علبة أرز بلبن قائلة: "من فضلك، من فضلك، من فضلك
يا لبيديا!" كان رف الخضار بارزاً لذلك ثم يغلق الباب جيداً.

"عندك قرفة، سكر وقرفة؟"

"جيني"، قلت محذرة، "الثلاجة". ضغطت ببساطة على الباب حتى
انغلق، ثم سحبت سكين صغيرة من درج أدوات المائدة، وقطعت الطرف
المخطط من علبة الأرز باللبن وفتحتها. "أين صفيحة الزبالة؟"، سألتني.
أشرت إلى الكيس الذي أجمع فيه العلب تحت الحوض.

بعد ذلك صرخت: "يع! شوفي التفاحة!" بقعة كبيرة بنية اللون
عليها. راحت جيني تقلب في الليمون الهندي وبقية التفاح في السلة
المصنوعة من القش. "هذه وحدها"، قالت وهي تشطر التفاحة بسكين
الخبز. "وبقايا الطعام؟" أشرت لها إلى صفيحة فضلات الطعام، ثم
حكيت لها عن يان وألكس ومصباح الإشارات.

"إذا كان لا يزال لديك رغبة، ثم تنتهي الموسيقى، فإنك تشعرين
وكأنك بالونة أفرغوها من الهواء"، شرحت لي جيني، كانت تقصد
الموسيقى وهذه الأشياء التي يبلعونها حتى يصبح المزاج عالياً. "المصباح
ينرفز، فعلاً"، قالت "شيء سخيف جداً. حتى لو لم أره، أشعر به. لماذا
يأتيان بشيء كهذا إلى البيت؟ هذا هو ما يجتني".

"هذا هو طفل يان، على الأقل طالما ظل وحيداً".

"رائع! طفل! ليس طفلي على أية حال". ثم صاحت: "أولاً، لقد عاد
ينام مع ألكس. ثانياً، هما أيضاً لم يسمحا لي بالاحتفاظ بالقطعة.
طفل!". واستطردت قائلة: "ينقصنا طفل! عندما تظلم الدنيا يبدأ هذا
الشيء في الوميض. أعصابي!" قطعت التفاحة إلى قطع صغيرة. على
كتفها الأيسر الذي انزلت عنه البلوزة رأيت شريطاً أبيض على بشرتها
السمراء.

سألتها عن يد مايك. زفرت جيني بصوت مسموع. "يلم الآن
حاجاته. أنا قلت له أن يجمع حاجاته. تسمحين لي بأن أشغله؟" راحت
تدير مؤشر الراديو. "في البداية يقول لي: ليس عليك أن تهتمى بالفلوس،
وبعد خمسة أيام يصبح مفلساً. كنت ثائرة، على الدوام مطاعم وبارات.
أية محطة هذه؟ كنت أريد التفرج على باريس! تصعلكنا يومين في ريم،
في المدافن، والآن يتصرف وكأنني أنا التي بذرت كل فلوسه". تطفئ
الراديو مرة أخرى. "مايك حشر نفسه بين اثنين يتشاجران، ووط نفسه
وهو سكران، الأستاذ مهم!" أخرجت جيني الطاسات. "كان الرجل لطيفاً
جداً ... الرجل الذي أخذنا معه"، قالت جيني. "كان مايك يريد السفر
إلى شتوتجارت، إلى والديه. قلت له، ما فيش مشكلة، سافر، ولكن من
غيري. قلت له: لم أسافر في سيارة نقل، ومع ذلك سأل السائق. كان
مكتوباً على السيارة شيء يشبه برلين، ولكنه كان يقصد ميران، إذا كان
هناك مدينة اسمها هكذا. سيارة فولفو مشحونة ببرتقال إسباني من
فرنسا. تحدث إدي طوال الوقت. إذا توقف عن الكلام ينعس على الفور،
هكذا قال. علينا أن نسليه. حوالى خمسين نكتة إلى أن وصلنا إلى

تقاطع هرمسورف. كان مايك وقحاً، وقال له إن عليه أن يشغل الراديو،
قالت جيني، ووضعت الطاسة المتوسطة فوق الموقد. "عند مثلث كيرشهايم
دعانا إدى إلى تناول الطعام والمبيت فى موتيل على حسابه. لم أجد فى
الأمر شيئاً، أن يعزم شخصين مفلسين، قبل ذلك كنت حكيت له حكاية
المشرفة فى حمام السباحة. كان بيننا تفاهم".

لم أفهم عما تتحدث.

"أنت تعرفين طبعاً حكاية حمام السباحة".

"لا".

"الآن يعرف المرء كيف تصفين!"، قالت جيني وهى تقرب الولاة
من عين الموقد. "كان ذلك فى اليوم السابق لحصولى على أول بطاقة
شخصية، أبريل، ٨٩، كنت مع صديقة فى حمام السباحة. كنا على وشك
النزول إلى الماء عندما جاءت مشرفة وقالت لنا إن علينا أن نرتدى
ملابسنا ونمشى من هنا، لأن التمرين سيبدأ الآن، أخرجت ساعتى، كان
لا يزال أمامنا عشرون دقيقة على الأقل". وضعت جيني زبدة فى
الطاسة، ثم آنحنت وأدارت مفتاح الموقد لتحصل على شعلة أكبر.

"ضيعتما وقتكما فى اللعب؟"

"دفعنا ثمن التذكرة، وكان لا يزال هناك وقت. حتى غطاء الشعر
كنا قد ارتديناه، وفجأة اقتحمت الحمام مجموعة كبيرة من السباحات
المحترفات نوات القدرات الخاصة، هكذا كان يطلق عليهن آنذاك، أليس

كذلك؟ أحطن بنا في دائرة، ولعبن بنا كرة اليد. شبعنا ضرباً. كنت أكرر لنفسى: لا تبكى، لا تبكى. ولا حيوان اهتم بأمرنا، ومع ذلك نزلنا إلى الماء، بركب مجروحة. عند بوابة الخروج، عندما أردنا تسليم مفتاح الأمانات، كانت المشرفة تجلس خلف المائدة، ولم تترد في أن تقول لنا: شكراً". أخذت جيني تحرك الطاسة بالزبدة الساائلة. "كانت تلك أول مرة أعرف كيف يتصرف الكبار، وكيف هو الوضع عندما لا يريد شخص أن يتعب نفسه ويوسخ يديه من أجلك. أردت أن أحكى القصة في المساء لأمى. عندما وقفت أمام سريري كنت أعرف أنني لا يمكن أن أحكى لها عن ذلك شيئاً، لن تتحمل ذلك. الأمر بالنسبة لها أسوأ بكثير منه بالنسبة لى، أسوأ بكثير، لم أستطع أن أحكى لها شيئاً فظيماً كهذا".

أقلت جيني قطع التفاح في الطاسة، وخلعت وهي تسير صندلها المثني من الخلف، ثم سحبت بأصابع قدمها الميزان من تحت الأرفف. وقفت فوقه، ثم نزلت، وحاولت مرة أخرى.

"شوفى"، صاحت. "مش ممكن. ٥٠. ٥٠ وزنى قنطار؟ برزت عظام كتفيها إلى الأمام وكأنتها جناحان صغيران. "٥١، شوفى!" تركتني أعتلى الميزان وهي تمعن النظر في المؤشر.

قلت لها: "٦٨ ، الميزان يعمل جيداً".

"ماذا؟ أنت تزنين ٦٨؟" رمقتني جيني من أعلى لأسفل. أزحت الميزان وأعدته إلى مكانه تحت الرف، ثم سألتها مرة ثانية عن يد مايك.

لم أستطع أن أواصل الحكى على راحتى لأن مايك كان دائماً يقاطعنى، قالت جينى وارتدت صندلها، ثم وضعت على المائدة طبق الفواكة المحفوظة وعلبة القرفة، وأزاحت السكرية فى اتجاهى.

دائماً كان يحشر نفسه فى الكلام، قالت، "إلى أن رجاء إدى أن يتركنى أحكى فى هدوء. وعندما لم ينفع الرجاء زعق فيه، وطلب منه أن يخرس. وكان معه حق يا ليديا، فعلاً". نظرت جينى تجاهى نظرة قصيرة. رجوتها أن تأخذ ملعقة خشبية للتقليب بدلاً من الشوكة حتى لا تחדش الطاسة، وأن تقلل من درجة الشعلة.

لما أصبحنا - مايك وأنا - وحدنا فى غرفة الموتيل، كان إدى ما زال يجلس فى المطعم، وعندئذ انهال على بالاتهامات - لماذا أحكى هذه الحكاية لإدى ولم أحكها له من قبل؟ هذه الأفكار لا تخطر إلا على باله، هذا هو مايك. كما أنه يتبول وهو يأخذ دشاً".

كل الرجال يفعلون ذلك".

"مايك لا يتحدث إلا كلاماً فارغاً: لن يمنعنى إذا كنت أريد أن أكسب بعض المال هذه الليلة، هكذا تحدث. هذه كانت النهاية بالنسبة إلى"، صاحت جينى. "مرة حكيت له شيئاً عن رجل كنت أقابله بين الحين والآخر، قبل أن أبدأ علاقتى بمايك، كان الرجل أكبر منى كثيراً فى السن، لكنه كان على ما يرام، مهذباً جداً وكريماً وغرقان فى حبه لى. كان يجد كل ما أفعله رائعاً. بدلاً من الهدايا كان يعطينى نقوداً، وأسبب ما لم يكن قادراً على فعل شيء ... اعتقدت أنه ربما يشعر تجاهى

بمشاعر أبوية، أو أن غريزة الحماية استيقظت لديه، أو شيئاً من هذا القبيل. وفجأة قرأ على حكاية قذرة، تقريباً سادية مازوخية. ربما كنت ستأضحك عليها لو لم يكن هو الذي قرأها، في تلك اللحظة انهار كل شيء، وضاعت الصورة التي كوتتها عنه، هذه الحكاية حكيتها لمايك، بدون داع. منذ ذلك وهو يعتقد أنني أخبئ سرّاً ... ألعاباً سادية مازوخية أو شيئاً من هذا القبيل وما اخترعه في جنون البقر الذي لديه. فقط لأن الرجل كان يعطيني نقوداً. ولكن هذا هو مايك. لم ألاحظ أن الغرفة مغلقة بالمفتاح إلا عندما صعدوا به. أوصلتنا إحدى النادلات بسيارتها إلى المستشفى، ثم أرجعنا، والأخرى كانت قد وجدت شخصاً يأخذنا معه إلى برلين. هذا السائق لم ينطق طوال الرحلة بحرف، وأنزلنا عند محطة فاتريه.

أقول لها إن عليها أن تلبس شيئاً تحت البلوزة، وإلا فإن المرء يرى كل شيء عندما تحرك يديها أثناء الكلام.

"ليس هنا"، أقول عندما وضعت جيني ذقنها على صدرها. "هنا، عند الإبط"

"منظرهما منفر؟"، تسألني. "يتدليان هكذا، شكلهما بشع، أليس كذلك؟" وفجأة عانقتني. بالكاد نهضت. ضممتها بقوة ومسحت على شعرها. تبلل كتفي الأيسر، عندئذ فقط عرفت أنها تبكي، وكما عانقتني فجأة، ابتعدت عني فجأة أيضاً.

خلطت السكر بالقرفة، وفرشت المائدة لشخصين، وسألتها عما تريد أن تشرب.

"ملك"، أجابت جيني وهي تقلب الأرز مع قطع التفاح. فتحت العلبة عن آخرها. "يقدم بارداً، مع موزلي"، قرأت بصوت عال، ورفعت درجة الشعلة مرة أخرى. أخذت تبحث عن الفتاحة وعلبة اليوسفي في يدها. بدأ الأرز يغلي في الطاسة. "تسمحى؟" وأعطتني العلبة والفتاحة ثم قلبت في الطاسة.

بنون مقدمات قالت جيني: "لعلك على حق. ربما من الأفضل أن يعيش الإنسان وحده".

عندما فتحت العلبة، رن جرس الباب. "لك"، قلت لها، ولم أنهض إلا عند الرخة الثانية، عندئذ خرجت جيني. سمعتها تفتح الباب. لكنها لم تقل شيئاً. ثم انغلق الباب. انتظرت. ناديت على جيني، ثم بحثت عنها. ليس في الشقة غيري.

أنزلت الأرز من على الموقد، وقفت بجانب باب الشقة وانتظرت. لم يكن هناك على الدرج أيضاً. أطفأت الموقد وتركت الماء ينساب في البانيو. هذا يساعدي دائماً. في البانيو ألعب بعلبة الشامبو الفارغة. أخذتها بين قدمي، ثم أضعتها على حافة البانيو، وأركز تفكيري ثم أضربها بأصابع قدمي، شريطة ألا تسقط في الماء. هذه هي طريقتي في لعب البلياردو، وهي مفيدة لعضلات البطن.

عندما رن الجرس مرة أخرى، جريت بيرنس الحمام إلى الباب. على مسانحة الأقدام أمام الباب وجدت مصباح الإشارات يومض. انحنيت على الدرايزين، لا شيء. حملت المصباح إلى المطبخ، ووضعتة على حافة النافذة حيث توقف على الفور عن الوميض.

ها أنا الآن قد انتهيت من الطبق كله، وما زلت لا أفهم ما حدث.
أضع ما تبقى من أرز دافئ في الطبق. الطاسة - التي لا تدخل الحوض
إلا مائلة - أغسلها على الفور، عندئذ أملأ علبة الأرز الفارغة بالماء
ليسهل غسلها فيما بعد. بعد ذلك أكمل الأكل.

لا أسمع صوتاً، لا في الحوش الداخلي ولا في الشقة تحتى.
لو كان الأربعة أبنائي كنت أنبت نفسي، وقلت إن الخطأ خطئى، وإننى
لا أهتم بأمرهم، وإننى فوضوية، أو كنت سأقنع نفسي أن السبب هي
المنطقة السكنية أو الزمن الصعب أو الحرارة.

ما زال العجوز نائماً. عندما يستيقظ سيتعجب كيف انقضى
النهار. عذر رائع، لكنه ربما لم يعد بحاجة إلى أعذار. فى الربيع يضع
دائماً شجيرة موز على البلكونة. بالمقبض المقوس لعصاه يجذبها ناحيته،
ويتحسسها ثم يعيدها، يتطاير طرف حزام برنسه الآن فى الهواء.
ستؤله الربطة. لا أستطيع النوم حتى فى السرير، وهو يأخذ تعسيلة
على كرسي كهذا، لكنه سيلاحظ أثر ذلك فى الرقبة والأكتاف، وسيرقد
مثل صاحباً فى الليل، يستمع إلى الموسيقى، ويتعجب من الضوء الذى
يومض، ويتساعل عن معناه. ربما يكون له تأثير مهدئ، مثل تكات المنبه
فى الماضى. كنت آنذاك فى الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة،
ولم أقل لأمى شيئاً، ليس فقط لأننى كنت خائفة، ولكن لأننى اعتقدت أن
وقع الأمر بالنسبة إليها أسوأ، وأننى لا يمكن أن أحكى لها شيئاً كهذا،
ثم طلبت هى الطلاق من الشخص الذى أنجبني لأسباب أخرى تماماً.

عندما أنتهى من الطعام سأغسل الطبق والعلبة الفارغة. ربما أضع المصباح فى الدولاب بين الملابس الشتوية، أو فى الحمام وأترك الضوء مشتعلًا فى الصباح الباكر لآبد أن أنزل المعلبات الفارغة. عمال القمامة يأتون لجمعها يوم الاثنين. سأضع صندل جينى على المشاية خارج الباب، والمصباح أيضاً. إذا لم يكن يان يريد طفله، لأن ألكس عاد إليه، فعليه أن يعيده إلى ورشة البناء فى شارع بوتسوف، هذا هو الحل حتى يعود كل شىء إلى مكانه.

الفصل السابع والعشرون

الرجل الخطأ

باتريك يهجر داني. مشهد في غرفة المعيشة.
رسالة ليديا والأرطال الزائدة. تينو وتيسرى
والوحش.

باتريك يجلس على قوته كبير رمادي أمام التلفزيون العطلان. إلى
يساره نافذة، وإلى يمينه المائدة وأمامه داني على كرسي وظهرها إلى
باتريك. ما زالت أطباق العشاء لثلاثة أشخاص في مكانها. كريتان من
الأربع كريات الزجاجية الصفراء يرسلان ضوعهما الباهت فوق المائدة،
وتحت الكريات شمعة تجترق. من الشقق المجاورة يسمع المرء الأصوات
الصادرة عن أجهزة التلفزيون.

تقرب داني سيجارة من الشمعة. تستدير وساعدها الأيسر فوق
المسند وترفع ساقها، الكعبان على حافة الكرسي.

يدس باتريك قدميه في حذائه نصف الرقبة، ويفك الرباط الأيمن
قليلاً، ثم يشده حتى يتساوى الطرفان، ويعقده عقدتين. يكرر الشيء
نفسه مع الأيسر. يسألها باتريك: "أنتامين؟"

تهز داني كتفها. باليد اليمنى تحيط بأصابع قدميها الاثنتين
وكأنها تشعر بالبرد. "أتعرف ماذا قال لي بيلى؟ إنه فقد عمله ويبحث عن
آخر. هربت زوجته منه، ووجد أخرى. ماذا يريد أكثر من ذلك؟ هكذا
تسأل بيلى". تنفخ داني الدخان في اتجاه باب الشقة المغلق أمامها.
"كانت أياماً جميلة في كورن-ساليس، أليس كذلك؟"

"جميلة جداً"، رد باتريك.

"لابد أن يرغب المرء تينو أحياناً لكي يكون سعيداً. الأطفال
يحتاجون إلى طريق واضح يسرون فيه".

"كان حظنا طيباً مع الجو".

"أن يصعد تينو على أكتافك يا بات. هذا أول الغيث، ألا ترى ذلك؟
وتجديفكما معاً، وكيف كان يسمع كلامك ويبذل كل جهده ... هذه
معجزة حقيقية". تهرش قصبه رجلها وتلمس لبرهة بذقنها ركبتيها.
"سيكون الأمر فظيلاً بالنسبة إليه".

يفرد باتريك راحتيه على بطنه، وبعد ذلك يضعها على مسند
الذراع.

"عليك أن تتصل بصديقك إنريكو"، قالت داني. "الآن بالذات، في
الوقت الذي بدأت أتعود عليه. كيسان مليئان بالغسيل القذر للتعارف،
فعلاً شيء فريد من نوعه! حتى اليوم لا أعرف ماذا كان ذلك الشيء
الأخضر، وكأنه ملاً الشنطتين بأوراق شجر البتولا أو فتات القرنبيط.

وكيف وقف هناك بالتي - شيرت المبقع، فاغراً فمه وكأئه على وشك أن يتقيأ. اعتقدت أنني لا أسمع جيداً عندما بدأ مرة عاشرة يتحدث عن سرطان معدته. خياله محدود جداً ككاتب، محدود بطريقة مفرعة. هل قلت له مرة ذلك؟ وإذا كان بالفعل خبيراً بالصين وشويناور كما يدعى... الواحد منا يعرف أقل من اللازم، هذه هي المشكلة. على الأقل أعفاني من سماع حكاية البرازيل مرة أخرى". تضع داني قدميها أمام الكرسي على الشبشب الكبير المخطط بالبني. "الواحد لا يستطيع حتى أن يطلب منه فرش المائدة. سيتلف شيئاً بالتأكيد، أما أدوات المائدة فسيبعثرها على المائدة بأي شكل. أتعجب من صبرك معه. أتعجب فعلاً. كل ما قاله إن لا شيء يربطه مع تلك المجنونة؟ وإذا كان يكذب عليك؟ وإذا كانت هناك شيء؟ ربما كانت تريد هي أن تنام معه؟"

"لا"، قال باتريك ساحباً شفثيه إلى الداخل. "بالتأكيد لا".

"من أين تعرف... تدعك داني بقدمها اليمنى كعبيها الأيسر ثم ترتدى الشبشب. تيري جاءت له براغيث مرة ثانية". تضع ساقاً فوق الأخرى. الشبشب الأيمن متعلق فقط بأطراف أصابعها. "كنت أسأل نفسي دائماً كيف تهرب امرأة منك - دعني أكمل كلامي - لتذهب إلى واحد مثله. أنا مندهشة فقط. كل مرة يظهر هنا أسأل نفسي كيف..."

"ليديا..."

"لا تكمل، من فضلك يا بات. لا تنطق اسمها هنا".

"أردت أن أقول إن لديها أسبابها". يتطلع برهة إلى داني.

بات". تدهس السيجارة فى طبق فنجان. "عندنا واحد يقول بعد كل جملتين إنه خلاص زهق. هذا هو السيد إنريكو فريديريش الذى يعتقد أنه كاتب، وهناك آخر يجلس أمامه ويمسك بيده ويشرح له لماذا لا ينبغي أن يفعل ذلك. هذا حضرتك. أسبوعاً بعد أسبوع ترفع من روحه المعنوية، وتقول له إن الحياة مليئة بالأشياء الجميلة، وتحاول أن تتزع عنه الخوف. يمكنه أن يقدم طلباً ويحصل على نقود للسكن، لديه تأمين، بل إنه يستطيع أن يقدم طلباً ويحصل مجاناً على غسالة. تبقى داني أصابعها الثلاثة مرفوعة. لكنه ينبسط عندما يفسد عليك كل الاقتراحات التى تقدمها له. هذه هى مهنته وهوايته. لا أحد، لا عمل، لا أصدقاء، لا شىء، لا شىء، لا شىء. أنا أعتبر ذلك مهيناً، على الأقل للموجودين أمامه. وفوق البيعة يملأ سرير غيره بالقىء، ويبكي وينوح لأنه وحيد. لو يقول له أحد: لعل أفضل شىء أن تفعل أخيراً ما تتحدث عنه طوال الوقت . يا إلهى، هل هذه معجزة؟ كما أنك لم تقل ذلك له. أنت ائتمنتها على ذلك، وبعدين؟ أنت لم تدع أنك سعيد بالأمر. هذه سخافة! وفوق ذلك: إن أولئك الذين يتحدثون طوال الوقت عن فعل شىء، لا يفعلون أى شىء، الذين يريدون فعل شىء لا يتحدثون عنه. أم أنا مخطئة؟ أليس هذا صحيحاً يا بات؟"

فى الغالب، قال نون أن ينظر إليها.

"والآن ما زلت ترى أن لديها أسبابها؟ هل هذا سبب؟ أن يهجر الإنسان شخصاً عاش معه سنوات، فقط لأنه قال عن شخص يعرفه: إنه لن يفلح؟ بسبب ثلاث كلمات لها ما يبررها؟ ولا حتى عنده الشجاعة أن

ينظر في وجهك. يكتب لها على ورقة "وداعاً"، وخلص؟ كان عندك حق! اليوم أكثر من آنذاك! لن يفلح هذا البنى آدم فى شىء! تمسك بخصلات شعرها عدة مرات وتشدها خلف أذنيها. "أنا فقط أوجه أسئلة يا بات، ليس أكثر، وما أعرفه، أعرفه منك. كل هذا حكيته أنت لى. أنا لا أخترع شيئاً! أو الفيلم الذى عملته بسبب التشيكية التى تنتظف البيت، ومن أجل ذلك لم تستطع الأنسة شوماخر أن تنام طيلة عطلة نهاية الأسبوع - حلقات سوداء حول العين، وكأنتك كسرت أصبص زهور البنفسج التى تملكها. هل هى جريمة أن يكلف المرء شخصاً لينظف له البيت؟ لا أخترع كل ذلك يا بات، والناس لا تتغير". تمر دانى بأصابعها فى شعرها. "ماذا كنت ستفعل آنذاك إذا ضبطتها عند إنريكو، إذا كانت لم تزل هناك؟ لم أسألك أبداً عن ذلك، ولماذا اعتقدت أن الطفل سيحل كل المشاكل؟ أتريد من كل امرأة طفلاً؟ مثل قرود المعبد فى بانكوك؟ لا تريد سوى أن تفرض جيناتها".

يندفع باتريك فى الفوتيه إلى الأمام.

"أنا أسفة! أسفة. لا تريد أن تأكل شيئاً آخر؟ أنا عملت السلطة من

غير لزوم".

يبقى باتريك جالساً على حافة الفوتيه. يقول: "سأصل غداً

بالكهربائى".

"لماذا؟"

"لأن التليفزيون عطلان".

"ولماذا تريد أن تتصل أنت بالكهربائي؟"

داني ..

"أنا أسألك: لماذا تريد أن تتصل أنت بالكهربائي؟ لماذا لا أفعل أنا ذلك؟"

"لأننى قلت إننى سأفعل ذلك. لقد وعدت تينو."

"وماذا ستقول للكهربائي؟ عليه أن يتصل بى؟ أم ماذا ستقول له؟"

لا أفهمك. أنت لا تفكر فيما يحدث، لا أطلب منك أن تفكر فينا، ولكن على المرء أن يفكر ويتأمل فيما يحدث. هذا هو كل شيء."

تقرب داني سيجارة جديدة من الشمعة. "أنت لا تقول أى شيء؟"

فجأة انفجرت بناييع التسامح عندك؟"

"وماذا ينبغى أن أقول؟"

"مثلاً، ما تقوله دائماً، إن بحاراً يموت عندما يشعل المرء شيئاً من

شمعة .."

"كنت أعتقد أنك لا تطيقين هذه العبارة؟"

"هناك ما هو أسوأ"، ترد. أثناء الكلام يتصاعد الدخان من فيها.

"هل تعرف لماذا أحببتك من أول لقاء؟ لأنك قلت لى فى أول يوم فى غرفة

التحرير: أنت تحبين أن تقفى هكذا."

تضع داني طرف قدمها الأيمن على الأرض خلف كعبها الأيسر،

والسيجارة فى فمها تنهض مرتكزة على المائدة ومسند الكرسي.

"أو هكذا". تضع طرف القدم الأمامية على الكعب. "صحيح؟ أنا فى كل الصور تقريباً على هذا الوضع".

باتريك يومئ. تترك جسدها يتهاوى على الكرسي.

"قلت لنفسى، أخيراً وجدت رجلاً يدقق النظر. رجل يعرف أن المرأة تود أن تُعامل كامرأة، رجل لا أحتاج معه أن أعلق شهادة اللسانس فى المطبخ حتى يفهم أنتى أستطيع فعل أشياء أخرى". تحك داني إظفر إبهامها الطويل بفلتر السيجارة. "هل تعرف متى خبيت أملى فىك لأول مرة؟ عندما قال باير إن اسمينا لن يظهر فى الصحيفة، عندما كان الفاشيون والبانكس لا يتوقفون عن المشاجرات".

"وما زالوا".

"ولكننى أقصد أنذاك، عندما لم تكن تعترض على ذلك. عنئذ شعرت أنك خنتنى. لست وحدك الذى فعل ذلك. أنذاك كنت على وشك أن أفقد كل أبراج عقلى، أنت تتذكر، بسبب عيون التماسيح؟ أما أنت فقد شكك الخوف".

"لم أكن خائفة على نفسى".

"أعرف، كانت قد انتقلت قبلها بقليل لتسكن معك. لو أنا مكانها، كنت طلبت أن يظهر اسمك. ألم تتعجب هى من الأمر؟"

"لا".

في رأي علاقتنا جيدة لأننا نعرف بعضنا. الإنسان يكون عندئذ أكثر واقعية، التوقعات ليست ١٠٠٪، ربما ليس الحب الكبير جداً، ومع ذلك. يترك الإنسان الفرصة للحب كي ينمو. ثم تعاملك مع تينو، وأن كلينا لسنا كمعظم الناس الذين يفكرون أن عليهم تحقيق النجاح في العمل حتى لا يكونوا وحدهم في رأس سنة ٩٩ .

"داني، أنا أريد مساعدتكما، سأرسل نقوداً، لتينو".

"ماذا تقول؟"

"فلوسك قليلة، وحدك مع الولد. مارتين لا يبعث شيئاً، أو ليس كثيراً على أية حال".

"أنت غير معقول يا بات، فعلاً غير معقول. هل أعطى تينو ١٠٠ مارك عندما يسأل عنك، أم ٢٠٠؟ كان ينبغي على أن أقول مزق الجواب وارمه، أو فلنحرقه في متفضة السجائر، في هذه، أو في ذلك الشيء هناك". تشير إلى جهاز التليفزيون. "ماذا كنت ستفعل إذا كنت طلبت منك ذلك؟ ماذا كنت ستفعل إذا كنت طلبت منك أن تمزق الجواب قبل أن نقرأه وأن تحرقه؟" بعد فترة صمت تضيف: "هه؟"

"داني".

"أقصد أنه كان بإمكانني أن أتخلص منه، وألا أعطيه لك على الإطلاق، أو يضيع، في أي دهليز من دهاليز البريد؟ رأيت اسم المرسل. لا تخجل من شيء. هل فكرت يوماً في عواقب ذلك لو كان حدث؟ هل

أقول لك؟ لا ينبغي عليّ، أليس كذلك؟ عندما أطلب منك أن تفكر وتتأمل، أقصد مثل هذه الأشياء أيضاً. أنت نفسك قلت إن هذه المرأة مريضة - إلا أنك أردت أن تبرهن وبأى ثمن أنه يمكنك أن تعيش معها، أن توقظها، كما قلت أنت في صياغة جميلة، أن تتجب أطفالاً منها، وأن تحيا معها حياة رائعة. هذا كان طموحك. أنت قلت إنك كنت تعرف أنها ليست سهلة. لقد شبهت علاقتك بها بأشجار سيبيريا، أشجار سيبيريا تنمو ببطء، ولكن إذا حاول المرء أن يقطعها بمنشار عادي فإنه ينكسر . أم أنتى أخلط الأمور؟ طوال الوقت كنت أسأل نفسي: لماذا يحكى لى هذا؟ ربما يفكر الرجال على هذا النحو، ولكن لماذا ينبغي على أن أسمع ذلك؟ لا أريد أن أعرف شيئاً عن كل ذلك! تنقر داني بضعة مرات بأصابعها على رأسها. "أنا أحتفظ جيداً بكل ما أسمع. كل شيء هنا، كل شيء. هل تعرف أنك حب ريفي؟ هل تريد أن تعرف معنى ذلك؟ لقد فكرت في الأمر. هذا معناه ببساطة: في ألتبورج لم يكن هناك أفضل منك. أنت كنت الحل الاضطراري بالنسبة إليها، طوق النجاة. الواحد يعيش مع شخص آخر لأنه إن لم يفعل لن يجد أحداً، هذا هو الأمر ببساطة، أما في برلين الكبيرة، عندما تكون كل الاختيارات مفتوحة أمام ليديا شوماخر، فإنك مستبعد منذ البداية. هذا ما أرادت أن تقوله لك. أحتفظ بكل شيء في ذاكرتي. لقد قضت على كل طموحاتك لأنها أظهرت لك من أنت. خطوة خطوة فككت الصورة، وكانت دائماً لديها الحق، أطلقت عليك "الفشار"، لم تقل هذا بلهجة حادة، وإنما عرضاً، وكأنها لا تنتظر منك شيئاً آخر، هكذا قلت. إلى أن فهمت أنت أيضاً أخيراً أنها

مريضة. امرأة تعاني من الصداع منذ خمس سنوات ... ماذا أقول أكثر من ذلك؟ ولكن هكذا هن المدللات الغربيات لا يتحملن شيئاً ..

"لكنها ليست من ألمانيا [الغريبة] .."

"وإيه يعنى؟ إنها تتصرف مثلهن. إنها مريضة. حتى إنريكو أدرك هذا. منذ أن ألمحت له تلك المرأة، زوجة نائب البرلمان المحترم، هوليتشك هذه، منذ أن ألمحت له أن صواميل الأنسة ليديا شوماخر ليست كلها فى مكانها، حتى إنريكو أدرك عندئذ حقيقة الأمر. لآى سبب تعتقد أنها هربت منك؟ فقط لأنها خافت من هوليتشك، لأنها لا تستطيع أن تمثل أمامها. اسأل صديقك إنريكو، فهو قد فهم الأمر. لها نظرة ثاقبة، هوليتشك هذه، فهى محالة نفسية. هل نسيت كل هذا؟" تصب داني شايًا فى فنجانها. "وأنت؟"

يهز باتريك رأسه ناعياً. تشرب داني ثم تضع فنجانها.

"ومع كل ذلك كنت أحسدها. ما كنت تحكيه، قصائد غزل فيها، ببساطة. والله على رجليها!"

"داني!"

"لا تعجبك؟ فخذها أطول ثلاثة أو أربعة سنتيمترات، وحجمها أقل اثنين إلى ثلاثة سنتيمترات. هذا هو! كنت من اللياقة والكياسة لدرجة أن تقول لى: الله على رجليها! شكراً، على الأقل أعرف قيمتى عندك!"

"أنا أسف يا داني."

"لماذا تعتذر؟"

"لأن الأمر يؤسفنى."

"وما معنى هذا؟"

"أن الأمر يؤسفنى."

"لا أفهم ماذا تقصد! أنا أسألك فقط: ما معنى هذا؟" تجذب داني طبق الفنجان إلى حافة المائدة ثم تدهس السيجارة. "هل تشرح لى ذلك من فضلك؟ هل يعنى أنك كنت تحببى حتى ظهر أمس؟ ولكن منذ ظهر أمس لم تعد تتحمل، لم تعد تتحمل تينو وتتحملنى؟ هل هذا هو ما تقصده؟"

"ما أقصده هو أن الأمر يؤسفنى"، قال باتريك. "كما أن وزنها زاد".

"إيه؟"

"كثبت أن وزنها زاد، حوالى عشرة كيلو...".

"عشرة؟"

"... زيادة".

"آخ، عشرين رطلاً؟ ومنذ متى تحب السمينات؟ كان على إذن أن أكل ما أشتهى بدلاً من الرياضة والساونا؟ سيان ما يفعل الإنسان، فإن ما يفعله خطأ - أيضاً ليس بالشىء الجديد".

لم تفعل شيئاً خطأ. ليس لهذا أية علاقة بك ...

ولا كلمة ثانية يا بات، من فضلك ...

ربما هو القدر. ربما هي ببساطة قدرى.

يسود الصمت إلى أن تهمس داني: "أنا غبية". تضغط بكلوة يديها على عينيها وتقول: "ومثل هذا الرجل أحبه".

ينظر باتريك إلى شاشة التليفزيون التي انعكست عليها الغرفة كلها الآن سينام"، يقول باتريك.

يقف على كعبي حذائه، ثم يقرب عدة مرات بين طرفيه. "سأتصل بك، ماشى؟"، قال ونهض. سار حول القوتيه وأمسك بالحقيبة وشنطة السفر.

"مع السلامة يا داني". نظر إلى الشبشب الكبير، إلى قرصة البرغوث عند كاحلها، ثم إلى ظهر يديها وأصابعها ذات الأظفار المطلية التي تخلو من الخواتم. عند خروجه احتكت سوستة شنطته بزجاج الباب المصنفر. ثم سمعت تكة القفل.

بقيت داني جالسة. فجأة نادى طفل يؤكد على مخارج الحروف: "مو-ما، مو-ما". بعد برهة انفتح الباب. بلت داني طرف الإبهام والسيابة بلعابها وأطفأت الشمعة. "مو-ما"، نادى تينو وهو يدخل متلفتاً حوله. يرتدى بيجاما بيضاء بدوائر زرقاء.

ففي إيه؟"، سألته داني ومسحت أطراف أصابعها في كمها، ثم نهضت. مد تينو ذراعيه. ترفعه داني وتخرج به من الغرفة صافقاً الباب خلفها. باستثناء ضجيج التليفزيون من عند الجيران خيم السكون، وفجأة يظهر كلب - لا أحد يعلم من أين أتى - كلب من فصيلة الثعلب، يجلس على كرسي داني، ومنه يصعد على المائدة.

بنهم يفترس بقايا العشاء. يسمع المرء أصوات المضغ. لا يتوقف الصوت إلا عندما يبلغ وهو يمد رأسه إلى الأمام. قبل أن يواصل الاقتراس يلحس خطمه ناظراً إلى الباب. بين الحين والآخر يهرش في عنقه بأصابع رجله الخلفية، بعد عدة دقائق يترك المائدة قافراً على الفوتيه الرمادي الضخم، وفيه يختفي.

الفصل الثامن والعشرون

ثلوج وأنقاض

رافائيل، صاحب شركة التاكسي، يحكى عن
متاعب يعانيتها مع كاتب وموقد. إنريكو فريدريش
يغير اسمه الأول ويريد كسر ساقه. جيران أشرار.
حيثما يكون المرء سعيداً.

كانت الساعة قد جاوزت الثانية عشرة عندما عدتُ مع بيترا من
لايبتسج حيث احتفلنا بعيد ميلاد أخيها. بحثنا عن ثغرة لركن السيارة.
سرت على طول طريق شبرلينجسبرج حيث نسكن منذ أقل من نصف
عام. بين الشجيرات التي تحيط بباب البيت اعتقدت أنني رأيت هيئة
ترتدى معطفًا طويلًا - في منتصف أغسطس. عندما وجدنا مكانًا
للسيارة ورجعنا للبيت رأيت الشبح مرة أخرى - هيئته توحى بأنه رجل.
"لا تفزعي"، قلت وجذبت ذراع بيترا، "مجنون يستعرض عضوه".
لم تفهم. "مجنون يستعرض عضوه"، كررت مُخرجاً سلسلة المفاتيح.
لم يكن هناك أى ضوء فى مدخل بيتنا، ولا فى مدخل البيوت الأخرى.

"مساء الخير"، يصيح صوت رجل. "لا يريد. لا يعجبه شيء". اقترب
الشكل منا خطوة ورفع رأسه. ظل أحد نراعيه ممدوداً وكأنه يشير إلى
شيء أمام قدميه.

"السيد فريدريش؟"، سألت بترا.

"أحياناً يمشى الحال .. واحد، اثنان"، قال الصوت. "ثم تقضى
حاجتها. ولكن اليوم ... ستمطر قريباً".

"لا!"، صاحبت بترا. "انظر. لم أر في حياتي شيئاً مثل هذا.
قطة برياط". انكمش الحيوان أمامنا واختبأ في العشب، بينما لمع
رياط رقبتها.

"الرياط عملي"، قال فريدريش. "لا تريد الخروج أبداً. إنها تفزع
سريعاً. لكنني أحتاج إلى بعض الهواء النقي".

حتى على بعد مترين كنت أشم رائحة الخمر المنبعثة من فمه،
ربما فودكا. برنس الحمام، بنى في لون الصدا وبه زهور، كان ينشر في
الهواء رائحة طيبة.

قرفصت بترا وحركت أصابعها. استدارت القطة أمامها ووقفت
بالجانب. "ما اسمها؟"

"كيتي"، أجاب. "هي في الحقيقة قط، أو كانت قطاً".

"نعم؟"، نظرت بترا إليه ثم ثبتت نظرها على قدمه الأمامية. "ماذا
فعلت في قدمك؟"

"كسر مضاعف"، قال مزيحاً البرنس وناقراً على الجبس. "عظام هشة، كان الأمر جحيماً!" خرجت من فمه أصوات ارتطام: "كلاك، كلاك". سرواله الداخلى الطويل كان مقصوفاً قبل الجبس.

"يا إلهى!"، صاحت بترا.

"قرن التدفئة"، قال شارحاً. "أردت أن أتخلص منه، هذا القرن الأصيل، على عربة يد حاولت ذلك، ثم انزلت قدمي و...". أشار فريدريش بيده مقلداً حركة الوقوع ثم ضرب بحافة يده على الساق المجبسة، وأصدر صوت فرقعه. "هكذا كما وقع ما زال القرن فى الممر".

"نحن احتفظنا بالقرن القديم"، قالت بترا.

ابتسم فريدريش. "ماحدث يعرف...".

"نعم، ماحدث يعرف"، أجبته. "هذا هو الشيء الوحيد الذى سيعمل فى حالة الطوارئ". رفع فريدريش زاوية فمه إلى أعلى وعض على شفته السفلى.

"نعم، هذا صحيح"، قال.

"لافتة اسمك على الجرس"، سألت بترا وكأنها تتكلم مع القط. "اعتقدت...".

"هاينريش ليس إلا الصيغة الألمانية لإنريكو. أردت أن أغير اسمى الآن. من الأفضل أن يفعل المرء هذا الآن، قبل أن تجيء".

"قبل أن تجيء؟"، سألت.

تفحصنى بنظرتة. "الشهرة"، قال متردداً.

"ولكن إنريكو اسم جميل"، قالت بترا ناظرة مرة أخرى إليه.

"لقد اعتقدت أن أحد أقبائك انتقل ليسكن عندك".

لم يعد القط يهتم بذراع بترا الممدود وأصابعها المداعبة.

"الصيغة الألمانية، ليس إلا"، كرر فريدريش مواصلاً العض على شفته السفلى. راح يحك الجبس فوق الرصيف وكأنه يريد أن يسوى شيئاً فى نعل الحذاء.

"هل تشعر بألم؟"، سألته.

"أما الأسماء الموضحة فإنها لا تشى بأصلها اللغوى"، قال فريدريش.
"ما يهمنى هو اللغة، ولا شىء غير اللغة".

"آه"، قالت بترا.

"لا"، أردف، "ليس لأسباب قومية، إطلاقاً".

"وفى أى شىء تعمل الآن؟ فى شىء مثل آل بودنبروك (*) أم هاملت؟"

"من الأفضل أن تتركى كيتى فى سلام. ستمطر قريباً". نهضت بترا على الفور.

(*) رواية آل بودنبروك من أشهر روايات الأديب الألماني توماس مان [١٨٧٥ - ١٩٥٥]، وعنها نال جائزة نوبل عام ١٩٢٩. (المترجم)

"أتتبع عدة أهداف في وقت واحد"، قال فريدريش مفسراً. "هذا يدفع بالأمور إلى الأمام. لكنهم لا يحبون أن يصر المرء على مبادئه. الناشرون لا يحبون ذلك".

بترا تومي. "لقد جربت الكتابة أنا أيضاً".

لبرهة أخذنا نراقب القط وهو يخطو فوق العشب.

"تصبح على خير"، قالت بترا مادةً يدها إلى فريدريش.

"تصبح على خير!"، قلت أنا أيضاً.

فأجاب: "وأنتم من أهله".

عندما استلقينا لنتام بدأت بالفعل تمطر. سألت نفسي إذا كان مازال فريدريش بالخارج مع قطه لأنتى لم أسمع أى صوت على الدرج.

قالت بترا إن علينا نحن أيضاً أن نتخلص من فرن التدفئة الصغير وأن نرتب قبو الفحم. قبل أن ننتقل لنسكن هنا قمتُ بترميم الشقة كلها وتجديدها، وأردت أن أحتفظ بالفرن على أية حال لأن الفحم انتقل إلى حيازتنا أيضاً.

قلت لها: "فريدريش مزود العيار حبتين".

"كعادته"، قالت بترا. "ولكنه الآن يغتسل أيضاً بالكحول الطبي".

"بالضبط. الكحول الطبي"، قلت محاولاً تقليد طريقة كلامه.

بدأت المتاعب مع فريدريش - الذى لم يعد يسمى إنريكو - نهاية سبتمبر، فى يوم أربعاء. فى العصر اتصلت بى بترا فى مقر شركة

التاكسي. طلبت منى المجيء فوراً. كنت وحدي في المكتب فسألتها كيف تتخيل أن أترك المكتب وكل التليفونات من غير أحد يرد عليها، أجابت أن كل شيء بالنسبة لها سيان وأنها لن تضع قدمها خارج باب الشقة، ثم أقلت السماعة بغضب. منذ تحسن الأوضاع في الشركة وبخاصة منذ انتقالنا من شمال المدينة للسكن في شبرلينجسبرج أصبحت مثل هذه الشجارات بيننا نادرة، أيضاً لم نعد نذكر كلمة الطلاق.

عندما عدت في الساعة السادسة إلى البيت كانت بترا راقدة بالعرض على سريرنا في غرفة النوم. كل ما فهمته أن أحداً كان ينتظرها على الدرج وسألها عما إذا كان بمقدورها أن تكسر قدمه، لم أعرف عن أى شخص نتحدث.

"فريدريش"، صرخت بترا، "فريدريش، من غيره؟"

في مثل هذه الحالات تبرز عظام وجنتيها ويصبح بإمكان المرء أن يرى عروق صدغها، لوهلة كانت تشبه تلك البوسنية التي طبعوا صورتها في صفحة المحليات لأنها قفزت من نافذة بيت اللاجئين.

حاولت ضم بترا أو على الأقل الإمساك بيدها. في تلك اللحظة ظهر دافيد في الممر في طريقه إلى المطبخ. كان آنذاك في السادسة عشرة. سمعت باب الثلاجة ينغلق، ثم عاد إلى غرفته دون أن ينظر إلينا نظرة واحدة. بكوعه سحب الباب خلفه. على الأقل خفض من صوت الموسيقى.

"فريدريش كان سكران على الآخر"، قالت بترا. "كنا نقف متواجهين عند الباب وسألني هذا السؤال! باعتباري مدرسة أحياء فأنا

بالتأكيد أعرف .. وأجهشت بالبكاء فقبلت يدها المرتعشة. بالتأكيد أعرف. على أن أشير له على الموضع الذي يسهل فيه الكسر، لكنه لم يقل الكسر، بل عمل بلسانه صوتاً يشبه: طق. شيء مقرف!

هكذا، وقلدت الصوت.

آه، صاحبت بترأ وتقوقعت على نفسها من الاشمئزاز. في غرفة المعيشة قدتها إلى فوتيه متناولاً يدها بين كفى.

إنه يعتقد أنني أفكر في الأمر ..

ولماذا يريد ذلك؟، سألتها محاولاً أن أمنح صوتي نبرة هادئة وعميقة.

هذا ما سألته أيضاً؛ أجابت وتعلقت بعنقي، فمها على أنني. لكنه بدأ ثانية يقول إن من الصعب على الواحد أن يفعل هذا بنفسه، وأنه لا يفهم في علم وظائف الأعضاء، تخيل هذا!

أمسدُ ظهر بترأ. ربما يريد أن يسجل نفسه مريضاً فترة أخرى، قلت لها. يريد أن يقبض تعويضاً عن المرض، ويستفيد بالوقت في كتابة الروايات.

حاولت التخلص من عناق بترأ، لكنها تشبثت بي. كان كتفاها يضغطان على نكسني ويرفعانه إلى أعلى، وعلى ألا أتحدث مع أحد، ولا حتى معك، أضافت. ثم بعد فترة صمت قالت هامسة: غداً يأتي .. رفعت أنفها عالياً، وحبست أنفاسها. صاحبت: يا إلهي! كان وقع كلماتها كأنها مصابة بزكام.

قالت بترا إن فريدريش قد أطلق لحيته الآن، وجهه انتفخ أكثر،
ولكن بدون جيس، إلا أنه لا يرى سوى بالبرنس، "وهذه العفونة!"

"كحول طبي؟"

أومات. "وخمرة".

"لا تحملى همًا"، قلت لها عندما استطعت تحريك الرأس مرة
أخرى. احتسينا كأساً من الكونياك ثم ذهبنا إلى الطابق الثالث.

"هاينريش فريدريش" كان مكتوباً بحروف مطبوعة تحت جرسه.
بعد الرنة الأولى - كلينج كلونج - لم يحدث شيء. بعد الثانية بدأت
مكنسة كهربائية تشفط الغبار في الشقة المجاورة مصطدمة عدة مرات
من الداخل بباب الشقة، بعد نصف ساعة صعدت مرة أخرى ودققت
الباب. لم أكن متأكدًا: هل لم تكن المشاية أمام الباب موجودة أيضاً في
المرة الأولى؟ خلفي فتحت السيدة بودين بابها ومسحت العتبة، فحيينا
بعضنا البعض بإيماءة رأس.

حوالي العاشرة مساءً جلست بجوار باب الشقة حتى أشعر
بفريدريش إذا نزل هو وقطه.

سألني دافيد إذا كنت أحتاج إلى مساعدة. "شهادة عجز - هذا هو
بالطبع ما يريدونه!"، قال لي. "هم فاكرين أنفسهم إيه؟"

سألته من يقصد بـ"هم". أشار بإبهامه إلى أعلى: "كل المخرفين،
فريدريش وأمثاله".

استلقت بترا على الفراش وانهمكت فى القراءة. كنت أسمع الصفحات وهى تُقلب. فجأة وقفت كطفل أمامى وقالت: "أنا خائفة". أحطت خصرها بذراعى وجذبتها إلى حجرى. أبقيتها حتى شعرت بالخدر يسرى فى قدمى.

فى عصر اليوم التالى ذهبت لاصطحابها من المدرسة وأوصلتها بالسيارة إلى المنزل. شباك التواليت لدى فريدريش كان مفتوحاً قليلاً، إلا أنه لم يفتح الباب. فى الأسابيع التالية أيضاً لم يظهر. من السيدة هارتونج التى تسكن فوقنا عرفت أن فريدريش يذهب للتسوق كل ثلاثاء وجمعة وهو يجر أمامه عربة صغيرة، فى كل مرة يجد صعوبة بالغة فى حمل أكياسه المليئة بالزجاجات على السلم.

فى أحد أيام السبت فى منتصف نوفمبر فككت فرن التدفئة الصغير إلى أجزاء ، القيشانى وبلاطات الفخار وماسورة التهوية والدواسات والقصدير والباب والشبكة الحديد، كل هذا كومتة فى الجزء المخصص لنا فى القبو، ثم ألقيت بالباقي فى حاوية القمامة. لم أكد أنتهى من الدش حتى سمعت جرس الباب.

وجه فريدريش كان متورماً. التصق شعره على رأسه ولمع وكأنة عائد لتوه من المطر. من خلال لحيته السوداء لمحت ذقنه يبرق فى شحوب. حول عنقه شال أحمر وفى كلتا يديه مظروف سميك.

"زوجتك تريد قراءة هذا"، قال. شكرته. من تحت البدلة الرياضية برز صدره وبطنه. أوماً برأسه واستدار. قدماه فى شبشب وبدون

جورب. النعل الأزرق المخطط بالبرتقالي - الذي كان يصطدم بكعبه ثم بدرجات السلم - كان يبدو مثل الخطوط التحذيرية المعلقة خلف الشاحنات.

"فريدريش"، قالت بترا دون أن تنظر. كانت تجلس في الفوتيه وبين ركبتيها الكنسة الكهربائية.

سحبت المخطوطة من المظروف. "صمت"، كان مكتوباً على الصفحة الأولى، وتحتها، بخط أصغر قليلاً: رواية. ثم، بخط أكبر مرة أخرى، هاينريش فريدريش.

ياله من كلام فارغ! لم أفهم حرفاً. فتحت مخطوطته في عدة مواضع مختلفة، لم أدرك معنى جملة واحدة. أقصد لم أكد أجد جملاً، فقط كلمات مرصوفة بجوار بعضها البعض، وبينها تصحيحات بخط اليد. في بعض الأحيان أعاد فريدريش كتابة فقرة بأكملها بخطه الرديء على الهامش. أعطيتها لبترا. على المظروف كان اسمه مشطوباً. في الأسفل يساراً كانت هناك آثار ملصق أزاله فريدريش.

"إنه يقضى وقته الآن في مثل هذه الأشياء"، قالت بترا.

نظرت مرة أخرى داخل المظروف. لم تفتني رؤية شيء.

"لا أعرف"، أجابت بترا عندما سألتها عما قرأته للتو. "لا أستطيع

أن أقول لك، مهما حاولت!"

هذا بالضبط ما حدث معي.

"ما قرأته يفسد المزاج الجيد"، قالت. "لا بد أن نشرح له أن هذا لا ينفع".

"هل تعتقدين أن لا موهبة لديه؟ ربما يستطيع أن يكتب شيئاً جميلاً؟"

"لا أعتقد"، قالت. "ليتتى لم أرم ما كتبته. لم تكن أشياء سيئة، على الأقل لم تنقصنى الموهبة، هكذا قالوا لى. كانت ستعجبك بالتأكيد".

سألتهما ماذا تعنى بذلك.

"كانت شيقة مثيرة. القارئ كان يود دائماً أن يعرف بقية الحكاية".

فى الأيام التالية كان المرء يسمع دائماً صوت فريدريش على الدرج. يتخلص فيما يبدو من الكراكيب. مساء الثلاثاء لم أستطع إغلاق حاوية القمامة المخصصة للورق والكرتون مع أنها أفرغت يوم الاثنين. على السطح كان هناك ملف فارغ قرأت عليه: إنريكو فريدريش - القصائد. على آخر: إنريكو فريدريش - الرسائل. بالإضافة إلى ذلك صحف ممزقة، كتيبات، نسخ وأوراق مكتوبة بخط اليد - "القطعة لا تفارق النور"، استطعت بعد لآى أن أقرأ العنوان. كان يفك مدفاته أيضاً. من خلال عين الباب السحرية كانت بترا تراقبه وهو ينقل جرادل مليئة بالردم ومخلفات البناء ما بين التاسعة والعاشرة مساءً. قالت لى إنه يهين مكاناً لبداية جديدة، وأن مخطوطته حالياً فى الحفظ والصون عندنا وسط الفوضى السائدة لديه فوق. "إذا احتاج إليها فسيأتى".

ظهر يوم السبت الرابع قبل عيد الميلاد، عندما حدثت الحادثة، كانت السيدة هارتونج تمسح السلم. ادعت فيما بعد أن فريدريش نظر في عينيها أثناء سقوطه. كنت جالساً في المطبخ أقرأ الصحيفة. أفزعتني صرخة هارتونج وصدى الدرايزين. برونج - برونج - برونج، هكذا دوى صوت الدرايزين، لكي يكون المرء فكرة عن الصوت لابد أن يخبط بقبضته عليه عدة مرات.

كان فريدريش راقداً تحت النافذة على آخر درجات المدخل، وجهه إلى أسفل، ساقه اليمنى مقوسة في وضع غير طبيعي، لم ألحظ الدم إلا بعد برهة. كان يسيل من الفم والأنف. عينه اليسرى كانت مفتوحة، أما اليمنى فلا ترى. لم يرد أحد أن يلمس فريدريش.

اتصلت بالإسعاف. كانوا يعرفون بالموضوع وبعد قليل وصلوا بصفارتهم المميزة وضوئهم الأزرق، بعد عشرين دقيقة انطلقت السيارة مرة أخرى، بدون فريدريش. كيف فعل ذلك - أن يقع ويهبط طابقاً ونصف طابق - كان وما زال بالنسبة إلى لغزاً. الدرج صغير جداً، وبالتالي لا يكاد يوجد بئر السلم. بالإضافة إلى ذلك لابد أن رأس فريدريش قد شُجت على نحو تعيس تماماً.

الشرطة الجنائية أغلقت شقته بالشمع الأحمر. سألوا كل سكان العمارة. في هذه المناسبة تخلصنا من المخطوطة والمظروف.

لأول وهلة اعتقدت أن فريدريش لاحظ ولاشك أنه لا أحد يريد أن يقرأ التخاريف التي يكتبها، ولهذا رمى نفسه من على السلم ورأسه

لأسفل. إلا أن بترا قالت إن هذا ليس سبباً كافياً للانتحار، لقد توقفت هي الأخرى عن الكتابة وبحثت عن شيء آخر. "لابد أنه كان يريد أن يكسر فقط إحدى ساقيه"، قالت. "على حسابنا جميعاً، ولكن من يتصرف على هذا النحو السيئ...".

عندما جاءت سيارة القمامة لم تفرغ الحاوية التي وضع فيها فريدريش مخلفات مدفاته القديمة، ولا في الأسبوع التالي أيضاً. قالت السيدة هارتونج إن الحاوية ثقيلة جداً، حتى الرافعة الهيدروليكية لم تفلح في رفعها.

بعد عدة أيام وجدت رسالة بلاطاب بريد في صندوقنا. السكان كلهم وقعوا.

"لا أصدق"، صاحت بترا. "لا أستطيع أن أصدق". كان علينا أن نقوم بنفسنا بإفراغ الحاوية لأن الشركة التابعة لها عمارتنا لا ترى سبباً يدعوها لدفع تكاليف التخلص من مدفأتنا القديمة. ليس هذا معتاداً هنا. هذه الجملة كانت إسقاطاً واضحاً علينا لأننا انتقلنا للسكن هنا قبل عام فقط.

"فرجهم على بلاطات القيشاني في القبو. فرجهم!"، صاحت بترا. "الوضع هنا يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، يوماً بعد يوم!" جلست على الفور وشرعت تكتب رسالة. كان رأيي أن أمر بهم شقة شقة وأشرح لهم أن البلاط في الحاوية ليس بلاطنا، إنني ربما أكون قد ألقيت بين الحين والآخر عدة بلاطات، ولكن كل البلاط تقريباً مرصوص في قبونا. ثم

رحت أفكر كيف كتبوا تلك الرسالة ، هل جلسوا معاً ؟ أو مر شخص من شقة إلى أخرى؟ ومن الذى قام بالمبادرة؟ وكيف كانوا يتكلمون معنا؟ وفكرت أن كل ما سيفعلونه الآن - بعد أن وقعوا جميعاً دون أن يفكروا فى الأمر - أن يجمعوا الحجج ضدنا حتى يبرروا تصرفهم. تناهى إلى سمعى كيف كانت بترا تمزق الورقة تلو الأخرى، لم يكن هناك جدوى.

فى اليوم التالى كانت حاويات القمامة جميعها - باستثناء تلك التى تحوى بلاط فريدريش - مربوطة بسلسلة وعليها قفل. كما يبدو، لديهم جميعاً مفتاح، ما عدانا. أيقظتنى بترا يوم الأربعاء التالى قبل السادسة بقليل. ارتديت الحذاء الرياضى والأفروال الذى كنت استخدمه أثناء ترميم الشقة. الثلج يهبط لأول مرة هذا العام. من الخارج أتى السيد بوين حاملاً سلاسل وأقفالا فى يديه. من الواضح أنه يتولى شؤون البلوك كله. تبادلنا النظرات دون تحية.

انتظرت تحت سقف مدخل البيت ورحت أتفرج على العاملين كيف يدفعان حاوية بعد الأخرى إلى ذراع السيارة الشبية بالشوكة، ثم ينزلان ذراعا أخرى تحكم القبض على الحاوية. فى البداية تُرفع الحاوية رأسياً بعض الشيء، ثم تُرفع لأعلى بنصف استدارة، بينما تكون عجالات الحاوية تجاه السماء ينفتح الباب تلقائياً فوق فوهة العربة وتفرغ محتواها.

تخيلات الحاوية التى تضم مخلفات فريدريش فى الهواء وكأن الرافعة الهيدروليكية تعجز فعلاً عن رفعها، لم يستطيعوا أن يرفعا الحاوية

ستيمتراً واحداً عن الأرض. حاول مرة ثانية، في النهاية دحرجاها إلى مكانها ورفعاً الأخيرة على الشوكة.

توجب على الصراخ حتى يسمعاني وسط هدير السيارة. أخرجتُ ورقة بخمسين ماركاً من المحفظة، لكنهما هذا الرأس نفيًا. ظللت أرفع الورقة وقلت إن عليهما أن يأخذا النقود. لا بد أن تفكر في فعل شيء. كانا يرتديان طاقية صوفية وأفرولاً أصفر ذا "كبوت". قالا إن عليهما أن يكملا العمل. أعطيتهما ورقة أخرى بخمسين.

ساعداني على الصعود وناولاني فأساً وجاروفاً. كان البلاط قد بدأ يتجمد. رحت أنهال عليه بالفأس. أما البلاط الهش فقد جمعته بيدي وألقيت به في حاوية فارغة دفعاها بالقرب مني. حاولت بالجاروف، ولكن معظم المخلفات كانت تنزلق إلى أسفل أو تذروها الريح. صرخت في الرجلين أن يرفعا "الكبوت" فوق الطاقية، بسبب الوساخة، لم يتحركا وظلا يقفان بظهرهما إلى ويديختان. هبط الثلج في "الكبوت" المتدلى.

أخذت أكسر وأقلب وأحمل بالجاروف. فكرت أنني لو وجدت تحت المخلفات جيفة القط، فإن هذا ربما يدعم نظرية الانتحار، أو أن فريدريش أعطاه لأحد قبل ذلك. من المحتمل أيضاً أن تكون الشرطة لم تره في الشقة وحبسته ببساطة. سقطت بلاطة من الجاروف وانكسرت فوق أسفلت الشارع. التفت الرجلان حولهما. جمع كل منهما بعض البقايا وألقيا بها في الحاوية الفارغة، ثم استدارا ثانية وواصلوا التدخين ونظرت مرة أخرى في "الكبوت". هدير العربة كان يصم الأذان. ليس من

المعقول أن يكون المحرك وحده هو السبب، ربما هناك ماكينة تضغط على القمامة وتهرسها. نويت أن أسأل عن ذلك عندما أنتهى.

بجهد جهيد كنت أنجز شيئاً، لكننى كنت أتقدم. يمكننى القول إننى أصبحت أمسك بزمام الأمر، مما منحنى شعوراً بالهدوء. نعم، بل لقد انتابنى شعور طيب وأنا واقف هنا فى الأعلى، ربما لأننى أتخلص من إحدى المشاكل فى العالم. المسألة مسألة وقت فحسب. فجأة بدا لى كل شىء سهلاً وقابلاً للحل. كاد يتملكنى شعور بالزهو، وكأن شركة التاكسى ليس لها وجود، لا هى ولا الديون، لم أفكر فى بترا التى وقفت خلف ستارة غرفة المعيشة، ولم أفكر فى دافيد النائم، ولا فى فريدريش التعس، ولا فى الجيران السخفاء. كانت لحظة من لحظات السعادة التى يعتقد فيها الإنسان أنه قادر على إنجاز كل شىء، وأن بإمكانه أن يجمع أشياءه ببساطة، ويرحل، وحده، أو مع أورلاندو، أو مع امرأة تبدو كتلك البوسنية. مصممت بلسانى مُصدراً أعلى قطعة فى حياتى، حتى إن أحد الرجلين التفت إلى. قهقهت وزأرت أن عليه أن يرفع كبوته أخيراً. أشاح بوجهه بعيداً، وواصلت أنا التجريف، ثم انهلت على المخلقات بالفأس. ولكن حالما أرفع رأسى كنت أنظر مباشرة فى كبوت جامعى القمامة. كنت أستطيع رؤية الثلج وهو يتجمع ويتكاثر، ويتكاثر، ويتكاثر.

الفصل التاسع والعشرون

أسماك

جيني تحكى عن وظيفة جديدة وعن مارتن مويرر.
الرئيس فى العمل يعطى تعليماته. أين بحر
الشمال؟ كل شىء يسير فى البداية على ما يرام.
جيني تبذل جهداً كبيراً كي تكون مقنعة. ماذا حدث
للأسماك أثناء الطوفان؟ فى النهاية تتصاعد أنغام
آلات النفخ.

وقف بين كرسيين مرتدياً سروالاً رياضياً، وراح يحاول أن يحشر
نفسه فى بدلة الغوص، البدلة ذات الخطوط الحمراء التى حاولت بالأمس
أن أقيسها؛ أما تلك ذات الخطوط الزرقاء فكانت ملقاة على المنضدة.
تصافحنا. قال: "مارتن مويرر"، وقلت: "جيني".

قال: "الأخرى أصغر مقاساً"، ثم أضاف "ولكن الزعانف جيدة".
أعطيت له ظهرى وخلعت ملابسى. أثناء ذلك انحل زر من جاكيتى.
دخلت فى بدلة الغوص وسحبت القلنسوة على رأسى. لم يعد يظهر

لا شعري ولا أننى ولا رقبتى؛ أما وجهى فيبدو منتفخاً. جمعت أشياء وانتظرت حتى ينتهى أخيراً من ارتداء الزعانف.

فى يده اليمنى حمل كيسه البلاستيكى، وفى اليسرى نظارة الفوص وأنبوب التنفس، ثم أخذ يمشى على الممر بحذر كطائر اللقلق متوجهاً إلى مكتب كرندل. خبّط على الباب مرتين، فقلت له أن يفتح الباب. جلسنا على الكرسيين إلى يسار الحائط وانتظرنا.

أبدو كراهبة، قلت له.

رد قائلاً: "لا. بل مثل مقدمة البرامج التى ترتدى بدلة رواد الفضاء. هل لديك خبرة فى ذلك؟"

أتساءل: "فى ماذا؟"

- "هذا. لقد انتهيت بسرعة".

- "كنت بالأمس هنا. لكنهم لا يتركون المرء فى حاله أبداً".

- "الجو دافئ جداً".

- "قدمائى باردتان".

- "قدمائى باردتان أيضاً، ولكن عدا ذلك

"أهلاً جينى" يصيح كرندل، "كيف حالك؟"

تنهض. "مويرر"، يقول معرفاً بنفسه وهو يدس كيس البلاستيك بين

ركبتيه. "مارتن مويرر".

يصافحه كرندل. ونجلس ثانية. يتكى كرندل على المكتب، ويتناول ورقة ويقلبها. يحكى ما حكاها بالأمس.

- ثم تسألون: أين يقع بحر الشمال (*)؟ أو: هل يمكن أن نقول لنا أين بحر الشمال؟ أو: كيف أصل إلى بحر الشمال؟ لكم حرية الاختيار، ولكن لا بد من بحر الشمال، واضح؟

"نعم"، أقول، "ليس هناك مشكلة".

يتطلع كرندل ناحيته. "واضح؟"

"واضح"، يجيب مارتن وهو يلعب بالزعنفة اليمنى فوق البساط.

أقول: "وعلينا دائماً أن ننشر جواً لطيفاً مرحاً".

"وباستمرار!" رد كرندل، "وإلا فالأحسن أن تبقىوا فى بيوتكم".

يقرب أكثر من حافة المكتب ويتأمل يده الشاحبة التى تحرك الورقة على فخذة إلى أعلى وأسفل، وكأنها اسفنجة استحمام. كانت الورقة على شكل تذكرة دخول كبيرة. على جزء منها مقسم بخط منقط "اقطع هنا واحتفظ بالتذكرة" طبع جزء من خريطة المدينة. السمكة الحمراء تشير إلى موقع الفرعين. على الجزء الأكبر من الورقة صورة لصحراء لونها بنى فاتح موج الرياح رملها، وفوق الصورة بالخط الأبيض على خلفية

(*) "بحر الشمال" سلسلة من المطاعم المتخصصة فى تقديم وجبات وسنوتشات من الأسماك. (المترجم)

سواء بسحب تختلط زرقتها باللون البنفسجي الفاتح: "أين بحر الشمال؟"

"وإذا كان الرد: لا؟"

فأجبت: "نقول: نحن نعرف. رقم ١٠ أ ورقم ١٥ فى شارع المدرسة!"

- "هل تسمحون أن ندعوكم إلى سمك؟ وجبة شهر مايو! ثم نوزع الورقة."

"الإعلان"، قال كرنندل مصححاً. "وإذا كانت الإجابة بنعم؟ ونظر كرنندل إلى مارتن."

"كيف نذهب إلى هناك؟"، أجاب وهو يلعب بزعانفه من جديد.

"جيني؟" قال كرنندل "ما ردك على نعم؟"

"أجيب: رائع! هل تصحبنا إلى هناك؟"

"هل فهمتم الآن؟" يحملق كرنندل فى مارتن إلى أن يجيب بنعم. عندئذ يسأله أن يتلو مكونات وجبة مايو: "سمك موسى مقلّى، وبطاطس مسلوقة عليها بقذونس، وسلطة مشكلة، وصلصة المايونيز، وثلاث لتر كوكاكولا. بدلاً من ١٥.٤٠، الآن بـ ١٢.٩٥ فقط!"

"كل شيء مكتوب هنا"، قال كرنندل. "ولكن لا تقرأوا من الورقة. هذا لا يليق. لا قراءة. مرة أخرى!"

أقول: "سمك موسى مقلّي، ويطاطس مسلوقة مرشوش عليها
بقدونس، وسلطة خضراء، وصلصة المايونيز. ومع الوجبة كوب كبير من
الكولا، فقط ١٢.٩٥".

بدلاً من ١٥.٤٠، يكمل كرنندل. "سلطة مشكّلة، وثلاث لتر
كوكاكولا. اليسوا النظارة، والآن تكلموا. تكلموا، تكلموا، تكلموا..."

سألت: "كيف أصل إلى بحر الشمال؟ هل تعرف أين بحر الشمال؟"
أشار كرنندل ناحيته.

أي شارع يقود إلى بحر الشمال؟ أريد بحر الشمال! يا جمال
البحر! هل يمكن أن تساعدني؟"

"الكلام طالع من الأنف، كلاكما أخنف، فلنجرب بدون نظارة"، قال
لا، لا تخلعوا النظارة. على الجبين! ارفعا النظارة! "دق التليفون ثم
خرس بعد الرنة الثانية. "وهذا تمسك به هكذا، هكذا". نهض كرنندل وشد
أنيوب مارتن إلى أسفل. "إلى أسفل أكثر! هكذا! الإعلانات يجب أن
تكون قليلة في اليد، دائماً. أربعة أو خمسة على الأكثر، لا نريد تضخماً،
مفهوم؟"

نوميّ بالموافقة.

"وماذا حدث للأسماك أثناء الطوفان؟"، تسأل كرنندل مصفقاً
بيديه، ثم أحاط كتفي بذراعه وجذبني إليه. "إذن، فلتبدأ". وذهب إلى
مكتبه ورفع سماعة التليفون. ثم هتف خلفنا: "بالتوفيق!"

تركنا أكياسنا في الدولاب عند السكرتيرة، واستلمنا شنطة تعلق على الكتف ويداخلها الأوراق.

"كل شيء تمام؟"، سألتني. "في كل شنطة ألف". وفتحت الباب لنا قائلة: "من هنا، تفضلوا".

أمام المدخل الجانبى ظل مارتن واقفاً يتطلع إلى، ثم قال:

- "لابد أن نبادر بالحديث مع كل شخص، كل امرأة وكل رجل، منذ البداية، وإلا كان الفشل من نصيبنا. إذا تهاونا مرة...".

أقول لنفسى، لعله عمل مدرساً في السابق، لم أكد أغلق الباب حتى يبدأ فى إلقاء دروسه. نظر صبيان إليه، لا يتجاوز عمر كل منهما الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة على أقصى تقدير. "إيه إنتم مش عارفين؟" يتفحصان زعائفنا، ثم الشنطتين. "عاوزين نروح بحر الشمال"، أقول لهما. يهزان الرأس بالنفى. "آه، يا جمال بحر الشمال!"، يقول مارتن، ثم يضيف: "هيا، قولوا لنا". أخيراً يتناول كل منهما الورقة.

نسير فى اتجاه منطقة المشاة. أقول له: "ليس من الضرورى أن نخاطب مثل هؤلاء الأطفال". "مراهقون"، يرد وهو يومئ برأسه.

بعد ذلك يكون التوفيق فعلاً من نصيبنا. ننسجم بسرعة. فى معظم الأحيان أبدأ أنا، ثم يواصل هو إلقاء الأسئلة: "نعم، إلى بحر الشمال!" بالضبط، بحر الشمال"، أقول، أو: "فعلاً لا تعرف؟" ثم يقول: "إنن تريد أن تكشف لك السر!" وبعد فترة صمت قصيرة ننطق معا بالعنوان. ويضحك الناس وبلا تردد يأخذون الورقة.

فجأة يقول مارتن: "أنا أسف. كانت هذه سخافة مني". لا أعرف ماذا يقصد. "إننى تمنيت لهم شهية طيبة". أجيبه بأننى لا أجد فى ذلك شيئاً سيئاً، وأردد أنا أيضاً "شهية طيبة" إذا جاء على الدور لتوزيع الأوراق. أحياناً يرد البعض: "لكم أيضاً" أو "نفس الشيء".

يقول: "عندما نتحدث إلى الناس يستيقظ فضولهم بحق. بل إنهم يفرحون تقريبا". ثم يضيف: "إنهم يشعرون بالآفة معنا".

بمجرد أن يلتف حولنا عدة أفراد فإن الآخرين يجيئون من تلقاء أنفسهم. أحياناً يتزاحمون حولنا، عندئذ نوزع الأوراق على الأيدي الممتدة.

"هل أرسل من يراقبنا؟"، يسألنى بصوت خافت.

"بالتأكيد". أجيبه.

- "لقد حاولت أن أبدو حيويًا مثلك. لكن ذلك لم يقنعه".

- "أنت لم تتوقف عن تحريك زعانفك".

- "ماذا؟"

- "أنت لم تتوقف عن اللعب بزعانفك، هكذا"

وبينت له ما كان يفعل.

- "ألم تلاحظ ذلك؟"

هرز رأسه نافية، ثم قال:

- ربما لذلك كان يتصرف هكذا!

- إنه هكذا. وهو أمر لا يمكن تغييره.

في المكان الذي تتلاقى فيه منطقة المشاة بميدان القصر كانت فرقة آلات النفخ تقف أمام خيمة بيضاء ذات قمة عالية. بدا المنظر شرقياً. إلى جانب الخيمة كان عاملون في التليفزيون يجرون حواراً مع رجل يرتدى جاكته زرقاء وعليها ملصق دائري أصفر اللون، مكتوب عليه: "اللحم البقري الألماني: نحن نضمن الجودة". كان العازفون يحملون أيضاً الملصق نفسه، وكذلك النساء اللاتي كن يحمّرن قطع اللحم والسجق. في كل مكان أرى الآن أشخاصاً بملصقات اللحم البقري. كانوا يوزعون أوراقاً أكبر من تلك التي توزعها.

سألني: "هل لديك استعداد للعمل مع هؤلاء؟"

- نعم. أم أنك ترى ما تقدمه رائعاً؟

- لا أعرف. قطعة السمكة تبدو على الصورة ممتعة، ربما كالصخر،

ثم فقط ١.٤٥ أرخص. هل هذا الفارق يحبس الناس؟

عندما سألته من أي مدينة هو، أجاب باقتضاب:

- من الشرق. من تورينجن. وقال إنه يزور أمه هنا، ثم أضاف:

كرندل لم يعد يتحدث عن الدفع، عن الـ ١٢٠ في اليوم.

- لابد أن يلتزموا بما قالوه. هذا ما كان مكتوباً في الإعلان.

أوماً برأسه. ثم فجأة قال:

- ورقة واحدة تكفى لكل عائلة".

فى البداية ظننت أنه يمزح، ثم قلت له: "لأصدقائهم ومعارفهم".

- "عندك حق. إذا سارت الأمور على هذا النحو فستنتهى عند

العصر".

علينا أيضاً أن ندخل المحلات فى منطقة المشاة، ولكن حتى إذا

لم نبادر الناس بالكلام، فإنهم كانوا يظنون واقفين ويمدون أيديهم. نون

استراحة واصلت الفرقة الموسيقية العزف.

قال: "أنت ذكرت من قبل حكاية الزعانف".

- "نعم".

- "هل تعرفين أنك تبترسمين دائماً؟"

- "أنت أيضاً".

بعد جوالى ساعة بدأت السماء تمطر رذاذاً. معظم الناس كانوا

يسيرون بحذاء نوافذ العرض، تحت المظلات، من سقف إلى آخر.

بينما واصل التوزيع فى الخارج، كنت أدخل المحلات. أخذت امرأة

تلوح لى وتصيح: "أيتها الضفدعة الصغيرة".

لا أقطع أى حديث، ولكن عندما يتطلعون إلى، أو يديرون الرأس

ناحيتى، فإننى أسأل بصوت خافت وكأنتى ضللت الطريق: "معذرة، ربما

تعرّفون كيف أصل إلى بحر الشمال؟" يُصدمون لمدة دقيقة، وبعد أن يبدأوا الضحك تناولهم الورقة.

عندما ألاحظ أن مارتن لم يعد واقفاً أمام نافذة العرض، أخرج من المحل. أرجع بضع خطوات، لكنني لا أعثر عليه، إلا أنني أرى أوراق "بحر الشمال" متناثرة هنا وهناك. كان مارتن يجلس متكئاً بظهره إلى صارية علم، ولا يجيب. عينه اليسرى متورمة. نظر إلى أعلى قليلاً ثم سألتني إذا كنت رأيت أنبوب التنفس الذي كان يحمله. أحاول للمرة بعض إعلانات "بحر الشمال" الملتصقة بالبلاط، لكنني أنوس بزعانفي على الأوراق التي انحنى لالتقاطها.

"هل مررت أنت أيضاً بتجربة سيئة؟ يسألني مارتن عندما وقفت أمامه مرة أخرى.

- "لا، لماذا؟"

- "نظراتك تقول ذلك".

- "أنت أخذت لكمة حلوة".

- "هل عثرت على الأنبوب؟"

أواصل البحث. أجد عدة إعلانات وأعود إليه.

"أنا أسف"، يقول لي وهو يرفع أنبوب التنفس من على الأرض، خابطاً بالمبسم على زعنفته اليسرى.

- "كان ملقى هنا، لكنني لم أراه".

- "هل أحضر لك مكعبات ثلج؟"

- "أتعرفين فى أى شىء فكرت؟ لقد فكرت فى تلك الجملة عن الأسماك والظوفان. لقد كنت مشلولاً، بالفعل مشلولاً. فى البداية نظر الرجل إلى أسفل، ثم حلق فى، وسأل زوجته إذا كانت تعرفنى. كنت أقف على حذائه، بأطراف زعانفى، فقط بالأطراف. لم أشعر بذلك، ولا يمكن أن يكون هو قد شعر بذلك. قالت زوجته إنها لا تعرفنى. أعتقد أنتى طرت لمسافة قصيرة."

- "هل تشعر بغثيان؟"

- "تلك الجملة عن الظوفان، كم هى عبيطة! لم أقل شيئاً سوى العبارات المعتادة. نفس الجمل كالمعتاد."

- "لابد أن نذهب إلى كرندل. هذه حادثة."

- "لن أذهب إلى هناك بعد اليوم". وأخذ يحرك زعانفه.

- "أنا أعرف السيب"، قلت له، وانتظرت حتى يتطلع ناحيتى.

- "لم تعجبه لهجتى".

- "ولكنه سأل زوجته إذا كانت تعرفك. وعندما قالت 'لا ضربك؟'

- "وكيف يمكن أن تعرفنى؟ إننى هنا لأول مرة فى حياتى!"

- "كان فقط يريد أن يعرف إذا كنت شخصية مشهورة".

- "فقط لذلك!"

- "المشاهير فقط يفعلون هذا، مع كاميرا خفية، أو بسبب رهان خسروه"، قلت له موضحاً. ثم أضفت:

- "ولكن غير المشاهير لا يفعل أحد مثل هذا، لا أحد في عمرك. الرجل أحس أنك تستغفله. هذا هو كل شيء".

ينظر إليّ وكأنتي صفعته. أقول له:

- "هذا طبعاً غير معقول. أعني أن هذا الأبله ظن شيئاً كهذا. لقد أدبت عمك فعلاً بطريقة جيدة. لديك كاريزما كانت تدخل الفرحة على قلوب الناس. أنت نشرت من حولك المرح. ليس فقط فيما يتعلق بتوزيع الأوراق. ما فعلته لم يفعله أحد من قبلك، وفوق هذا فإن لك قواماً متناسقاً".

بصق بين الزعانف. أواصلُ التحدث:

- "كل الناس انبسطوا. من المفروض أن نحصل على فلوس أكثر بكثير مما سنحصل عليه. ليس فقط من كرندل، بل أيضاً من عمدة المدينة، ومن صناديق التأمين الصحي؛ بسبب جو المرح والالطف الذي نشرناه".

أخذ مارتن يرسل نظراته ناحيتي. كاد الورم يغلق عينه اليسرى.
أقول له:

- "شيء مقرف. إنه يعتبر الالطف أمراً مستحيلاً".

- "لم يهتم أى إنسان بالأمر"، قال ويصق من جديد. "لم يتحرك أحد".

- "لم يستوعبوا الموقف. الناس لم يعرفوا كيف يتصرفون. لم يستطيعوا أن يفهموا أى شىء مما حدث. لم يمروا فى حياتهم بموقف كهذا. فى قلب منطقة المشاة ينال ضفدع بشرى علقه ساخنة. ربما ظنوا أن الضربيات لا تؤلم إذا كان المرء كله داخل المطاط، أو أن هذا جزء من اللعبة. لم يرد أحد أن يتعرض للإحراج إذا تبين فيما بعد أن هذا عرض فنى أو مسرحى فى الهواء الطلق".

أحكى لمارتن عن رجل مسن مات أثناء جلوسه فى بلكوتته فى الحوش الخلفى لبيتنا. كان يمسك بإصبع موز، بينما كانت الموسيقى الصاخبة تصدح. اعتقدنا كنا أنه نائم. ظل جالساً هناك تحت المطر، طيلة الليل.

- "طيلة الليل؟"

- "نعم. الدنيا كانت ظلاماً. وفى الصباح عندما كان لا يزال جالساً ... سنذهب الآن إلى كرندل".

أغلق مارتن عينيه مثلما فعلت امرأة رأيتها فى مترو الأنفاق. بهدوء تام أغلقت عينيهما دون أن تحرك ساكناً، إلى أن انفتحت الأبواب. هز مارتن رأسه نافياً.

- "بلى. لابد".

فيما هو ينهض أمسكت بنظارتته وأنبويه. الشنطة اتسخت. يسحب بحذر القلنسوة فوق رأسه.

"لن أذهب إلى كرندل"، قال مارتن. احتاج إلى وقت طويل حتى استطاع أن يرتدى نظارة الغوص. سألته:

- "إلى أين إذن؟"

- "بعيداً. إلى أبعد ما يمكن".

ويصق مرة أخرى، ثم وضع أنبوب التنفس في فمه، وثبته تحت سير النظارة، ثم علق الشنطة على كتفه.

فعلت مثله، وانطلقنا. كان الناس يقفون تحت مظلات المحلات وفي مداخل البيوت، ينتظرون أن يتوقف المطر. فيما عدا راكب دراجة كانت منطقة المشاة لنا وحدنا. مشينا بين الحفر المليئة بماء المطر. رأيت شخصاً يلوح لنا ويهتف بشيء فيه كلمة "بحر الشمال" بالطبع. من الممكن أن يعتقد المرء أن الناس يقفون طابوراً لتحيتنا. كل منا يمسك بيد الآخر لأن النظارة تحد من مجال الرؤية حتى إن المرء لا يعرف إذا كان الآخر يسير فعلاً بجانبه. ما زالت الفرقة في الخيمة البيضاء تعزف الموسيقى التي أصبحت الآن أسرع وأعلى. أعتقد أنها رقصة بولكا، لكنني لا أعرف ما هي البولكا. ربما مارش أو شيء مشابه. سيان. كنت أسير مع مارتن بالخطوة نفسها. حتى عندما خرجنا من منطقة المشاة، ظللنا نسير بخطى واحدة.

المؤلف فى سطور :

إنجو شولسته

ولد عام ١٩٦٢ فى دريسدن بألمانيا الشرقية . درس اللغات القديمة وعمل معدا مسرحيا ثم محرراً فى صحيفة إقليمية . يعيش فى برلين متفرغاً للكتابة منذ عام ١٩٩٣ ، حصل عن كتابه الأول « ٣٣ لحظة من السعادة » عام ١٩٥٥ على عدد من الجوائز ، منها جائزة ألفريد نوبلين وجائزة إنجبورج باخمان .

فى عام ١٩٩٨ أصدر شولسته رواية «قصص بسيطة» التى لاقت احتفاءً بالغاً من النقاد والقراء على السواء ، وترجمت فى غضون سنوات قليلة إلى ما يزيد على عشرين لغة .

المترجم فى سطور :

سمير جريس

من مواليد القاهرة عام ١٩٦٢ . حصل على الليسانس فى اللغة الألمانية وآدابها من كلية الألسن جامعة عين شمس ، ودبلوم الترجمة من جامعة القاهرة ، وحصل على درجة الماجستير فى الترجمة من جامعة ماينتس (ألمانيا) ، وكانت أطروحته عن «إشكاليات ترجمة الأدب الألمانى إلى العربية - هاينريش بل نموذجاً» .

ترجم عدداً من الأعمال الأدبية عن الألمانية ، منها : فولفجانج بورشرت : «شدو البلبل» (سلسلة أفاق الترجمة ، هيئة قصوتر الثقافة) ، وماكس فريش : «نوتتاوك» (دار الجمل بألمانيا) ، وهاينريش : «وكان مساء ...» (سلسلة نوبل بدار المدى ، دمشق) ويصدر له عن المجلس الأعلى للثقافة : إيريش كستنز : «مدرسة الطفافة» ضمن المشروع القومى للترجمة .

وقد نال الجائزة الأولى فى ترجمة القصة من المجلس الأعلى للثقافة فى مصر عام ١٩٩٦ .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١	اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد برويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤	كيف يتم كتابة السيناريو	انجا كاريتكوكفا	ت : أحمد الحضري
٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	جيرار چينيت	ت : محمد مفتاح وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى
١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	بيفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن الموين
١٥	الحركات الفنية	إيوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦	أثنية السوداء (ج١)	مارتن برنال	ت : يشارفد نصد عثمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى وبدوى عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر .	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارنتر	ت : بكر عباس
٢٥	مشوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢	الانقراض	بيفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٢٨	نقد الحدائق	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	د : عطف لحد وإبراهيم قتمى ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣	الذهب المزوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	ألوس هكسلى	ت : مارلين تانرس
٤٥	التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بايلو تيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى اليلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب طوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : مصد برادة وعثمانى اللويد ويوسف الأتلكى
٥١	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستى	ت : مصد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التديعى	ب . توفاليس وس . روجسيفيتز	ت : لطفى فطيم وعادل بمرdash
		ودجر بيل	
٥٣	الدراما والتطعيم	أ . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء الطم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية اوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية اوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية اوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحيرة (مسرحية)	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتن	ت : صبرى محمد عبد الفتى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢	لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الطيم
٦٧	مختارات	فرناندو بيمسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	للم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخيتيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمالِك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أنثريه موروا	ت : أحمد برويش

٧٦	جاك لاكن وإغواء التطيل للنفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عيد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ووليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد رويرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	يوريس أوسيفسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم القمري
٨١	الجماعات المتخيلة	يندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دى أوتامونو	ت : محمود السيد على
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤	موسوعة الألب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صانقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧	نون والظم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨	الابتلاء بالتقرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم السوقي شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دى ثرياتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	بارير الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	لساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحية	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بوويرو بايخو	ت : سرى محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إيوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساغة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحلو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكنانى الإبرسى
١٠٣	قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجنى	برتوات بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥	منخل إلى النص الجامع	جيرارچينيت	ت : عبد العزيز شيبيل
١٠٦	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعور
١٠٧	صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	چون يواوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	للرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماركليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	رأية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان

ت : نسيم مجلى	١١٤ مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا
ت : سمية رمضان	١١٥ غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
ت : نهاد أحمد سالم	١١٦ امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
ت : منى إبراهيم وهالة كمال	١١٧ المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد
ت : ليس النقاش	١١٨ النهضة النسائية فى مصر بيث بارون
ت بإشراف: روف عباس	١١٩ النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
ت : نخبة من المترجمين	١٢٠ الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لقد
ت : محمد الجندى وإيزابيل كمال	١٢١ الليل الصغير عن الكاتبات العربيات قاطمة موسى
ت : منيرة كروان	١٢٢ نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
ت: أنور محمد إبراهيم	١٢٣ الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية نيل ألكسندر وفنابولينا -
ت : أحمد فؤاد بليغ	١٢٤ الفجر الكانب چون جراى
ت : سمحة الخولى	١٢٥ التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ بيقى
ت : عبد الوهاب علوب	١٢٦ فعل القراءة فولفانج إيسر
ت : بشير السباعى	١٢٧ إرهاب صفاء قتحى
ت : أميرة حسن تويرة	١٢٨ الأدب المقارن سوزان باسنيث
ت : محمد أبو العطا وآخرون	١٢٩ الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولورس أسيس جاروته
ت : شوقى جلال	١٣٠ الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرفرانك
ت : لويس بقطر	١٣١ مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
ت : عبد الوهاب علوب	١٣٢ ثقافة العمولة مايك فينرستون
ت : طلعت الشايب	١٣٣ الخوف من المرايا طارق على
ت : أحمد محمود	١٣٤ تشريع حضارة بارى ج. كيمب
ت : ماهر شفيق فريد	١٣٥ المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
ت : سحر توفيق	١٣٦ فلاحو الباشا كينيث كونو
ت : كاميليا صبحى	١٣٧ منكرات ضابط فى الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه
ت : وجيه سمعان عبد المسيح	١٣٨ عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيقيلينا تارونى
ت : مصطفى ماهر	١٣٩ پارسيقال ريشارد فاجنر
ت : أمل الجبورى	١٤٠ حيث تلتقى الأنهار هريرت ميسن
ت : نعيم عطية	١٤١ اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
ت : حسن بيومى	١٤٢ الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
ت : عدلى السمرى	١٤٣ قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى بيريك لايدار
ت : سلامة محمد سليمان	١٤٤ صاحبة اللوكنדה كارلو جولونى
ت : أحمد حسان	١٤٥ موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
ت : على عبدالرحوف البمبى	١٤٦ الورقة الحمراء ميغيل دى ليمس
ت : عبدالغفار مكابى	١٤٧ خطبة الإدانة الطويلة تانكريد نورست
ت : على إبراهيم منوفى	١٤٨ القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكى أندرسون إميرت
ت : أسامة إسبير	١٤٩ النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول
ت : منيرة كروان	١٥٠ التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان
ت : بشير السباعى	١٥١ هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١) فرنان برودل
ت : محمد محمد الخطابى	١٥٢ عدالة الهنود وقصص أخرى نخبة من الكتاب

١٥٢	غرام الفراغة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأويدت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكتوجى	ت : عبدالعزيز يقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩	الإيديولوجية	بيفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالطيم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جورنن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصايفة
١٦٦	العلاقات بين المتينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليتمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩	إبداعات أنبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميفيل دايبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	فرائك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطايبى
١٧٣	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المنصنح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتبيرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الألبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوة	و.ب. بيتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	جان كوكتو على شاشة السينما	رفنيه جيلسون	ت: فتحى العشرى
١٨٤	القاهرة... حالة لا تنام	هانز إينهورفر	ت: نسوقى سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوى	ت: محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الألب	الفين كرتان	ت: بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	بول دى مان	ت: سعيد الغانمى
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت: نمحسن سيد فرجاني
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد

ت:محمود سلامة علاوى	زين العابدين المراغى	١٩٢ سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)
ت:محمد عبد الواحد محمد	بيتر أيزاهامز	١٩٣ عامل المنجم
ت: ماهر شقيق فريد	مجموعة من النقاد	١٩٤ مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى
ت:محمد علاء الدين منصور	إسماعيل قصيح	١٩٥ شتاء ٨٤
ت:أشرف الصباغ	قالتين راسبوتين	١٩٦ المهلة الأخيرة
ت: جلال السعيد الحفناوى	شمس العلماء شبلى النعمانى	١٩٧ القاروق
ت:إبراهيم سلامة إبراهيم	انوين إمري وآخرون	١٩٨ الاتصال الجماهيرى
ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد	يعقوب لاتدلوى	١٩٩ تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية
ت: فخزى لبيب	جيرمى سيبروك	٢٠٠ ضحايا التنمية
ت: أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٢٠١ الجانب الدينى للفلسفة
ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	٢٠٢ تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)
ت: جلال السعيد الحفناوى	أطاف حسين حالى	٢٠٣ الشعر والشاعرية
ت: أحمد محمود هويدى	زالمان شازار	٢٠٤ تاريخ نقد العهد القديم
ت: أحمد مستجير	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	٢٠٥ الجينات والشعوب واللغات
ت: على يوسف على	جيمس جلايك	٢٠٦ الهيولوية تصنع علماً جديداً
ت: محمد أبو العطا	رامون خوتاستنير	٢٠٧ ليل أفريقي
ت: محمد أحمد صالح	دان أوريان	٢٠٨ شخصية العربي فى المسرح الإسرائيلى
ت: أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢٠٩ السرد والمسرح
ت: يوسف عبد الفتاح فرج	ستائى الفزنوى	٢١٠ مثويات حكيم ستائى
ت: محمود حمدي عبد الفتى	جوناثان كلر	٢١١ فريمان نوسوسير
ت: يوسف عبدالفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	٢١٢ قصص الأمير مرزيان
ت: سيد أحمد على الناصرى	ريمون فلاور	٢١٣ مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر
ت: محمد محمود محى الدين	أنتونى جينتز	٢١٤ قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع
ت: محمود سلامة علاوى	زين العابدين المراغى	٢١٥ سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)
ت: أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٦ جوانب أخرى من حياتهم
ت: نادية البنهاوى	ص. بيكيت	٢١٧ مسرحيتان طبيعيتان
ت: على إبراهيم منوفى	خوليو كورتازان	٢١٨ لعبة الحجلة (رايولا)
ت: طلعت الشايب	كازو ايشجورو	٢١٩ بقايا اليوم
ت: على يوسف على	بارى باركر	٢٢٠ الهيولوية فى الكون
ت: رفعت سلام	جريجورى جوزداتيس	٢٢١ شعرية كفاى
ت: نسيم مجلى	رونالد جراى	٢٢٢ فرانز كافكا
ت: السيد محمد نقادى	بول فيرابنر	٢٢٣ العلم فى مجتمع حر
ت: منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	٢٢٤ دمار يوغسلافيا
ت: السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارتيا ماركت	٢٢٥ حكاية غريق
ت: طاهر محمد على البريرى	ديفيد هريت لورانس	٢٢٦ أرض المساء وقصائد أخرى
ت: السيد عبدالظاهر عبدالله	موسى مارديا ليف بوركى	٢٢٧ المسرح الإشبانى فى القرن السابع عشر
ت:نمارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وولف	٢٢٨ علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
ت: أمير إبراهيم العمري	نورمان كيغان	٢٢٩ منزق البطل الوحيد
ت: مصطفى إبراهيم فهمى	فرانسواز جاكوب	٢٣٠ عن النجاب والفقران والبشر

٢٣١	البراقيل	خايمي سالوم بيدال	ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢	ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤	الإسلام في السودان	ج. سينسر تريمتهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥	ليون شمس تبريزي (ج١)	مولانا جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم السوقي شتا
٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧	مصر أرض الوادي	روين فيرين	ت: عايات حسين طلعت
٢٣٨	العولة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعيسى مديولى أحمد
٢٣٩	العربي في الألب الإسرائيلي	جيلرافر - رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١	في انتظار البرابرة	ج. م. كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وليام إيمسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبي
٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروقتسال	ت: على عبدالرؤف البمبي
٢٤٤	الغليان	لاورا إسكييل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦	مختارات قصصية	جابريل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر إرميرست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨	حقول عن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالطيم
٢٤٩	لغة التمزيق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠	علم اجتماع الطوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أياظة
٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردين مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت: حسن بيومي
٢٥٤	الفلسفة	ديف روينسون وجودي جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥	أفلاطون	ديف روينسون وجودي جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦	بيكارت	ديف روينسون وكريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨	الفجر	سير أنجوس فريزر	ت: عبادة كحيلة
٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمي عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردين مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢	مدينة المعجزات	إيوارد مندوثا	ت: محمد أبو العطا
٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت: على يوسف على
٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	ت: لويس عوض
٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وسموثيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عرويكى
٢٦٨	ليون شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم السوقي شتا
٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢	الأبيرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود على مكي
٢٧٥	ت س إليوت شاعراً وناقداً وكتاباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: طريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١	الفريوس الأعلى	مولانا عبد الطيم شرر الكهنوى	ت: جلال الحقاوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوريبينيس	ت: أحمد عثمان
٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراهى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ليونان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج موانان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	السرحة الإسباني فى القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢	السرحة الإسباني فى القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	ت: نخبية من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	يوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بتر الدين حب الله اللبيب
٢٩٦	مكث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بنوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تقالوا بليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	لسطورة بيوشيس فى اللبين الإنجليزي والفرنسى (ج١)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١	لسطورة بيوشيس فى اللبين الإنجليزي والفرنسى (ج٢)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب ويورين فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعور	ديفيد بايينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جوتز	ت: مطروح عبد المنعم أحمد

ت: جمال الجزيري	أنجوس چيلاتي	٢٠٩ الزمن والمخ
ت: محيي الدين محمد حسن	ناجي هيد	٢١٠ يونج
ت: فاطمة إسماعيل	كوانجوود	٢١١ مقال في المنهج الفلسفي
ت: أسعد طيم	وليم دي بوز	٢١٢ روح الشعب الأسود
ت: عبدالله الجعدي	خاير بيان	٢١٣ أمثال فلسطينية
ت: هويدا السباعي	جيتس مينيك	٢١٤ الفن كعدم
ت: كاميليا صبحي	ميشيل بروتدينو	٢١٥ جرامشي في العالم العربي
ت: نسيم مجلي	أف. ستون	٢١٦ محاكمة سقراط
ت: أشرف الصباغ	شير لايموفا- زنيكين	٢١٧ بلاغ
ت: أشرف الصباغ	نخبة	٢١٨ الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة
ت: حسام نايل	جايتز ياسيفياك وكرستوفر نوريس	٢١٩ صور دريدا
ت: محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٢٢٠ لعة السراج في حضرة التاج
ت: نخبة من المترجمين	ليفى برو فنسال	٢٢١ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)
ت: خالد مقلح حمزة	ديليو يوجين كلينباور	٢٢٢ وجهات غربية حديثة في تاريخ الفن
ت: هانم سليمان	تراث يوناني قديم	٢٢٣ فن الساتورا
ت: محمود سلامة علاوي	أشرف أسدي	٢٢٤ اللعب بالنار
ت: كرستين يوسف	فيليب يوسان	٢٢٥ عالم الآثار
ت: حسن صقر	جورجين هابرماس	٢٢٦ المعرفة والمصلحة
ت: توفيق علي منصور	نخبة	٢٢٧ مختارات شعرية مترجمة (ج ١)
ت: عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	٢٢٨ يوسف وزليخا
ت: محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	٢٢٩ رسائل عيد الميلاد
ت: سامي صلاح	مارفن شبرد	٢٣٠ كل شيء عن التمثيل الصامت
ت: سامية دياب	ستيفن جراي	٢٣١ عندما جاء السردين
ت: علي إبراهيم منوفي	نخبة	٢٣٢ القصة القصيرة في إسبانيا
ت: بكر عباس	نبيل مطر	٢٣٣ الإسلام في بريطانيا
ت: مصطفى فهمي	آرثرس كلارك	٢٣٤ لقطات من المستقبل
ت: فتحي العشري	ناتالي ساروت	٢٣٥ عصر الشك
ت: حسن صابر	نصوص قديمة	٢٣٦ متون الأهرام
ت: أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	٢٣٧ فلسفة الولاء
ت: جلال السعيد الحفناوي	نخبة	٢٣٨ نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)
ت: محمد علاء الدين منصور	علي أصغر حكمت	٢٣٩ تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)
ت: فخرى لبيب	بيرش بيريروجلو	٢٤٠ اضطراب في الشرق الأوسط
ت: حسن حلمي	راينر ماريا رلكه	٢٤١ قصائد من رلكه
ت: عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	٢٤٢ سلامان وأبسال
ت: سمير عبد ربه	نادين جورديمر	٢٤٣ العالم البرجوازي الزائل
ت: سمير عبد ربه	بيتر بلانجوه	٢٤٤ الموت في الشمس
ت: يوسف عبد الفتاح فرج	يونه فدائي	٢٤٥ الركض خلف الزمن
ت: جمال الجزيري	رشاد رشدي	٢٤٦ سحر مصر
ت: بكر الحلو	جان كوكو	٢٤٧ الصبية الطائشون

٢٤٨	التصوف الأولون في الأدب التركي (ج١)	محمد فؤاد كوبريلي	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٢٥٠	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٢٥١	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانتصاري
٢٥٢	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٢٥٣	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو يابون مالدوناند	ت: علي إبراهيم منوفي
٢٥٤	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو يابون مالدوناند	ت: علي إبراهيم منوفي
٢٥٥	التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوي
٢٥٦	الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرقاعي
٢٥٧	متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٢٥٨	أمثال الهوسا العامة	نخبة	ت: مصطفى حجازي السيد
٢٥٩	محاويرات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشاروني
٢٦٠	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا ياركان	ت: ليلى الشربيني
٢٦١	التصحر: التهديد والمجابهة	ألان جرينجر	ت: عاطف معتمد وآمال شاوور
٢٦٢	تلميذ باينبيرج	هاينرش شيبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٢٦٣	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيسون	ت: صبرى محمد حسن
٢٦٤	حدائق شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٢٦٥	سليم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٢٦٦	نساء يركضن مع القناب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٢٦٧	القلم الجريء	نخبة	ت: البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨	المصطلح السردي	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٢٦٩	المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	ت: فوزية العشماوي
٢٧٠	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٢٧١	التصوف الأولون في الأدب التركي (ج٢)	محمد فؤاد كوبريلي	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢	عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣	كيف تعد رسالة دكتوراه	أميرتو إيكو	ت: علي إبراهيم منوفي
٢٧٤	اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٢٧٥	الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٢٧٦	الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إينوار الخراط
٢٧٧	تاريخ الأدب في إيران (ج٣)	علي أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٧٨	المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٧٩	ملك في الحقيقة	ستيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٢٨٠	حديث عن الخسارة	جوتتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٢٨١	أساسيات اللغة	ر. ل. ترامسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادي
٢٨٣	هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤	القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٢٨٥	مشتري العشق	محمد علي بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦	دفاعاً عن التاريخ الأبي النسوي	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

ت: بهاء جاهين	جون بن	٢٨٧ أغنيات وسوناتات
ت: محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨ مواظ سعدي الشيرازى
ت: سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩ من الألب الباكستانية المعاصر
ت: عثمان مصطفى عثمان	نخبة	٢٩٠ الأرشيفات والمدن الكبرى
ت: منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١ الحافلة اليلكية
ت: عبداللطيف عبدالطيم	نخبة	٢٩٢ مقامات ورسائل أندلسية
ت: زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣ فى قلب الشرق
ت: هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤ القوى الأربع الأساسية فى الكون
ت: سليم حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥ أم سياوش
ت: محمود سلامة علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦ السافاك
ت: إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين	٢٩٧ نيقشه
ت: إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى	٢٩٨ سارتر
ت: إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفيتس	٢٩٩ كامى
ت: باهر الجوهري	مشيائيل إنده	٤٠٠ مومو
ت: ممنوح عبد المنعم	زيادون ساربر	٤٠١ الرياضيات
ت: ممنوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك ايقوى	٤٠٢ هوكنج
ت: عماد حسن بكر	توبور شتورم	٤٠٣ ربة المطر والملابس تصنع الناس
ت: ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤ تعويذة الحسى
ت: حمادة إبراهيم	أنثريه جيد	٤٠٥ إيزابيل
ت: جمال عبد الرحمن	مانويلا ماتتاتاريس	٤٠٦ المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
ت: طلعت شاهين	أقلام مختلفة	٤٠٧ الألب الإسبانية المعاصر بأقلام كتبه
ت: عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨ معجم تاريخ مصر
ت: إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩ انتصار السعادة
ت: الزواوى بقورة	كارل بوير	٤١٠ خلاصة القرن
ت: أحمد مستجير	جينيفر أكرمان	٤١١ همس من الماضى
ت: نخبة	ليفى بروفيتصال	٤١٢ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١، ٢، ج١)
ت: محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣ أغنيات المتقى
ت: أمل الصبان	ياسكال كازانوقا	٤١٤ الجمهورية العالمية للآداب
ت: أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش نورنيمات	٤١٥ صورة كوكب
ت: مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦ مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر
ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد	رينيه وليك	٤١٧ تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٥)
ت: عبد الرحمن الشيخ	جين هاثواى	٤١٨ سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية
ت: نسيم مجلى	جون مايو	٤١٩ العصر الذهبى للإسكندرية
ت: الطيب بن رجب	فواتير	٤٢٠ مكرو ميچاس
ت: أشرف محمد كيلانى	روى متحدة	٤٢١ الولاء والقيادة
ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم	نخبة	٤٢٢ رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)
ت: وحيد النقاش	نخبة	٤٢٣ إسراعات الرجل الطيف
ت: محمد علاء الدين منصور	نور الدين عبدالرحمن الجامى	٤٢٤ لوائح الحق ولوامع العشق
ت: محمود سلامة علاوى	محمود طلوعى	٤٢٥ من طلوعى إلى فرح

٤٢٦	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧	باتنيراس الطاغية	باي إنكلان	ت: ثريا شلبي
٤٢٨	الخرزاة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافى
٤٢٩	هيجل	ليود سينسر وأندرزجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليوفسكى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢	ماكياقللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدي الجابري
٤٣٤	الرومانسية	دونكان هيث وچودن بورهام	ت: عصام حجازى
٤٣٥	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زديرج	ت: تاجي رشوان
٤٣٦	تاريخ الفلسفة (مج ١)	فريدريك كويلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧	رحالة هندي في بلاد الشرق	شبلبي النعماني	ت: جلال السعيد الحقاوي
٤٣٨	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بييرس	ت: عابدة سيف الدولة
٤٣٩	موت المرابي	صدر الدين عيني	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤١	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتي روى	ت: فخرى لييب
٤٤٢	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتي
٤٤٣	اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت: صالح علماني
٤٤٥	حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦	التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩	الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيري
٤٥٠	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	ت: جمال الجزيري
٤٥١	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	ت: محيى الدين مزيد
٤٥٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فريدريك كويلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦	لا تتعنى	مريم جعفرى	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧	النساء في الفكر السياسى العربى	سوزان موالر أوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال الينا
٤٦٠	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانتستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوريين	عبدالرشيد الصائق محمودى	ت: عبدالرشيد الصائق محمودى
٤٦٣	النبوة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤	ديمقراطية القلة	ميكانيل بارنتى	ت: حصة إبراهيم المنيف

٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزيرج	ت: جمال الرفاعي
٤٦٦	حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود
٤٦٧	التفكير السياسي	ستيفين ديلاو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصاري
٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠	الأراضي والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد التنة
٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢	نون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣	نون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عنانى
٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى لونغ	ت: عبد العزيز حمدى
٤٧٩	المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨٠	تساي ون جى (مسرحية صينية)	كو موروا	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨١	عبادة النبى	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة چاميل	ت: أحمد الشامى
٤٨٤	جمالية التلقى	هانسن رويبرت يالوس	ت: رشيد بنحو
٤٨٥	التوية (رواية)	نذير أحمد الدهاوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبداللطيم عبدالغنى رجب
٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩	هُسْرُل: الفلسفة علماً بقيقاً	هُسْرُل	ت: محمود رجب
٤٩٠	أسمار البيغاء	محمد قانرى	ت: عبد الوهاب علوب
٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفرىقى	نخبة	ت: سمير عبد ربه
٤٩٢	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت: شريف الصيغى
٤٩٥	اللوى	إبوارد تيفان	ت: حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولى	ت: نخبة
٤٩٧	العثمانية والنوع والنولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	ت: مصطفى رياض
٤٩٨	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جويث تاكر ومارجريت مريونز	ت: أحمد على بدوى
٤٩٩	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠	فى طقولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز روكى	ت: طلعت الشايب
٥٠١	تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولدمامر	ت: سحر فراج
٥٠٢	أصوات بييلة	هدى الصدة	ت: هالة كمال
٥٠٣	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمتعم

ت: إسماعيل المصدق	مارتن هاينجر	٥٠٤ كتابات أساسية (ج١)
ت: إسماعيل المصدق	مارتن هاينجر	٥٠٥ كتابات أساسية (ج٢)
ت: عبدالحميد فهمي الجمال	آن تيلر	٥٠٦ ربما كان قديماً
ت: شوقي فهمي	بيتر شيفر	٥٠٧ سيدة الماضي الجميل
ت: عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جلبنارلي	٥٠٨ المولوية بعد جلال الدين الرومي
ت: قاسم عبده قاسم	أم صبرة	٥٠٩ الفقر والإحسان في عهد سلاطين المماليك
ت: عبدالرازق عيد	كارلو جولونوني	٥١٠ الأرملة الماكرة
ت: عبدالحميد فهمي الجمال	آن تيلر	٥١١ كوكب مرقع
ت: جمال عبد الناصر	تيموثي كوريجان	٥١٢ كتابة النقد السينمائي
ت: مصطفى إبراهيم فهمي	تيد أنتون	٥١٣ العلم الجسور
ت: مصطفى بيومي عبد السلام	چوتتان كولر	٥١٤ مدخل إلى النظرية الأنثوية
ت: فتوى مالطي دوجلاس	فتوى مالطي دوجلاس	٥١٥ من التقليد إلى ما بعد الحدائق
ت: صبري محمد حسن	آرنولد واشنتون وودونا باوندي	٥١٦ إرادة الإنسان في شفاء الإدمان
ت: سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٥١٧ نقش على الماء وقصص أخرى
ت: هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	٥١٨ استكشاف الأرض والكون
ت: أحمد الأنصاري	جوزايا روس	٥١٩ محاضرات في المثالية الحديثة
ت: أمل الصبان	أحمد يوسف	٥٢٠ الولوج بمصر من الطم إلى المشروع
ت: عبدالوهاب بكر	آرثر جولد سميث	٥٢١ قاموس تراجم مصر الحديثة
ت: علي إبراهيم منوفي	أميركو كاسترو	٥٢٢ إسبانيا في تاريخها
ت: علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون ماللونانو	٥٢٣ الفن الطليطلي الإسلامي والمذبح
ت: محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	٥٢٤ الملك لير
ت: نايبة رفعت	لنيس جونسون رزيفز	٥٢٥ موسم صيد في بيروت وقصص أخرى
ت: محيي الدين مزيد	ستيفن كرول ووليم رانكين	٥٢٦ علم السياسة البيئية
ت: جمال الجزيري	ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	٥٢٧ كافكا
ت: جمال الجزيري	طارق علي وقل إيفانز	٥٢٨ تروتمسكي والماركسية
ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصري	محمد إقبال	٥٢٩ بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني
ت: عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٥٣٠ مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية
ت: صفاء قنحي	چاك دريدا	٥٣١ ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟
ت: بشير السباعي	هنري لورنس	٥٣٢ المغامر والمستشرق
ت: محمد الشرقاوي	سوزان جاس	٥٣٣ تعلم اللغة الثانية
ت: حمادة إبراهيم	سيفرين لوبا	٥٣٤ الإسلاميون الجزائريون
ت: عبدالعزيز بقوش	نظامي الكنجوي	٥٣٥ مخزن الأسرار
ت: شوقي جلال	صمويل هنتجتون	٥٣٦ الثقافات وقيم التقدم
ت: عبدالفقار مكاوي	نخبة	٥٣٧ للحب والحرية
ت: محمد الحديدي	كيت دانيلز	٥٣٨ النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني
ت: محسن مصيلحي	كاريل تشرشل	٥٣٩ خمس مسرحيات قصيرة
ت: روف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠ توجهات بريطانية - شرقية
ت: مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١ هي تتخيل وهلاوس أخرى
ت: نعيم عطية	نخبة	٥٤٢ قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث

٥٤٢	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤	ميلاني كلاين	نخبة	ت: حمدي الجابري
٥٤٥	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦	ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق علي منصور
٥٤٧	بارت	فيليب ثودي وأن كورس	ت: جمال الجزيري
٥٤٨	علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرن ويورن فان لون	ت: حمدي الجابري
٥٤٩	علم العلامات	يول كويلي وليتاجانز	ت: جمال الجزيري
٥٥٠	شكسبير	نيك جروم وييرو	ت: حمدي الجابري
٥٥١	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	ت: سمحة الخولي
٥٥٢	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	ت: علي عبد الرؤف البمبي
٥٥٢	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦	جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت: حمدي الجابري
٥٥٧	الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨	الدراسات الثقافية	زيووين ساردارويورين فان لون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩	الماس الزائف	تشا تشاجي	ت: عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠	صلصلة الجرس	نخبة	ت: جلال السعيد الحقاوي
٥٦١	جناح جبريل	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحقاوي
٥٦٢	بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت: عزت عامر
٥٦٣	ورود الخريف	خاثيرتو بينايبتي	ت: صبرى محمدى التهامي
٥٦٤	عشّ القريب	خاثيرتو بينايبتي	ت: صبرى محمدى التهامي
٥٦٥	الشرق الأوسط المعاصر	بيورا. ج. جيرنر	ت: أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيثوب	ت: علي السيد علي
٥٦٧	الوطن المقتصب	مايكل رايس	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	ت: عبد السلام حيدر
٥٦٩	موقع الثقافة	هومي. ك. بابا	ت: تائر نيب
٥٧٠	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	ت: يوسف الشاروني
٥٧١	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	ت: السيد عبد الظاهر
٥٧٢	الطب في زمن القراعة	برونو أليوا	ت: كمال السيد
٥٧٣	فرويد	ريتشارد ابيجانس وأسكار زارتي	ت: جمال الجزيري
٥٧٤	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت: علاء الدين عبد العزيز السباعي
٥٧٥	الاقتصاد السياسي للعولة	نجير وولز	ت: أحمد محمود
٥٧٦	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ت: ناهد العشري محمد
٥٧٧	مغامرات بينوكيو	كارلو كواودي	ت: محمد قنري عمارة
٥٧٨	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	ت: محمد إبراهيم وعصام عبد الرؤف
٥٧٩	تشومسكي	جون ماهر وچودي جرونز	ت: محي الدين مزيد
٥٨٠	دائرة المعارف الدولية	جون فيز وويل سيترجز	ت: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١	الحققي يموتون	ماريو بوزو	ت: سليم عبد الأمير حمدان

ت: سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيري	٥٨٢	مرايا الذات
ت: سليم عبد الأمير حمدان	أحمد محمود	٥٨٢	الجيران
ت: سليم عبد الأمير حمدان	محمود نولت آبادي	٥٨٤	سفر
ت: سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيري	٥٨٥	الأمير احتجاج
ت: سهام عبد السلام	ليزيث مالكموس وروي آرمنز	٥٨٦	السينما العربية والأفريقية
ت: عبدالعزيز حمدي	نخبة	٥٨٧	تاريخ تطور الفكر الصيني
ت: ماهر جويجاتي	آنييس كايرول	٥٨٨	أمنحوتب الثالث
ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم	فيلكس بيواه	٥٨٩	تمبكت الفجبية
ت: محمود مهدي عبدالله	نخبة	٥٩٠	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية
ت: علي عبدالنواب علي وصلاح رمضان السيد	هوراتيوس	٥٩١	الشاعر والمفكر
ت: مجدي عبدالحافظ وعلى كورخان	محمد صبري السوربوني	٥٩٢	الثورة المصرية
ت: بكر الطلو	بول فاليري	٥٩٣	قصائد ساحرة
ت: أماني فوزي	سوزانا تامارو	٥٩٤	القلب السمين
ت: نخبة	إكوانو باتولي	٥٩٥	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج٢)
ت: إيهاب عبدالرحيم محمد	روبرت بيجارليه وآخرون	٥٩٦	الصحة العقلية في العالم
ت: جمال عبدالرحمن	خوليو كاروياروخا	٥٩٧	مسلمو غرناطة
ت: بيومي علي قنديل	نونالد ريدفورد	٥٩٨	مصر وكنعان وإسرائيل
ت: محمود سلامة علاوي	هرداد مهريز	٥٩٩	فلسفة الشرق
ت: ملحت طه	برنارد لويس	٦٠٠	الإسلام في التاريخ
ت: أيمن بكر وسمر الشيشكلي	ريان فوت	٦٠١	النسوية والمواطنة
ت: إيمان عبدالعزيز	جيمس وليامز	٦٠٢	ليوناردو نحو فلسفة ما بعد حداثة
ت: وفاء إبراهيم ورمضان بسطوويسي	آرثر أيزنبرجر	٦٠٣	النقد الثقافي
ت: توفيق علي منصور	ياتريك ل. أبوت	٦٠٤	الكوارث الطبيعية (ج١)
ت: مصطفى إبراهيم فهمي	إرنست زيرومكي الصغير	٦٠٥	مخاطر كوكبنا المضطرب
ت: محمود إبراهيم السعني	ريتشارد هاريس	٦٠٦	قصة البردي اليوناني في مصر
ت: صبري محمد حسن	هاري سينت فيلبي	٦٠٧	قلب الجزيرة العربية (ج١)
ت: تصبري محمد حسن	هاردى سينت فيلبي	٦٠٨	قلب الجزيرة العربية (ج٢)
ت: شوقي جلال	أجنر فوج	٦٠٩	الانتخاب الثقافي
ت: علي إبراهيم منوفي	رفائيل لويث جوثمان	٦١٠	العمارة المدججة
ت: فخرى صالح	تيري إيجلتون	٦١١	النقد والأيديولوجية
ت: محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الصيني	٦١٢	رسالة التقسية
ت: محمد فريد حجاب	كوان مايكل هول	٦١٣	السياحة والسياسة
ت: منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤	بيت الأقصر الكبير
ت: محمد رفعت عواد	أليس بسيريني	٦١٥	عرض الأحداث التي وقعت في بغداد
ت: أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦	أساطير بيضاء
ت: أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧	الفولكلور والبحر
ت: جلال البنا	تشارلز فيلبس	٦١٨	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
ت: عائدة الباجوري	ريمون استانبولي	٦١٩	مفاتيح أورشليم القدس
ت: بشير السباعي	توماش ماستناك	٦٢٠	السلام الصليبي

٦٢١	النوبة المعبر الحضارى	وليم. ي. أنمز	ت: فؤاد عكود
٦٢٢	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	ت: أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣	نواير جحا الإيرانية	سعيد قانعى	ت: يوسف عبدالفتاح
٦٢٤	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	ت: عمر القاروق
٦٢٥	الجرح السرى	جان جينيه	ت: محمد برادة
٦٢٦	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٦٢٧	حكايات إيرانية	نخبة	ت: عبدالوهاب علوب
٦٢٨	أصل الأنواع	تشارلس داروين	ت: مجدى محمود المليجى
٦٢٩	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	ت: عزة الخميسى
٦٣٠	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	ت: صبرى محمد حسن
٦٣١	مختارات من الشعر الأتريقى المعاصر	نخبة	ت: ياشراق: حسن طلب
٦٣٢	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	لوريس برامون	ت: رانيا محمد
٦٣٣	الحب وفنونه	نخبة	ت: حمادة إبراهيم
٦٣٤	مكتبة الإسكندرية	روى ماكويد واسماعيل سراج الدين	ت: مصطفى البهنساوى
٦٣٥	التثيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	ت: سمير كريم
٦٣٦	حج يواندة	جناب شهاب الدين	ت: سامية محمد جلال
٦٣٧	مصر الخيوية	ف. روبرت هنتز	ت: بدر الرفاعى
٦٣٨	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	ت: فؤاد عبد المطلب
٦٣٩	فندق الأرق	تشارلز سيميك	ت: أحمد شافعى
٦٤٠	الكسياد	الأميرة أناكومينا	ت: حسن حبشى
٦٤١	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	ت: محمد قبرى عماره
٦٤٢	داروين والتطور	جوناثان ميلر ويورين فان لون	ت: ممدوح عبد المنعم
٦٤٣	سفرنامه حجاز	عبد الماجد الريبابادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤	العلوم عند المسلمين	هوارد دتيرنر	ت: فتح الله الشيخ
٦٤٥	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٦	قصة الثورة الإيرانية	سپهر نبيح	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٧	رسائل من مصر	جون نينيه	ت: فتحى العشرى
٦٤٨	يورخييس	بياتريث سارلو	ت: خليل كلفت
٦٤٩	الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	ت: سلوى لطفى
٦٥٠	الولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	ت: عبد الوهاب علوب
٦٥١	بيليمبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	ت: أمل الصبان
٦٥٢	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	ت: حسن نصر الدين
٦٥٣	مدرسة الطفاة	إيريش كسندر	ت: سمير جريس
٦٥٤	أساطير شعبية من أوزبكستان	نصوص قديمة	ت: عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	ت: حلیم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦	خيز الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو سامستري	ت: ممدوح البستاوى
٦٥٧	محاكم التفتيش واللوريسكيون	مرثيديس غارثيا- أرينال	ت: خالد عباس
٦٥٨	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	ت: صبرى التهامى
٦٥٩	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	ت: عبداللطيف عبداللطيم

٦٦٠	ناقذة على أحدث الطوم	ريتشارد فايفيلد	ت: هاشم أحمد محمد
٦٦١	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	ت: صبرى التهامى
٦٦٢	رحلة إلى الجنور	داسو سالبيار	ت: صبرى التهامى
٦٦٣	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	ت: أحمد شاقى
٦٦٤	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان - إنا راى هارك	ت: عصام زكريا
٦٦٥	عوامل أخرى	بول دافيز	ت: هاشم أحمد محمد
٦٦٦	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	ت: مدحت الجيار
٦٦٧	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولندر	ت: على ليلة
٦٦٨	ثقافات العولة	فريدريك چيمسون - ماسلو ميوشى	ت: ليلى الجبالى
٦٦٩	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	ت: نسيم مجلى
٦٧٠	أشعار جوستاف أودلفو	جوستاف أودلفو	ت: ماهر البطوطى
٦٧١	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولونين	ت: على عبدالامير صالح
٦٧٢	مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	ت: إبتهاح سالم
٦٧٣	ضرب الكليم	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤	ليون الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	ت: محمد علاء الدين منصور
٦٧٥	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	ت: بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	ت: بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، ج٢)	إوارد جرانتيل براون	ت: أحمد كمال الدين حلى
٦٧٨	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢ ، ج١)	إوارد جرانتيل براون	ت: أحمد كمال الدين حلى
٦٧٩	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	ويليام شكسبير	ت: توفيق على منصور
٦٨٠	سنوات الطفولة	وول شوينكا	ت: سمير عبد ربه
٦٨١	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى قش	ت: أحمد الشيمى
٦٨٢	نجوم حطر التجول الجديد	بن أوكرى	ت: صبرى محمد حسن
٦٨٣	سكين واحد لكل رجل	تى. م. أوكو	ت: صبرى محمد حسن
٦٨٤	الأعمال القصصية (ج١)	أوراثيو كيروجا	ت: رزق أحمد بهنسى
٦٨٥	الأعمال القصصية (ج٢)	أوراثيو كيروجا	ت: رزق أحمد بهنسى
٦٨٦	امرأة محاربة	ماكسين هونج كجستون	ت: سحر توفيق
٦٨٧	محبوبة	فتاة حاج سيد جوادى	ت: ماجدة العنانى
٦٨٨	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. نويز وريتشارد أ. موار	ت: فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩	اللف	تالوش روجيفيتش	ت: هناء عبد الفتاح
٦٩٠	محاكم التفتيش فى فرنسا	چوزيف ر. ستراير	ت: رمسيس عوض
٦٩١	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	دنيس براين	ت: رمسيس عوض
٦٩٢	الوجوبية	ريتشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	ت: حمدى الجابرى
٦٩٣	القتل الجماعى: المحرقة	حائيم برشيت وأخران	ت: جمال الجزيرى
٦٩٤	بريدا	جيف كولنر وبيلى مايلين	ت: حمدى الجابرى
٦٩٥	رسل	ديف روينسون وجودى جروف	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦	رسمو	ديف روينسون وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧	أرسطو	روبرت ولفين وجودى جروف	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨	عصر التنوير	ليود سبنسر وأندريجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام

٦٩٩	التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاراتى	ت: جمال الجزيرى
٧٠٠	حقيقة كاتب	ماريو فرجاش	ت: بسمة عبدالرحمن
٧٠١	الذاكرة والحدائث	وليم رود قيبيان	ت: منى البرنس
٧٠٢	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	ت: محمود علاوى
٧٠٣	تاريخ الألب فى إيران (ج٢)	إيوارد جرانتفيل براون	ت: أمين الشواربى
٧٠٤	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	ت: محمد علاء الدين منصور وآخران
٧٠٥	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	ت: عبدالحميد مذكور
٧٠٦	الشفرة الوراثية وكتاب التحويلات	جونسون ف. يان	ت: عزت عامر
٧٠٧	قاتر بنيامين	نخبة	ت: وفاء عبدالقادر
٧٠٨	فراغة من؟	نونالد مالكولم ريد	ت: روف عباس
٧٠٩	معنى الحياة	ألفريد أدلر	ت: عادل نجيب بشرى
٧١٠	الأطفال التكنولوجيا والثقافة	يان هاتشبائ وجوموران - إليس	ت: دعاء محمد الخطيب
٧١١	برة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	ت: هناء عبد الفتاح
٧١٢	الإلياذة (ج١)	هوميروس	ت: سليمان البستاني
٧١٣	الإلياذة (ج٢)	هوميروس	ت: سليمان البستاني
٧١٤	حديث القلوب	لامنيه	ت: حنا صلوه
٧١٥	جامعة كل المعارف (ج١)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٦	جامعة كل المعارف (ج٢)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٧	جامعة كل المعارف (ج٣)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٨	جامعة كل المعارف (ج٤)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧١٩	جامعة كل المعارف (ج٥)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧٢٠	جامعة كل المعارف (ج٦)	مجموعة من المؤلفين	ت: نخبة من المترجمين
٧٢١	فلسفة المتكلمين فى الإسلام	ه. أ. ولفسون	ت: مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢	الصفحة وقصص أخرى	يشار كمال	ت: الصمصامى أحمد القطورى
٧٢٣	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	ت: أحمد ثابت
٧٢٤	اليسار الفرويدى	بول روينسون	ت: عبده الرئيس
٧٢٥	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	ت: مى مقلد
٧٢٦	لموريسكيون فى الغرب	غيرمو غوثاليس يوستو	ت: مروة محمد إبراهيم
٧٢٧	حلم البحر	باچين	ت: وحيد السعيد
٧٢٨	العولة: تنمية العمالة والنمو	موريس أليه	ت: أميرة جمعة
٧٢٩	الثورة الإسلامية فى إيران	صانق زيباكلام	ت: هويدا عزت
٧٣٠	حكايات من السهول الأخرى	آن جات	ت: عزت عامر
٧٣١	النوع: الفكر والأثنى بين التميز والاختلاف	نخبة	ت: محمد قدرى عمارة
٧٣٢	قصص بسيطة	إنجو شولتسه	ت: سمير جريس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٦٣٠ / ٢٠٠٤



يحكى شولتسه بأسلوب تقريرى قصصاً من ريف
«المايا الشرهية»، تبدو بسيطة، لكنها ترسم صورة
مركبة عن حياة الألمان الشرقيين بعد الزلزال السياسى
الذى ضرب أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩ وأدى إلى سقوط
سور برلين وانهيار الشيوعية.

«قصص بسيطة» لوحة فسيفسائية عن التحولات
الكبرى التى تلت تفكك عالم وسبقت بشيء آخر: فترة
الانتقال المؤلم من نظام شمولى مستبد ضمن لمواطنيه
أساسيات العيش، ويحمل عنهم عبء الاختيار، إلى
نظام ديمقراطى مفتوح يقوم على الفردية وتحقيق
الذات والتنافس الشديد الذى يفرضه اقتصاد السوق
الحرة، «قصص» عن البسطاء الذين لم يستطيعوا التأقلم
مع تلك التحولات، وعن الذين عرفوا كيف يقتتصون
فرص الواقع الجديد. إنها قصص تبتعد عن
الأيديولوجيا وتقدم شكلاً جديداً للرواية الألمانية
المعاصرة.